مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الثالث ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــداد

المحرم الحرام ١٤٠٩هـ ـ ايلول ١٩٨٨م





الجزء الثالث ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغــــداد

المحرم الحرام ١٤٠٩هـ ـ ايلول ١٩٨٨م

مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

★

توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .

المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت او لم تنشر .

★

العنوان : الوزيرية/بريد الأعظمية/ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ــ العراق

كتاب النحت

وبيان حقيقته ونبذة من قواعده

للعلامة السيد محمود شكري الألوسي

حققه وشرحه

محمد بهجة الأثري

(عضو المجمع)

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الّذي خصّ (العربَ) بأفصح لسان ، والصّلاةُ والسّلامُ على مَنْ تكلَّمَ بجوامعِ الكَلِم[1] ومُوجَز البيان ، وعلى آله وصحبه نُجُومِ سماءِ الفصاحة وبُدُور أفلاك العِرفان .

أمّا بعدُ ؛

فهذه رسالة في « ألفاظ (النَّحْتِ) وفوائده ، وبيانِ طُرُقه وقواعده » . فإنَّ ما أُلِّف فيه لم يكن بين النّاس ، بل اغتالته أيدي الضَّياع والاندراس ، فأحببتُ جمعَ ما وَقَفت عليه من كلام الأئِمّة ، وما ذكره في هذا الشّأن أهلُ البراعة وأساتذة الأُمّة ، ومن الله تعالى أستمدّ التّوفيق ، نِعْمَ المولى ونِعمَ الرَّفيق .

---

(١) جَوامع الكلِم : من قول النّبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : «أوتيتُ جَوامعَ الكَلِم» ، وفُسرت ـ كما في « النهاية في غريب الحديث والأثر » ـ بأنّه يعني (القرآن) جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة . وفي صفته ، صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه « كان يتكلّم بجوامع الكَلِم » ، أي : أنه كان كثيرَ المعاني قليلَ الألفاظ . وفي حديث عمر بن عبدالعزيز ، رحمه الله : « عجبتُ لِمَنْ لاحَنَ النّاس ، كيف لايعرف جوامع الكلم ! » ، أي : كيف لايقتصر على الوجيز ، ويترك الفضول ! . واحِدها « جامعة » ، أي : كلمة جامعة .

مَسالكُ (العرب) في إيجاز الكلام

إعلَمْ أنَّ (العرب) ، شيَّدَ الله تعالى بمآثرهم الجليلة أركانَ الأدب ، كان لهم طُرُق ومَسالِكُ في إِيجاز الكلام واختصاره ؛ فإنَّهم – لِحِدَّة أذهانهم وجَوْدَة أفهامهم – يتَنَبَّهُون للرَّمْزَة الدَّقيقة ، وينتقلون للإشارة اللطيفة واللحظة الرَّقيقة . فلذلك ترى كلامهم مشحوناً من أنواع الإيجاز والاختصار ، والحذف والاقتصار . فتراهم يَحْذِفُون كلاماً أو كلمة أو حرفاً[٢] ، ويُقيمون مَقامَ ذلك « تنوين العِوَض[٣] » ، كما في : حينئذٍ ، وكُلٍّ ، وجَوارٍ ، ونحو ذلك . وتارةً يحذِفون الكلام ، أو رُكْنَه ، عند قيام قَرِينة ، كما في : أفعال المدح والذَّم[٤] ، وهي من عجائب

(٢) قال ابن جني في « باب شجاعة العربية » من « الخصائص » (٢ / ٣٦٠) : « قد حذفت العرب الجملةَ ، والمفردَ ، والحرفَ ، والحركةَ . وليس شيءٌ من ذلك إلّا عن دليل عليه ، وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفتِه » ، وأفاض في الشرح .

(٣) تنوين العِوَض : أي عِوَض من المحذوف ، والمحذوف إمّا أن يكون مفرداً – وهو ما يلحق « كُلّاً » و « بعضاً » و « أيّاً » عوضاً ممّا تُضاف إليه ، نحو : كُلٌّ يعلَمُ ، أي : كُلُّ أحد يعلم . وإمّا أن يكون عوضاً من جُملة – وهو ما يلحق « إذْ » عوضاً من جملة تكون بعدها ، كقوله تعالى : ﴿ فلولا إذْ بلَغَتِ الرُّوحُ الحُلْقُومَ وأنتم حِينئذٍ تنظُرُون ﴾ ، أي : حينَ إذْ بلغتِ الروحُ الحلقومَ . وإمّا أن يكون عوضاً من حرف – وهو ما يلحق الأسماء المنقوصة الممنوعة من الصرف ، في حالتي الرفع والجرّ ، عوضاً من آخرها المحذوف ، مثل : جَوارٍ ، وغَواشٍ ، وأُعَيْمٍ « تصغير أعمى » ، وراجٍ « عَلَمُ امرأة » ، ونحوها من كل منقوص ممنوع من الصرف ، فتنوينُها ليس تنوينَ صرف كتنوين الأسماء المنصرفة ؛ لأنّها ممنوعة منه ، وإنما هو عوض من الياء المحذوفة . وفي الباب تفصيل ينظر في مُطَوَّلات كتب النحو .

(٤) أفعال المدح ، هي : نِعْمَ ، وحَبَّ ، وحَبَّذا . وأفعال الذم ، هي : بِئْسَ ، وساءَ ، ولا حَبَّذا . وهي أفعال لإنشاء المدح أو الذم ، فَجُمَلُها إنشائية ، =

اللغة [العربية] ومحاسنها . وتارةً يحذِفون حرف النِّداء[٥] ، ويقتصرون على المُنادَى . وتارةً يَعْكِسُون[٦] .

ومن سُنَنِهِم في هذا الباب : الإضمارُ ، إيثاراً للتَّخفيف ، وثِقَةً بفهم المُخاطَب .

فمن ذلك إضمارُ « أنْ » وحذفها من مكانها ، نحو : -(ومِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً[٧])- ، أي : أنْ يُرِيَكم البرق .

وقال (طَرَفَةُ) (*) :

ألا ! أيُّهذا الزّاجِري أحْضُرَ الوَغَى ،
وأنْ أشْهَدَ اللذّاتِ : هَلْ أنتَ مُخْلِدِي[٨] ؟

= لا خَبَرِيَّة ، ولا بُدَّ لها من مخصوص بالمدح أو الذمّ . وقد يجري مجرى نِعْمَ وبِئْسَ في إنشاء المدح أو الذمّ كلُّ فعل ثُلاثيّ مُجَرَّد على وزنِ « فَعُلَ » المضموم العين ، على شرطِ أن يكون صالحاً لأَنْ يُبْنَى منه فعلُ التعجّب ، نحو كَرُمَ للفتى مُحَمَّدٌ ، ولَؤُمَ الخائنُ فُلان . . وفي الباب تفصيل كثير ، ينظر في كتب النحو .

(٥) مثل قوله تعالى : -(يوسُفُ أعْرِضْ عَنْ هذا) — في الآية (٢٩) من سورة يوسف » جاء بالمُنادَى « يوسف » ، ولا حرف نداء معه .

(٦) مثل قوله تعالى : -(ألا يا اسْجُدُوا لِلهِ)- في الآية (٢٥) من سورة النمل . جاء بـ « يا » ، ولا مُنادَى معه . وانظر المسألة في الخصائص (٢ / ٢٧٨) ، و « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (ص / ٥٩) . هذا ، وحذف الحروف ليس بالقياس كما أجمعَ علماء العربيّة ، قالو : « وذلك أنّ الحروف إنّما دخلت الكلام ، لضربٍ من الاختصار . فلوذهبتَ تحذفها ، لكنتَ مختصراً لها أيضاً ، واختصارُ المختصر إجحافٌ به » . وقدأ فاض ابن جنيّ القول فيه في الخصائص (٢ / ٢٧٣) .

(٧) من الآية (٢٤) في سورة للروم .

(٨) البيت من معلّقتِه : « لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ » ، ويُروى أوّله : « ألا أيُّها اللاحِيَّ أنْ أحْضُرَ الوَغَى » ، فلا شاهد فيه على هذه الرواية . وعلى الرواية الأُولى ، اختلف النُّحاة في عَمَلِ « أنْ » النّاصبة المصدريّة =

فأضمر « أَنْ » أوّلاً ، ثمّ أظهر ثانياً ، في بيت واحد .

وتقديرُهُ : ألا ! أَيُّهذا الزّاجِري أن أحضُرَ الوَغَى . وفي المَثَل : « تَسْمَعَ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ مِن أَنْ تَراهُ[9] » .

= محذوفةً . فمنعه (البصريّون) ، وعَدُّوه في غير المواضع المعدودة المُفَصَّلَة في كتبهم شاذّاً ، أو ضرورةً . وذهب (الكوفيّون) الى أنّها تعمل محذوفةً في غير تلك المواضع قياساً مُطَّرِداً ، واستدلّوا عليه بهذا البيت ، حيث عطف عليه : «وأَنْ أَشْهَدَ اللذّاتِ » ، فدَلَّ على أنّها تنصب مع الحذف . وقال (البصريّون): إنّ عوامل الأفعال ضعيفة ، لاتعمل مع الحذف . وإذا حُذِفت،ارتفع الفعل . وقالوا : رواية البيت عندَنا إنّما هي بالرفع ، قال سيبويه : « أصله « أن أحضُرَ » ، فلّما حذفت « أَنْ » ارتفع ، و « أَنْ أحضُرَ » مجرور بِـ « في » مُقَدَّرةً ، و « أَنْ أشهَدَ » معطوف عليه » . وقد ذكر المؤلّف ، رحمه الله ، هذا في «كتاب الضَّرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر » . وانظر إذا شئتَ « ضرائر الشعر » لابن عصفور الإشبيلي (١٥١ و٢٦٣) ، و «كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة » للقزّاز القَيْرَوانيّ (١٤٢) ، وكتاب سيبويه (١ / ٤٥٢) ، والإنصاف (٢٣٥) ، و « خزانة البغدادي » (١ / ٥٧ ، ٣ / ٥٩٤ ، و ٦٣٣ ، و ٢٦٥) ، و« العيني » (٤ / ٤٠٢) .

(٩) تسمع : رُوِي بالنّصب وبالرّفع ، وعلى الأوّل يكون نصبه بِـ « أَنْ » محذوفةً ، وهذا يكثر في الشعّر وَيَقِلُّ في النَّثْر ـ كما نَبَّهَ عليه ابن عصفور ، قال : « فلذلك أوردناه في جُملةِ ما يختصّ به الشعرُ » . وعلى الرفع يكون على وضع الفعل موضع المصدر ، أي : سماعُك بالمُعَيّدِيّ خيرٌ من رؤيتك له . ومنه قول عُروة بن الوَرْد :

وقالُوا : ماتَشاءُ ؟ فقلتُ : أَلْهُو

الى الإِصْباحِ آثَرَ ذِي أثِيرِ

أراد « اللّهْوَ » ، فوضع « أَلْهُو » موضعَهُ ، لدلالة الفعل على مصدره ، كما في الخصائص (٢ / ٤٣٤) . ويُروى أيضاً : « لَأَنْ تَسْمَعَ بالمُعَيْدِيّ » ، و « أَنْ تسمَعَ » . قال الميداني في « مجمع الأمثال » (١ / ٨٦) ، ونقل عنه الأحدب في فرائد اللآل (١ / ١٠٨) : « والمختار : أَنْ تسمَعَ » ، يُضرب ـ

ومِن ذلك إضمارُ « مَنْ » ، نحو : -(وما مِنّا إلّا لهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ[١٠])- ، أي : إلّا مَنْ له[١١] .

ومن ذلك إضمارُ « مِنْ » ، نحو : -(واختارَ (مُوسَى) قَوْمَهُ سبعينَ رَجُلاً لِميقاتِنا[١٢])- ، أي : مِنْ قومِهِ .

ومن ذلك إضمارُ « إلى » ، نحو : -(سَنُعِيدُها سيرَتَها الأُولى[١٣])- ، أي : إلى سيرتها الأولى .

= لمن خَبَرُهُ خيرٌ من مرآه » ، قال : « وأوّل من قال ذلك المنذر بن ماء للسماء — في خبر طويل ، والمَقُول فيه ذلك شقّة بن ضمرة بن جابر ، من بني نَهْشَل ، حيث أعجب المنذرَ حديثُهُ ، ولا مَنْظَرَ عنده » . فهو — على هذا — « المُعَيْدِيّ » ، وهو تصغير مَعَدّيّ ، منسوب إلى « مَعَدّ » . وكان الكِسائيّ يرى التّشديد في الدّال ، فيقول « بالمُعَيدّيّ » . وكان غيره يرى تخفيف الدّال ، ويشدّد ياء النّسبة مع ياء التصغير ، كما قاله النّابغة الذُّبْيانِيُّ من قصيدة يخاطب النُّعمان بن المنذر :

ضَلّتْ حُلُومُهُمُ عنهمْ ، وغَرَّهُمُ
سَنُّ « المُعَيْدِيِّ » في رَعْيٍ وتَعْزِيبِ

كما في تهذيب اللغة (٢ / ٢٦٠ — ٢٦١) ، ولسان العرب (م/ع/د) .

(١٠) الآية (١٦٤) في سورة الصّافّات .

(١١) حذف « مَنْ » لمّا كان السِّياق يدلّ على حذفها ، وجاء في الشعر حذفُ « مَنْ » مع « مِنْ » و « في » . ومن الأول قول الشاعر :

فظَلّوا ومنهم دَمْعُهُ غالبٌ لــه
وآخَرُ يُجْرِي عَبْرَةَ العينِ بالمَهْلِ

أراد : « ومنهم (مَنْ) دمعُهُ غالبٌ له » ، فحذف « مَنْ » مع « مِنْ » ؛ لِأنّ في الكلام دليلاً عليها .. ومن الثّاني قولُ الآخَرَ :

لو قُلْتَ ما في قومها لم تِيثَمِ
يَفْضُلُهــا فــي حَسَبٍ ومِيْسَمِ

أي : « مَنْ يفضُلُها » ، فحذف « منْ » مع « في » ؛ لأن في للكلام دلالةً عليها .

(١٢) الآية (١٥٤) في الأعراف .

(١٣) الآية (٢١) في طه (طاها) .

ومن ذلك إضمار الفعل ، نحو : -(فَقُلْنا : اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها ، كَذلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتى[١٤])- ، وتقديره : فَضُرِبَ [٢] فَحَيِيَ ، كذلك يُحْيِي اللهُ المَوْتَى . ومثلُهُ : -(وإِذِ استسقى (مُوسَى) لِقَوْمِهِ ، فقُلْنا : اضرِبْ بِعَصاكَ الحَجَرَ . فانفجَرَتْ مِنهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً[١٥])- ، وتقديره : فضَرَبَ ، فانفجرتْ . ومثلُه : -(فَمَنْ كانَ مَرِيضاً ، أَوْ بِه أَذىً مِن رَأْسِه ، فَفِدْيَةٌ[١٦] مِنْ صِيامٍ ، أو صَدَقَةٍ ، أو نُسُكٍ[١٧])- ، وتقديرُهُ : فحَلَقَ ، ففِدْيَةٌ .

ومن ذلك إضمارُ « القَوْل » ، كما قال سُبحانَهُ : -(وأَمّا الّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ : أَكَفَرْتُمْ[١٨])- ، في ضِمْنه : فيقالُ لهم : أكفرتم ؟ لأنَّ « أمّا » ، لابُدَّ لها في الخَبَر من فاء . فلمّا أضمر « القول » ، أضمر الفاء . ومثلُهُ : -(وتَتَلَقّاهُمُ الملائكةُ ، هذا يَوْمُكُم[١٩])- ، أي : يقولون : هذا يومكم . وقال (الشَّنْفَرَى(*)) :

فلا تَدْفِنُوني . إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ
عليكم . ولكِنْ خامِرِي أُمَّ عامِرِ[٢٠] ،

أي : الّتي يقال لها : خامِرِي أُمَّ عامر ، وهي الضَّبُعُ .

---

(١٤) الآية (٧٣) في البقرة .
(١٥) الآية (١٥٩) في الأعراف .
(١٦) الفِدية — هنا : ما يُقَدَّم لله جزاءً لتقصير في عبادة ، ككفّارة الصوم ، والحَلْق في الحج ، ولبس المَخيط في الإحرام . وفي الآية حذف جملة ، لدلالة عليها في الكلام . أراد : فَمَنْ كان منكم مريضاً ، أو به أذىً من رأسه ، فحَلَقَ ، فعليه فِدْيَةٌ ، فحذف الجملة من الفعل والفاعل والمفعول .
(١٧) النُّسُك ، والنُّسْكُ : كلُّ حقٍّ لله تعالى . و — : الذّبيحة ، وهي المرادة في هذه الآية ، وهي جزء من الآية (١٩٦) في سورة البقرة .
(١٨) من الآية (١٠٦) في آل عمران .
(١٩) من الآية (١٠٣) في الأنبياء .
(٢٠) ورُوِي البيت بألفاظ أُخَر ،ومخروماً تارة ،وغير مخروم تارة . و (الخَرْم) : =

ومن سُنَنِهم في الاختصار : أنَّهم يحذِفون جواب الشَّرْط ، للعلم به[21] . وتارةً يحذِفُون الشَّرْط مع جوابه وإبقــاء الأداة فقط ، كما في قوله[21آ] :

قالت بناتُ العَمِّ : يا (سَلْمَى) وإنْ
كان فقيراً مُعْدِماً ، قالت : وإنْ[22]

= إسقاط فاء « فَعُولُنْ » في أول البيت ، هكذا :

لا تقبُرُوني ، إنّ قبري مُحَــرَّمٌ
عليــكم ، ولكِنْ خامِرِي أُمَّ عامِرِ

وفي سائر الروايات : « أبْشِرِي أُمَّ عامِرِ » . وهو مَثَل يضرب لمن يخدع بلين الكلام . وفيه كلام طويل ينظر في « مجمع الأمثال » . وأمُّ عامر : من كُنَى الضَّبُع . وفي قوله : « أبْشِرِي أمَّ عامر » وجهانِ ، ذكرهما التّبريزيّ ، أحدهما : أبشري يا أمَّ عامر بأكلي ، إذْ تُرِكت في العراء ولم أُدْفَنْ ، والآخر : أتركوني لِلَّتي يقال لها « أبشري — أو خامري — أمَّ عامر . والبيت أحد ثلاثة أبيات ، ذكروا أن « الشَّنْفَرَى » قالها حين أُسِرَ ، وقد قيل له : أنْشِدْ ، فقال : الإنشاد على حين المَسَرَّة ! ثم قال :

لا تقبروني ، إنَّ قبــري مُحَــرَّمٌ
عليكم ، ولكِنْ خامِرِي أمَّ عامِرِ

إذا حملوا رأسي ، وفي الرّأس أكثري
وغُودِرَ عندَ المُلْتَقَى ثَمَّ سائــري

هُنالك لا أرجــو حيــاةً تَسرُّنــي
سَجِيسَ الليــالي مُبْسَلاً بالجرائِر

وتفصيل قصتِــهِ في شرح المُفَضَّلِيّات (١٩٤ / ١٩٧) ، والأغاني (٢١ / ٨٧ — ٩٣) ، وخزانة البغدادي (٢ / ١٦ — ١٨) . والأبيات في شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (٢ / ٦٣ — ٦٥) .

(٢١) مثلُ « الناسُ مَجزِيُّونَ بأعمالهم « بأفعالهم » إنْ خيراً فخيراً ، وإنْ شَرّاً فشَرّاً » ، أي : إنْ فعل المَرْءُ خيراً جُزِيَ خيراً ، وإنْ فعل شرّاً جُزِي شَرّاً .

(٢١ آ) هو رؤبَة بن العجاج (*) .

(٢٢) التقدير وإنْ كان فقيراً مُعْدِماً ، فقد قَبِلتُهُ ورَضِيتُهُ . قال المؤلف في « كتاب =

وكتب العربيّة متكفّلة بتفصيل ذلك .

ومن سُنَنِهم : الاكتفاء بكلمة عن كلام ، أو ببعض الكلمة عن ذلك ، وهو (الاكتفاء[٢٣]) . وقد عرَّفوه : أن يأتي الشّاعر ببيت من الشِّعْر ،

= الضّرائر وما يسوغ للشّاعر دون النّاثر (ص٨٥) : « من الضّرائر الشّعريّة حذف الشّرط والجزاء معاً ، كقول رُؤْبَةَ : « قالت بنات العمّ ... » ، والتقدير : وإنْ كان كذلك رضيتُهُ أيضاً .قال ابن عصفور في كتاب الضّرائر : إنّ حذفهما خاصّ بالشّعر . وأورده ابن هِشام في فصل الحذف من « المُغْنِي» ، ولم يخصصه بالشعّر . وأمّا «إنْ» الأُولى ،فإنّما حُذِف منها جوابها ، والتقّدير : وإنْ كان فقيراً مُعْدِماً ، أترضين به ؟ لأنّ « كان » شرطها ، واسمها مستترفيها يعود إلى « بَعْل » في بيت متقدّم ، وهو :

قالت سُلَيْمَى : ليْتَ لي بَعْلاً يَمُنّ
يَغْسِلُ جِلدي ويُنَسّيني الحَزَنْ
وحاجةً ما إنْ لها عندي ثَمَنْ
ميسورة قضاؤها منه ومِـــنْ
قالت بناتُ العَمِّ : يا سَلْمَى ، وإنْ
كان فقيراً مُعْدِماً ؟ قالت : وإنْ !

قال ابن عصفور : ولم يجيء ذلك في غيرِ « إنْ» من أدوات الشرط ، وعلّلَ السّبب في ذلك بأنّها أمُّ أدوات الشّرْط ،فجازَ فيها من التّصَرُّف مالم يَجُزْ في غيرها .

(٢٣) سمّاه القَزّاز القَيْرَوانيّ في « كتاب ما يجوز للشّاعر في الضَّرورة » (ص ١٨٢) : (الاجتزاء) ، قال : « وممّا يجوز له (الاجتزاء) بحرف من الكلمة يدلّ به على سائرها ، كما قال الشاعر :

بالخير خيــراتٍ ، وإنْ شرّاً فَــا
ولا أُرِيدُ الشَّرَّ إلّا إنْ تَــا

يُريد : وإنْ شرّاً فشرّ ، ولا أُرِيد الشرّ إلّا أنْ تُرِيدَ ، وإلّا أن تشاء . ومثلُهُ :

نادَوْهُمُ : أنْ أَلْجِمُوا ، ألاتــا ؟
قالُوا جميعــاً كُلُّهم : بلى فــا =

وقافيته متعلّقة بمحذوف ، فلم يفتقر إلى ذكر المحذوف ، لِدلالة باقي لفظ البيت عليه ، ويكتفي بما هو معلوم في الذّهن بما يقتضي تمام المعنى .

وهو نوع ظريف . مثال ذلك قوله :

لا أنتهي ، لا أنثني ، لا أرْعَوِي
ما دُمْتُ في قيد الحياة ، ولا إذا[٢٤]

= يُريدون : ألا تركبون ؟ قالوا : بَلَى ، فاركبوا » .

ورواية بيت « الراجز » في كتاب سيبويه (٢ / ٦١) :

بالخير خيراتٍ ، وإن شــرّاً فــا
ولا أريــد الشَّرَّ إلا أنْ تـــــا

وأصل ما حكاه القَزّار القَيْرَوانيّ هو في « باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد » من من كتاب سيبويه ، حكايةً عن الإمام الخليل بن أحمد ، وفي نوادر أبي زيد الأنصاريّ ، وفيه تفصيل لا يتّسع المقام له . ونُسِب البيت المذكور مع صِنْو له قبله إلى « لُقَيْم بن أوس »(*) . وهو عند أبي زيد :

بالخير خيراتٍ وإِنْ شَرّاً فــأَهْ
ولا أُريــدُ الشَّرَّ إِلّا أنْ تَــأَهْ

وفي بعض نسخه : « فَــآاْ . . تَــآاْ » .

وحكى عن (أبي الحسن الأخفش) : أنّ الذي يحفظه من رواية النحويين لهذا الرجز :

بالخيــرِ خيراتٍ ، وإنْ شَرّاً فَأَ
ولا أُرِيدُ الشَّرَّ إلّا أنْ تَــــأَ

ثم قال ، بعد كلام طويل : « وهذا الحذف كالإيماء والإشارة ، يقع من بعض العرب ، لفهمِ بعضٍ عن بعضٍ ما يُرِيدُ ، وكان مُسْتَوْفىً شائعاً » . ولْيُنظر الخصائص (١/ ٣٠ ، و٨٠، و٢/ ٣٦١) ، وكتاب سيبويه (٢/ ٦٢ – بولاق) ، وشواهد شرح للشافية (ص ٢٦٢) .

(٢٤) البيت في « خزانة الأدب » لابن حجة الحَمَويّ (ص ١٢٦) ، وقائله الشاعر الوزير جمال الدين بن مطروح(*) ، وفي «نفحات الأزهار» مع بيت آخر :

لا أرْعَــوِي ، لا أنْثَنــي ، لا أنْتَهي
عن حُبّــِهِ ، فَلْيَهْــذِ فيهِ مَنْ هَذَى =

فمعلوم أنَّ باقي الكلام : « ولا إذا ميتٌّ » ، بقرينة ذكر « الحياة » .

وقال آخَرُ[٢٥] :

ما لِلنَّوَى ذنبٌ ومَنْ أهوى معي
إنْ غاب عن إنسانِ عيني ، فَهْوَ في[٢٦]

والكلام في (الاكتفاء) ، ليس هذا محلّه[٢٧] .

= واللهِ ما خَطَرَ السُّلُوُّ بخاطِري
ما دُمْتُ في قيدِ الحياةِ ، ولا إذا

وهو في شرح الكافية البديعية (ص ١٠٥) غير منسوب ، قال مؤلفه صفي الدّين الحِلّيّ – بعد إيراده كما أورده المؤلف – : « وفي روايةٍ ، وهي الأصحّ :

والله ما خَطَرَ السُّلُوُّ بخاطِري
ما دُمْتُ في قيد الحياة ، ولا إذا .

(٢٥) هو عمر بن علّي ، ابن الفارض(*) .

(٢٦) هذا البيت من قصيدته الّتي مطلعها :

قلبي يحدّثني بأنّك مُتْلِفِي
رُوحي فِداك ! عَرَفْتَ أم لم تَعْرِفِ !

قال شارح الدّيوان رشيد بن غالب – وهو جامع لشرحه من شرحَيْ حَسَن البُوريني وعبدالغني النابلسيّ : « ربط [الشاعر] آخر القصيدة بأوّلها ، وهو من أحسن أنواع البديع ؛ لِأنّ المرادَ : إن غاب عن إنسان عيني ، فهو في قلبي ، و « قلبي » مطلع القصيدة ، والواو في « ومَنْ أهوى معي » واو الحال ، و « مَنْ » و « أهْوَى » صِلَتُهُ ، و « دمعي » خبَرُه . وقوله : « إن غاب عن إنسان عيني » هو في جملة مُقَرّرة لكونِ مَنْ يهواه معه . وتقرير ذلك أنَّ حبيبي إنْ كان حاضراً في الحُسْن فأنا شاهده ، وإن غاب عن إنسان عيني كان معي في خاطري وفي قلبي . فتقرَّرَ أنّ « النَّوَى » [البُعد] لا ذنبَ له ، لوجود الاتّصال الدائم ...» .

(٢٧) استوفى ابن حجة الحمويّ في خزانة الأدب (١٢٦ – ١٣١) الكلام على « الاكتفاء » ، وأفاض في إيراد الأمثلة له .

ومن سُنَنهم : ترخيم المُنـــادَى[٢٨] ، وهو طريق مشهور من طُرُق الاختصار ، وتفصيله في كتب العربيّة .

ولهم غير ذلك ممّـا لا يستقصى في هذا المقام .

والمقصـود بيان عنـايتهم في إيجاز الكلام وتلخيصه ، بجـودة أذهانهم ، وحُسن تفهـّمهم . والذّكيّ تكفيه الإشارة ، والبليد لايفيده صريح العبارة .

* * *

(٢٨) الترخيم ـــ في اللغة : ترقيق للصوت وتليينه ، وفي الاصطلاح النّحويّ : حذف الكلمة على وجـه مخصوص (بُسِط في كتب النحـو) ، وهو من خصائص « المُنادَى » . وجاء ترخيم « غير المُنادَى » للضّرورة ، وفيه تفصيل أورده المؤلّف ، رحمه الله ، في « كتاب الضّرائر وما يسوغ للشّاعر دون النّاثر » (٥٨ ـــ ٦١) .

تعريف النَّحْت وبيانه[٢٩]

لقد(*) علِمتَ أنَّ (العرب) أغنى النّاس بتلخيص العبارات، وأسرعهم في فَهْم الرُّمُوز والإِشارات، [٣]. [وقد] استعملُوا (النَّحْتَ) واعتبروه في كثير من الألفاظ التي يكثُرُ دورها في كلامهم، واستعمالها في محاوراتهم.

وذلك بأن يَنْحِتُوا كلمةً من كلمتين، ولفظة من جملة، طلباً لسهولة التّعبير وإيجازه.

وهو من قسم (الاشتقاق الأكبر).

فإِنَّ الاشتقاق على ثلاثة أقسام: أصغر، وصغير، وأكبر[٣٠].

أمّا الأصغر، فهو أن يؤخذ لفظ من لفظ، مع اعتبار جميع الحروف الأصول للمأخوذ منه، والتّرتيب، كنَصَرَ من النَّصْر.

وأمّا الصّغير – وقد يُسَمّى: الكبير –، فهو أن يؤخذ لفظ من لفظ، مع اعتبار جميع الحروف الأصول للمأخوذ منه، دونَ التّرتيب، كجَذَبَ من الْجَبْذ.

وأمّا الأكبر، فهو أن يؤخذ لفظ من لفظ، من غير أن تُعتبر جميع الحروف الأصول للمأخوذ منه، ولا التّرتيب فيها، بل يُكتَفَى بمُناسبة الحروف في المَخْرَج، ومَثَّلُوه بمثلِ: نعق، من النَّهْق؛ والحَوْقَلَة من جملةِ: لاحَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله، للدّلالة على التَّلَفُّظ بها.

(*) الأصل: « إذا ».

(٢٩) في « مقاييس اللغة » (نحت): « النّون والحاء والتّاء، كلمة تدلّ على نَجْرِ شيء وتسويته بحديدة. ونحت النّجّار الخَشَبَةَ نحتاً. والنَّحِيتَةُ: الطبيعة، يريدون الحالة التّي نُحِت عليها الإنسان، كالغريزة التّي غُرِز عليها الإنسان. وما سقط من المنحوت نُحَالةٌ ».

(٣٠) الخصائص (٢/١٣٣ – ١٣٩).

وسُمِّيَ الأوّل بـ (الأصغر) ؛ لأنّه لايحتاج إلى مَزِيدِ تأمُّل في إرجاع فرع الى أصله ، بل يكفي في معرفته أدنى الالتفات .

والثّاني يحتاج إلى الْتِفات أكثرَ من الأوّل .

وسُمِّيَ القسم الثّالث بـ (الأكبر) ؛ لأنّه يحتاج إلى زيادةِ تأمُّل في إرجاع الفرع إلى أصله ؛ إذْ لم توجد جميع الحروف الأصول للمأخوذ منه في المأخوذ ، ولا الموافقة في المعنى - كما في قسمي الأصغر والصَّغير ، بل يكتفى بالمناسبة فيه .

وهذه التّعاريف للأقسام الثّلاثة ، باعتبار العمل .

وإن عرفت باعتبار العِلْم ، قِيلَ : هو أن تَجِدَ بين اللفظين تناسُباً في أصل المعنى والتّركيب ، فتَرُدَّ أحدهما إلى الآخَر . فالمردودُ مشتقّ ، والمردودُ إليه مشتقّ منه .

فـ (النَّحْتُ) بأنواعه ، من قسم (الاشتقاق الأكبر) . وهو - كما يفهم من كلام الأئمّة - قياسيّ مُطَّرِد .

قال (ابن جِنّي) في (الخصائص[31]) :

قولهم : بَسْمَلْتُ ، وهَلَّلْتُ ، وحَوْقَلْتُ : كلُّ ذلك بأشباهه إنّما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات .

وقال في (كتاب سِرّ الصِّناعة[32]) :

---

(31) الخصائص(٢/١٦٥)،ولفظه : « وقولهم: بَسْمَلْتُ ، وهَيْلَلْتُ ، وحَوْلَقْتُ ، كلّ ذلك وأشباهه إنّما يرجع في اشتقاقه الى الأصوات ، والأمر أوسع » .

(32) سر صناعة الإعراب (١/٢٣٨) ، ولفظه : « وأخبرني [أبو علي] أيضاً ، قال : قال الأصمعيّ ، أو أبو زيد (أشُكّ أنا) : رجلٌ وَيْلُمَّةٌ ، للدّاهية ، فهذا أيضاً من قولهم : « وَيْلُ امِّ سَعْدٍ سَعْدا » ، ومن قول امرئ القيس :

وَيْلُمِّها في هواءِ الجوّ طالبةً
ولا كهذا الّذي في الأرض مطلوبُ

وللاشتقاق من الأصوات ، باب يطول استقصاؤه » .

عن (أبي عليّ (*)) ، عن (الأَصْمَعِيّ (*)) : أنّه يقال : رَجُلٌ وَيْلُمَّةٌ ، وهو من قولهم : « وَيْلُمّ سَعْدٍ سَعْدا [٣٣] » .

والاشتقاق من الأصوات ، باب يطول استقصاؤه .

ولنذكر من موادّ (النّحت) أقساماً ، ونُبَذاً تَزِيدُ الواقف عليها بصيرة في هذا الباب ، إن شاء الله تعالى .

---

(٣٣) هذا البيت من البحر المُنْسَرِح ،عروضه مكسوفة منهوكة ، وبعده في إحدى الروايات :

صَرامــةً وجِدّا وسُؤْدَداً ومَجْــدا
وفارســاً معــدّا سَــدّ بـه مَسَــدّا
يَقُدُّ هاماً قَدّا

وهو من كلام الصَّحابية كبشة (ورُوِي كُبَيْشة أيضاً) بنت رافع ، رضي الله عنها ، بكت به ابنَها سعد بن معاذ بن النّعمان الأنصاريّ ، سيّد الأَوْس ، رضي الله عنه ، حين مات شهيداً من جراحة أصابته في غزوة الخندق . ولحسان بن ثابت ، رضي الله عنه ، مرثية فيه في يوم بني قريظة، يبكيه ويذكر حكمه فيهم ، وأخرى فيه وفي رجال من أصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، من الشُّهداء بما كان فيهم من الخير . وخبر سعد وأمّه في السيرة لابن هِشام (٣/٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧) ، والإصابة (٢/٣٧) ، والاستيعاب على حاشية الإصابة (٢/٣٧) . – والويل ، في البيت : العذاب والهلاك ، أي : عذابٌ لِأُمِّ سعدٍ ، فحذفت تنوين « وَيْل » واللام من « لِأُمِّ » للاضافة والهمزة منها للضرورة . ومن غير الضرورة يقال : وَيْلٌ لِأُمِّ سعدٍ ، كما علمت . – وقولها « سَعْدا » منصوب بنزع الخافض ، أي : من سعد ، قرره محمد الدَّمَنْهُوريّ في كلام طويل بعده . وينظر إعراب « سعدا » بالنّصب على التّمييز ، وتفصيل الكلام على «ويلمّه» ، في خزانة البغدادي (١/٥٦٠ – بولاق) .

وفي « وَيْلُمِّ » تفاصيل كثيرة في : لسان العرب (ويل) ، وتاج العروس (ويل) ، وشفاء الغليل (٢٣٨) ، وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (٢٤١) ، والاقتضاب (٣٦٥) ، والخصائص (٣/١٥٠) .

نُبْذَةٌ من شواهد النَّحْت ومُثُلِه

قال (الثَّعالِبيّ(*)) في (كتاب فقه اللغة[٣٤]) :

(العرب) تَنْحِت من كلمتين وثلاثِ كلمةً واحدة . وهو جنس من الاختصار ، كقولك[٣٥] : رَجُلٌ عَبْشَمِيٌّ ، منسوب إلى [٤] (عَبْدِ شَمْسٍ) ؛ وأنشد (الخليل(*)) :

أقولُ لها ، ودمعُ العينِ جارٍ :
أَلَمْ يَحزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنادِي[٣٦] ؟

---

(٣٤) ص ٣٥٥ ، ط . مصر ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .

(٣٥) في فقه اللغة : « كقولهم » .

(٣٦) البيت من إنشاد الخليل بن أحمد،وليس من إنشائه . وقد ذكر في (كتاب العين) غير منسوب . قال : « إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة ، لقُرْبِ مَخْرَجَيْهِما ، إلا أن يُشْتَقَّ فِعل من جمع بين كلمتين ، مثل « حَيَّ على » — كقول الشّاعر :

ألا رُبَّ طَيْفٍ باتَ منكِ مُعانِقِي
إلى أن دعا داعي الصَّباح فَحَيْعَلا

يريد : قال « حَيَّ على الفلاح » .

أو كما قال الآخر :

فباتَ خَيالُ طيفكِ لي عَنِيقاً
إلى أنْ حَيْعَلَ الدّاعي الفلاحا

أو كما قال الثّالث :

أقول لها ، ودمُع العينِ جارٍ :
ألم يَحزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنادِي ؟

فهذه كلمة جُمِعَتْ من «حَيَّ » ومن « على » ، وتقول منه : حَيْعَلَ يُحَيْعِلُ حَيْعَلَةً . وقد أكثر من الحيعلة ، أي : من قولِ : « حَيَّ على » .

من قولهم : « حَيَّ على كذا » .

قال : وقد تقدّم فصل شافٍ في حكاية أقوال مُتَداوَلَة من هذا الجنس .

وأما قولهم « صَهْصَلِق[٣٧] » ، فهـو من : « صَهَلَ » و « صَلَقَ » ، و الصَّلْدِم »[٣٨] من « الصَّلْد » و « الصَّدْم » . انتهى[٣٩] .

ومراده بالفصل الّذي تقَدَّمَ ، الفصل السّادس من الباب العشرين[٤٠] ، ذكر فيه حكاية أصوات النّاس في أقوالهم وأحوالهم ، فقال :

« القَهْقَهَةُ : حكاية قول الضّاحك : قَهْ ، قَهْ .

= ثمّ قال : « وهذا يُشبه قولهم : تَعَبْشَمَ الرّجُلُ ، وتَعَبْقَسَ . ورجُلٌ عَبْشَمِيٌّ إذا كان من عبد شمس، وعبقسيّ إذا كان من عبد قَيْس [أصل العبارة: اذا كان من عبد شمس ، أو من عبد قيس .] ، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمةً ، واشتقّوا فعلاً ، قال :

وتضحَكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيّةٌ ... كأنْ لم تَرَ قبلي أسيراً يَمانِيا

نسبها الى « عبد شمس » ، فأخذ العين والباء من « عبد » ، وأخذ الشّين والميم من « شمس » ، وأسقط الدّال والسّين ، فبنى من الكلمتين كلمة » .

(٣٧) صوتٌ صَهْصَلِقٌ : شديد، ورجُلٌ صَهْصَلِقُ الصَّوْت : شديدُهُ ، وامرأة صَهْصَلِقٌ وصَهْصَلِيقٌ: شديدة الصَّوْت صَخّابة . ومنهم من قَيَّدَ فقال : الصَّهْصَلَقُ ، العجوز الصَّخّابة ، قال : وكذلك الصَّهْصَلِيق – كما في (لسان العرب) وغيره .

(٣٨) الصِّلْدِم والصُّلادِم : الشّديد الحافر ، وقيل : الصِّلْدِمُ القويّ الشّديد من الحافر ، والأنثى صِلْدِمَةٌ وصُلادِمة . وعَمَّ به بعضهم . وجمعه صَلادِم ، بفتح الصاد . وفرسٌ صِلْدِمٌ : صُلْبٌ شديد ، والأنثى صِلْدِمَة ، ورأس صِلْدِم وصُلادِم بالضَّمّ : صُلْب .

(٣٩) فقه اللغة (٣٥٥) ، والصّاحبي أيضاً (٢٧١) .

(٤٠) فقه اللغة (١٩٦) : « فصل في حكاية أصوات النّاس في أقوالهم وأفعالهم – عن الأئمّة » .

الصَّهْصَهَةُ : حكايةُ قول الرَّجُل للقوم : صَهْ ، صَهْ ، وهي كلمة زجر للسُّكوت .

الدَّعْدَعَةُ : حكاية قول الرَّجُل للعاثر : دَعْ ، دَعْ ، أي : انتعِشْ .

البَخْبَخَةُ : حكاية قول الرَّجُل[٤١] : بَخْ بَخْ .

التَّأْخيخُ : حكاية قول الرَّجُل[٤٢] : أَخْ ، أَخْ .

الزَّهْزَهَةُ : حكاية قول الرَّجُل[٤٣] : زه ، زه .

النَّحْنَحَةُ ، والتَّنَحْنُحُ : حكاية قول الرَّجُل[٤٤] : نَحْ ، نَحْ – عند الاستئذان وغيره .

العَطْعَطَةُ : حكاية صوت المُجّان[٤٥] ، إذا قالوا عند الغلبة : عِيطْ ، عِيطْ .

التَّمَطُّقُ : حكاية صوت المتذوِّق، إذا صوَّت باللسان والغار الأعلى[٤٦] .

الطَّعْطَعَةُ : حكاية صوت اللاطع ، إذا ألْصَقَ لِسانَهُ بالْحَنَك ثُمَّ لَطَعَ من شيءٍ طيّبٍ أكَلَه .

الوَحْوَحَةُ : حكاية صوت به بَحَحٌ .

---

(٤١) في فقه اللغة : « المستجيد » ، في موضع « الرّجل » .

(٤٢) في فقه اللغة : « المُسْتَطِيب » ، في موضع « الرّجل » .

(٤٣) في فقه اللغة : « المُرْتَضِي » ، في موضع « الرّجل » .

(٤٤) في فقه اللغة : « المُسْتَأذِن » ، في موضع « الرّجل » .

(٤٥) المُجّان : جمع الماجن، وهو الذي لا يبالي ما صنع وما قيل له ، من « المَجْن » ، وهو خلط الجدّ بالهَزْل. وهو المُجُون أيضاً. ومَجَنَ الشيءُ يَمْجُنُ مُجُوناً : اذا صَلُبَ وغَلُظ ، قالوا : ومنه اشتقاق الماجن ، لصلابة وجهه وقلّة استحيائه .

(٤٦) الغار : ما فوق الفَراشة ، وهي العظم الرّقيق من أعلى الفم

الهَرْهَرَةُ(٤٧) ، والبَرْبَرَةُ : حكاية أصوات (الهِنْد) عند الحرب .

الكَهْكَهَةُ : حكاية تَنَفُّس المقرور [في يَدَيْهِ(٤٨)] .

الْجَهْجَهَةُ(٤٩) : حكاية زجر السَّبُع والإِبِل .

الهَرْهَرَةُ : حكاية زجر الغَنَم .

البَسْبَسَةُ(٥٠) : حكاية زجر الهِرَّة .

---

(٤٧) في فقه اللغة : « الهَزْهَزَةُ » بزايين ، وهو تصحيف . وفي لسان العرب وغيره : « الهَرْهَرَةُ : حكاية أصوات « الهند » في الحرب ، عن يعقوب . وقال غيره : الهرهرة ، والغرغرة ، يحكى به بعض أصوات « الهند » و « السِّنْد » عند الحرب » .

(٤٨) زيادة من فقه اللغة . وفي (لسان العرب) : « كَهْكَهَ المقرور : تَنَفَّسَ في يده ، لِيُسَخِّنَها بنَفَسِه من شدّة البرد ، فقال : كَهْ كَهْ . قال الكميت :

وكَهْكَهَ الصَّرِدُ المقرورُ في يَدِه
واستَدْفَأَ الكلبُ في المأسور ذي الذِّئَبِ » .

(٤٩) في فقه اللغة : « الهَجْهَجَةُ » ، وعلّق عليه محققوه الأساتذه: (مصطفى السقّا ، وإبراهيم الأبياريّ ، وعبدالحفيظ شلبي) بأنّه: « كذا في ط ، وفي سائر الأصول: الجَهْجَهَةُ ، وهو تحريف » . وأقول : ما ثَمَّ تحريف ، فإنّ الجهجهة والهجهجة شيء واحد، ففي (لسان العرب) وغيره: « جَهْجَهَ بالإبِل كَهَجْهَجَ ، وجَهْجَهَ بالسَّبُع وغيره : صاح به ليكُفَّ ، كهجهج (مقلوب) ، وأنشدوا :

جَهْجَهْتُ فارْتَدَّ ارتِدادَ الأَكْمَهِ

وقال آخر :

جَرَّدْتُ سيفي ، فما أدري : أَذا لِبَدٍ ،
يغشى المُجَهْجَهَ عَضْبُ السَّيْفِ ؟ أَمْ رَجُلا ؟ » :

(٥٠) في الأصل « الفسفسة » ، وصوابها ما أثبتّ من فقه اللغة . وليس لتخصيص هذه اللفظة بحكاية زجر الهِرَّة ذكر فيما رجعت اليه من دواوين اللغة . وأصل ذلك ـ

الوَلْـوَلَـةُ : حكاية قول المرأة : واوَيْـلاه[٥١] !

النَّبْنَبَـةُ[٥٢] : حكاية صوت الهاذي عند البِضاع » .

*

ثمّ أورد فصلاً يقارب هذا الفصلَ في حكايـة أقوال متداوَلـَة على الألسنة ، فقال :

« البَسْمَلَةُ : حكاية قولِ : بِسْمِ الله .

السَّبْحَلَةُ : حكاية قولِ : سُبْحانَ اللهِ .

الهَيْلَلَـةُ : حكاية قولِ : لا إلهَ إلّا اللهُ .

الحَوْقَلَـةُ : حكاية قولِ : لاحَوْلَ ولا قُـوَّةَ إلّا باللهِ .

الحَمْدَلَـةُ : حكاية قولِ : الحمدُ لِلَّـهِ .

الحَيْعَلَـةُ : حكاية قول المُؤَذِّنِ : حَيَّ على الصَّلاة ، حَيَّ على الفَلاح !

الطَّلْبَقَةُ : حكاية قولِ : أطال الله بقاءَك .

الدَّمْعَزَةُ : حكاية قولِ : أدامَ اللهُ عِزَّك .

- قولهم « بَسْ بَسْ » ، و « بِسْ بِسْ » ، ومنه قالوا : بَسَّ يَبُسُّ بَسّاً ، وأبَسَّ إبساساً ، وبَسْبَسَ بَسْبَسَةً . وخصّ بعضهم البَسَّ بزجر الإبل ، وأعَمَّهُ آخر .

(٥١) الويل : كلمة عذاب ، يقال : وَيْلَهُ ، وَوَيْلَكَ ، ووَيْلِي ؛ وفي النُّدبة : وَيْلاه . والويل : حلول الشرّ ، وقيل : هو تفجُّع .. وقد يَرِدُ الويل بمعنى التعجُّب . ووَلْوَلَتِ المرأة : دعت بالويل وأعولت ، والاسم الوَلْوال ، قال ابن برّيّ : قال ابن جنّي — : وَلْوَلَتْ مأخوذ من « ويل له » ، على حدّ « عَبْقَسِيّ » [يعني أنّه منحوت كنحت عبقسي من عبدالقيس . وهو ابن أفصى بن دُعْمِيّ ، من أسد ربيعة] .

(٥٢) نَبَّ التَيْس يَنِبُّ نَبّاً ونَبِيباً ونُباباً ، ونَبْنَبَ .. ونَبْنَبَ الرّجلُ ... ، ونَبْنَبَ : طَوَّل عَمَلَه وحَسَّنَهُ .

الجَعْلَفَةُ ، أوِ الجَعْفَدَةُ[٥٣] : حكاية قولِ : جُعِلْتُ فِداءَك » .

وذكر فصولاً كثيرة ، تتعلَّق بالأصوات ، لا غَرَض لنا بنقلها[٥٤] .

*

[٥] وذكره الإمام (السُّيُوطيّ(*)) في (مُزْهِرِهِ[٥٥]) ، وقال ما مُلَخَّصُه :

(العرب) تَنْحِت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك كرَجُل عَبْشَمِيّ[٥٦] ، منسوب إلى اسمين ، والحَيْعَلَة : من « حَيَّ على كذا » .

واختار ما اختاره (ابن فارس(*)) من أنّ الأشياء الزّائدة على ثلاثة أحْرُف ، أكثرُها[٥٧] منحوت ، مثل قول (العرب) للرَّجُل الشَّديد : ضِبَطْر ، من : ضَبَطَ ، وضَبَر . وصَهْصَلِق[٥٨] : من صَهَل ، وصَلَق . والصِّلْدِم[٥٩] : من الصَّلْد ، والصَّدْم .

قال : وقد ألّفَ في هذا النَّوْع (أبو عليّ الظّهير(*) حَسَن بن الخطير ، النُّعْمانيّ ، الفارسيّ ، المتوفّى سنةَ ثمان وتسعين وخمس مئة) ، وسمّى كتابه : (تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب) .

ثمّ ذكر عِدّة ألفاظ منحوتة ، فقال :

---

(٥٣) « أو الجعفدة » : ليست في كتاب فقه اللغة المطبوع .

(٥٤) فقه اللغة (١٩٦) .

(٥٥) المزهر (١/٤٨٢ – ٤٨٥) ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى .

(٥٦) عبشميّ : تقدم في التعليق (٣٥) .

(٥٧) في الصّاحبي ، والمزهر : « فأكثرها » .

(٥٨) تقدّم في التعليق (٣٧) .

(٥٩) تقدّم في التعليق (٣٨) ، وقال ابن فارس : « قد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب (مقاييس اللغة) » .

يقال : قد أكثر من البَسْمَلَة[٦٠] ، إذا أكثر من قول : بِسْمِ الله .

ومن الهَيْلَلَة ، إذا أكثر من قولِ : لا إله إلا الله .

ومن الحَوْلَقَة والحَوْقَلَة ، إذا أكثر من قولِ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله .

ومن الحَمْدَلَة ، أي : من « الحمدُ لله » .

ومن الجَعْفَدَة ، أي : من « جُعِلت فِداك » .

ومن السَّبْحَلَة ، أي : من « سُبْحانَ اللهِ » .

والحَسْبَلَةُ : قَولُ حَسْبِيَ اللهُ[٦١] .

والمَشْأَلَةُ : قولُ ما شاء اللهُ .

---

(٦٠) نَصُّ المزهر(٤٨٣) : « وفي إصلاح المنطق لابنِ السِّكّيت، وتهذيبه للتبريزيّ: يقال قد أكثر من البَسْمَلَة ، إذا أكثر من قولِ بسم الله ... » .

(٦١) بعده في المزهر : « وحكى الفرّاء عن بعض العرب : « معي عَشَرَةٌ ، فأحِّدْهُنّ لي » ، أي : صَيِّرْهُنَّ أحد عشر » . ثم قال السُّيوطيّ : « وزاد الثّعالبيّ في « فقه اللغة » : الحيعلة .. ، والطَّلْبقة .. ، والدَّمْعَزَة ... » . وفي « الصحاح » : قد حيعل المؤذّن ، كما يقال : حَوْلَقَ ، وتَعَبْشَمَ — مركَّباً من كلمتين . وقال ابن دِحية في « التنوير » : « ربّما يتّفق اجتماع كلمتين من كلمة واحدة دالّةٍ على كِلْتا الكلمتين ، وإن كان لا يمكن اشتقاق كلمة من كلمتين في قياس التّصريف ، كقولهم « هلّلَ » ، أي : قال « لا إلهَ إلّا الله » ، و « حَمْدَل » ، أي : قال « الحمدُ لله » ، و « الحولقة » قولُ « لا حَوْلَ ولا قُوَّةُ إلا بالله » ، ولا تَقُلْ « حَوْقَلَة » ، بتقديم القاف ، فإنّ الحوقلة مِشْيَةُ الشَّيخ الضَّعيف ، والبَسْمَلَةُ قولُ بِسْم الله ، والسَّبْحَلَة قولُ سُبْحانَ اللهِ ، والهيللة قولُ لا إلهَ إلا الله ، والحسبلة قولُ حَسْبيَ الله ، والمشألة قولُ ما شاء الله ، يقال : فلان كثير المَشْأَلة ، إذا أكثر من هذه الكلمة ، والحيعلة قولُ حَيَّ على الشَّيء ، والحَيْهَلَة حَيَّهلاً بالشَّيْء ، والسَّمْعَلَة سلام عليكم ، والطَّلْبقة أطال الله بقاءك ، والدَّمْعَزَة أدام الله عزّك ، ومنه قول الشّاعر : =

والسَّمْعَلَةُ : سلامٌ عليكم .
والطَّلْبَقَةَ : أطال الله بقاءك .
والدَّمْعَزَة : أدام الله عِزَّك .

وينسب إلى (الشّافعيّ) مع (أبي حَنيفةَ) : شَفْعَنْتِيّ ، وإلى (أبي حنيفة) مع (المعتزلة) : حَنْفَلْتِيّ . »[٦٢] انتهى .

*

ولا تظُنَّ أنّها منحصرة فيما ذكرنا ، بل إنّك إذا حكيتَ كلّ صوت ، فهو من هذا القبيل .

وقد أسلفنا لك قول (ابن جِنّي(*)) : « إنّ الاشتقاق من الأصوات باب يطول استقصاؤه[٦٣] » .

= لازلتَ في سعدٍ يدومُ ودَمْعَزَهْ

أي : دوام عزّ . والجعفدة جُعِلت فِداك ، وقولهم الجَعْفَلَةُ ، باللام ، خطأ ، والكبتعة [لم يفسّرها ، وحين اختصر المؤلف رحمه الله نقول السُّيُوطيّ وقف عند الدَّمعزة ، وأسقط الكَبْتَعَةَ ، وهي قولُ « كَبَتَ اللهُ عَدُوَّك »] . وفي « الجمهرة » : « العَجَمْضَى : ضرب من التَّمْر ، وهما اسمان جُعِلا اسماً واحداً : عَجْم وهو النَّوَى ، وضاجم وادٍ معروفٌ » .

(٦٢) نقله السُّيُوطيّ في المزهر من « المستوفي » لابن فرحان ، ورجّح محقّقه محمّد أحمد جاد المولى أن يقال في النّسب الى الشّافعيّ مع أبي حنيفةَ « شَفْعَنَفِيّ » – بفاءين – قياساً على « حنفلتي » في النّسب الى أبي حنيفة مع المعتزلة . وهذا من مُبْتَسَرات النحت .

(٦٣) ينظر التعليق (٣٢) .

فصل في نوع من النَّحْت

(العرب) تقول : بَلْعَنْبَر ، وبنو العَنْبَر(*) . وكذلك يفعلون فيما فيه ألف ولام ، إذا لم يكن ثَمَّ إدْغام ، فيقولون : بَلْعَجْلان ، وبَلْحَرْث ابن كَعْب .

فإنْ كانت لام التّعريف مدغمة ، مثل : النَّمَرِيّ(*) ، ونحوِه ، لم يحذِفوا النّون من : بني .

وبيان ذلك : أنّهم يُريدون : بني العَنْبَر ، فيحذفون الياء ؛ لسكونها وسكون اللام ، ثُمَّ من بعدها يحذِفون النُّونَ لِأَمْرَيْنِ : أحدهما كَثْرَةُ الاستعمال ، والآخَرُ مشابهةُ النّون اللامَ ، فتحذف كما يحذف أَحَدُ المِثْلَيْنِ في نحوِ : حَسْتُ ، وظَلْتُ(٦٤) .

والدّليل على أنّ المراد في قولهم : بَلْعَنْبَرَ ، ما ذكرناه : أنَّ التّنوين لا يصحَبُ كسرة الرّاء في : بَلْعَنْبَر . وإنّما حذفت النّون من : بني ؛ لاجِتْماعها مع اللام[٦] من العَنْبَر ، لِتقارُبِهما في المَخْرَج . وذلك لأِنَّه لمّا تَعذَّرَ الإدْغام فيه . حصل الحذف ، بدلاً من الإِدْغام . وإنَّما تعَذَّر الإِدْغامَ . لأَنَّ الأوّل متحرّك ، والثّانيَ ساكنٌ سكوناً لازماً . ومن شرط المُدْغَم تحريك الثّاني إذا أُدْغِمَ الأوّل فيه . والثّاني

(٦٤) حَسْت : أصله حَسَسْتُ ، أُلْقيت منه سينه الأُولى . وظَلْتُ أصله ظَلِلْت ، ألقيت منه لامه الأولى . وكذلك في قوله تعالى : -(وانظُرْ إلى إلهِكَ الّذي ظَلْتَ عليه عاكِفاً)- ، وقوله : -(فظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ)- ، وقُرِيء: فَظِلْتُم ، أُلقيت اللام المتحركة ،وكانت فظَلِلْتُمْ . وكذا ورد : وَدْتُ وَوَدِدْتُ ، وهَمْتُ وهَمَمْتُ ، ومَسْتُ ومَسَسْتُ ، وظَنْتُ وظَنَنْتُ . وقصره ابن جنّي على السّماع ، ومنع القياس عليه . وحكى ابن مالك في « التّسهيل » : أنّ الحذف في مثل هذا لغة بني سُلَيْم ، ومن ثَمَّ قال الشّلوبين بالقياس عليه .

هاهُنا حرف التّعريف ، وسكونه لازم . فَجُعِل الحذف بدلاً من الإدْغام ، لمّا تعَذَّر ؛ لِكونِه مؤدّياً إلى التّخفيف المطلوب .

ولا يلزم على هذا أن تحذف النُّون من (بني النَّجّار) ؛ لأنّ اللام قد أُدْغِمت في النُّون الّتي بعدها ، فلا يمكن تقدير إِدْغام النُّون الّتي قبلها فيها ، حتى إذا تعَذَّر ، جعل الحذف بدلاً من الإِدْغام ، بِدَلالةِ أنّ ثلاثة أشياءَ لايَصِحُّ إِدْغام بعضها في بعض .

ومّما يُشْبِه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين ، واستعمال الحذف في أحدهما بدلاً من الإدْغام ، قولُ (قَطَرِيّ(*) بْن الفُجاءَة) :

غَداةَ طَفَتْ عَلْماءِ (بَكْرُ بْنُ وائلٍ)
وعُجْنا صُدُورَ الخَيْلِ نَحْوَ (تَمِيمِ[٦٥])

ونظيرهُ ، وإن كان التقاؤهما في كلمة واحدة ، قولُهم : ظللتُ ، ومسست ، يقال فيهما : ظِلْتُ ، ومِسْتُ . وإن شئتَ ، قُلتَ : ظَلْتُ ، ومَسْتُ ، تُلْقِي حركة المحذوف على فاء الفعل .

---

(٦٥) البيت من قطعة قِيلت في « يوم دَوْلاب » – وقعة بين أهل البصرة ، وأميرُهم مسلم بن عنبس ، وبين الخوارج سنة ٦٥ هـ ، في قرية دَوْلاب على أربعة فراسخ من الأهواز « الأحواز » – ، ونُسِبت القطعة الى قَطَرِيّ ، والى غيره ، وهم : عبيدة بن هلال اليَشْكُريّ ، وحبيب بن سَهْم ، وصالح بن عبدالله العبشميّ ، وعمرو القنا . ورويت في الكامل للمبرّد ، والأغاني ، ومعجم البلدان ، وعدّتها (١٧ بيتاً) ، نَفَى صاحب الأغاني ثلاثة أبيات منها ، قال : هي ليست من هذه القطعة . – وقوله « عُجْنا » معناه عَطَفْنا . – وبكر بن وائل بن قاسط : جدّ جاهليّ ، من بني ربيعة ، من عدنان . – وتَميم : هو تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إِلْياس بن مُضَر ، جدّ جاهلي ، بنوه بطون كثيرة ، وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب . – وقوله « عَلْماءِ » : يريد على الماءِ ، قال المبرّد : إنّ العرب إذا الْتَقَتْ في =

= مثل هذا الموضع لامانِ ، استجازوا حذفَ إحداهما ، استثقالاً للتضّعيف ؛ لِأنّ ما بقي دليل على ما حُذِف ، فيقولون « عَلْماءِ بنو فلان » كما قال الفرزدق :

وما سبق القيسيّ من ضَعف حيلــةٍ
ولٰكــنْ طفت (عَلْماءِ) قلفة خالدِ

قال : وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فإنّهم يجيزون معه حذف النّون الّتي في قولك «بَنُو» ، لقرب مخرج النّون من اللام،وذلك قولك : فلان من بَلْحَرْث ، وبَلْعَنْبَر ، وبَلْهُجَيْم » .

قلت : ومن شواهد هذا الحذف ، قول سَلَمَةَ بن عبدالله :

فرَدَّدَ الهَدْرَ وما إنْ شَحْشَحــا
يميــل (عَلْخَدَّيْنِ) ميلا مصفحا

أي : يميل على الخَدَّيْن ، فحذف . وكذلك يجيزون حذف النّون مِنْ « مِنْ » و « عَنْ » عند الألف واللام ، لالتقاء السّاكنَيْن . وحذفها من « مِنْ» أكثر مِن حذفها من « عَنْ » ؛ لأنّ دخول « مِنْ » في الكلام أكثر من دخول « عن » على مالاحظ الزّجّاج ، وأنشد ـ وهو في الخصائص (١ /٣١١ ، و٣/٢٧٥) ، وأمالي ابن الشّجَرِيّ (١ـ٩٧) ، ولسان العرب (ألك) ـ :

أبــلغْ أبا دَخْتَنُوسَ مألُكــةً
غيرَ الّذي قد يقالُ (مِلْكَذِبِ)

وقال ابن الأعرابيّ : يقال « مِنَ الآنِ » و « مِلآن » يحذفون ، وأنشد :

ألا أبلغْ بني عوف رســولاً
فمــا (مِلآنِ) في الطّير اعتذارُ

يقول : لا أعتذر بالتَّطَيرُّ ، أنا أفارقكم على كلّ حال .

ومنه أيضاً قول عمرو بن كُلْثُوم :

فما أبقتِ الأيّام (مِلْمالِ) عندَنــا
سِوَى جِذْمِ أذْوادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ

أراد : من المال .

وما أنشده ابن صخر ـ وهو في الخصائص (١ /٣٢٠) ، وبقية أشعار الهُذَلِيّين (٩٣) ، والأمالي ١ /١٤٨ ، ولسان العرب (أ / ي / ن) ـ : =

= كأنّهمـا (مِلْآنِ) لـم يتَغَيّرا
وقد مَرَّ للدّارين من بعدِنا عَصْرُ

ولأبي الطّيّب المتنبّي :

نحن ركْبٌ (مِلْجِنّ) في زيّ نـاسٍ
فوقَ طَيْرٍ لهـا شُخُوصُ الجِمْالِ

أراد : من الجنّ ، فحذَفَ .

* * *

فصـل في نحت النِـسْبَـة(٦٦)

[إنّ النِـسبة الى المركّبات الإضافيّة تكون للجزء الثّاني منها ، وهي ثلاثة أنواع . النَّوْع الأوّل أن تكون الإضافة فيه كُنْيَةً ، كأبي بكر وأمّ كُلْثُوم . والنَّوْع الثّاني أن يكون الأوّل عَلَماً بالغَلَبة ، كابن عبّاس وابن الزُّبَيْر . (والفرق بينهما أنّ عَلَميّة المكنّى ، بالوضع ، وعَلَميّة العَلَم الغالب ، بالغَلَبة) . والنَّوْع الثّالث ما سِوَى هذين ، مثل : عبد القَيْس وامْرِىء القَيْس .

ففي النَّوْع الأوّل والثّاني ، يُنْسَب إلى الجزء الثّاني ، ويُلْقَى الجزء الأوّل ، فيقال : بَكْرِيٌّ وكُلْثُوميٌّ ، وعبّاسيٌّ وزُبَيْرِيٌّ .

وفيما سِواهما . يُنْسَب إلى الجزء الأوّل منه ، ما لم يُخَفْ لَبْس ، فيقال في عبدالقيس وِامْرِيءِ القيس — وهما قبيلتان — : عَبْدِيٌّ ، وامْرُئِيٌّ أو مَرَئِيّ — بفتح أوّله وثانيه . فإنْ خيف لَبْسٌ ، نُسب الى الثّاني ، كعبد الأشْهَل وعبد مَناف . فقد قالوا فيهما : أَشْهَلِيٌّ ومَنافِيٌّ ، ولم يقولوا : عبديّ . وجميع ما بُدِيء بـ « عبد » فيه لَبْس"(٦٦)] .

---

(٦٦) ترك المؤلف ، رحمه الله ، تحت هذا العنوان بياضاً يستغرق نحو اثنَيْ عشر سطراً ، فملأته بما قرره النُحاة في المسألة .. مستأنساً بما قاله في آخر الفصل ، ليجيء الكلام منسجماً معه ، وذلك قوله: « واعلم أن النَحْت في هذه الألفاظ ليس شاذّاً ، وإنّما الشُذوذ في النّسبة إليها منحوتةً ، بل القاعدة المُطَّرِدة في النّسب إلى المركّبات الإضافية ، ما أسلفنا في أوّل هذا الفصل » . وفي المسألة تفصيل تركته مراعاة للايجاز الذي درج عليه المؤلّف ، وهو في مبسوطات كتب النَّحْو : شروح ألفيّة ابن مالك ، وحاشية الصَّبّان على شرح الأُشمونيّ (٩١/٤ — ٩٢) ، والنُكَت على الألفيّة والكافية والشّافية والشُذور والنُزْهة لِجلال الدين السُيوطيّ ، وغيرها .

[٧] وشَذَّ بناء فعلل ، أي منحوتاً من جُزْءَيِ الإضافيّ منسوباً إليه ، كما شذَّ ذلك في المركّب المَزْجيّ ، أي : كما شذّ بناء فَعْلَل في المركّب المَزْجِيّ ، أي : في النّسب إليه ، حيث قالوا : حَضْرَميّ ، في النّسب إلى (حَضْرَمَوْتَ) .

والمحفوظ من ذلك : تَيْمَلِيٌّ ، وعَبْدَرِيٌّ ، ومَرْقَسِيٌّ ، وعَبْقَسِيٌّ ، وَعَبْشَمِيٌّ – في : (تَيْم اللات(*)) ، و(عبدالدّار(*)) ، و(امْرِيءِ القيس(*) ابن حُجْر الكِنْدِيّ) ، و (عبدالقيس(*)) ، و (عبدِ شَمْس(*)) .

وإنّما فعلوا ذلك ، فِراراً من اللَّبْس .

وكما وَقَع (النّحت في النّسب) ، وقع في (الفعل) ، فقالوا : تَعَبْشَمَ ، وتَقَعْبَسَ ، أو : تَعَبْقَس . ومعنى تعبشَمَ : انتسب إلى (عبد شمس) ، وتَقَعْبَسَ : انتسب إلى (عبد القيس) .

وهكذا البواقي .

وأمّا (عَبْشَمْسُ بن زيدِ مَناة(*)) ، فقال (أبو عمرو بن العلاء(*)) : أصلُه عَبُّ شَمْس ، أي : حَبُّ ، والعين مبدلة من الحاء . وحَبُّ الشَّمْس : ضوؤها[٦٧] .

وقال (ابن الأَعْرابيّ(*)) : أصله عَبْءُ شَمْسٍ ، والعَبْءُ : العِدْلُ ، أي : هو نظير شمس[٦٨] .

---

(٦٧) في الصحاح ، وعنه في لسان العرب (ش / م / ش) : « أمّا عَبْشَمْسُ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميم ، فإنّ أبا عمرو بن العلاء يقول : أصلُهُ عَبُّ شَمْسٍ ، كما تقول : حَبُّ شمسٍ ، وهو ضوؤها ، والعين مبدلة من الحاء ، كما قالوا في : عَبُّ قُرٍّ ، وهو البَرَدُ » . [يعني حَبّ قُرّ ، بالحاء المهملة] . وفي لسان العرب : « ويقال للبَرَد : حَبُّ الغَمام ، وحَبُّ المُزْن ، وحَبُّ قُرٍّ » .

(٦٨) في لسان العرب وغيره : « قال ابن الأعرابيّ : اسمه عَبْءُ شمس ، بالهمز . والعَبْءُ : العِدْل ، أي : هو عِدْلُها ونظيرها ، يفتح ويكسر . وعبد شمس : =

والحاصلُ أنّ هذه اللفظة ، بسكون الباء ، وأصلها بتشديدها ، فخفّف بحذف الباء الثّانية ، وليس من (باب النَّحْت) .

وكذلك على رواية (ابن الأعرابيّ(*)) ، بكسر العين مع الهمزة آخره ، واحد الأَعْباء ، فخُفّـِف بقلب الكسرة فتحةً ، وحذفِ الهمزة . فليس على هذا من (باب النّحت) أيضاً .

واعلَمْ أنَّ النَّحت في هذه الألفاظ ليس شاذّاً ، إنّما الشُّذوذ في النّسبة إليها منحوتةً. بل القاعدة المُطَّرِدة في النّسب إلى المركّبات الإضافيّة ما أسلفناه أوّلَ هذا الفصل .

* * *

= من قُرَيش ، يقال : هم عَبُ الشّمْس ، ورأيت عَبَ الشّمْس ،ومررت بِعَبِ الشّمْس ، يريدون عبدَ شَمْسٍ . وأكثر كلامهم :رأيت عبدَ شَمْسٍ . ومنهم من يقول : عَبُّ شَمْسٍ ، بتشديد الباء .. » .

فصل في ذكر ألفاظ اختُلِف فيها
هل هي منحوتة ، أو ـ لا[٦٩] ؟

وهي كلمات كثيرة ، نذكر بعضها ، ليكون أنموذجاً لغيره ، فنقول : من الكلمات الّتي اختلف فيها : هل هي منحوتة ، أو ــ لا ، قولُهم : وَيْلُمِّهِ ووَيْلُمِّها . قال (ابن الشَّجَرِيّ)(*) : «يروى بكسر اللام وضمّها ، والأصل : ويلٌ لِأُمِّهِ ، فحُذِف التّنوين ، فالْتَقَى مِثلانِ : لامُ وَيْل ، ولام الخفض ، فأسكنت الأولى وأُدغمت في الثّانية ، فصار : ويلِ امّ ، مشدَّداً واللام مكسورة ، فخُفِّف ــ بعد حذف الهمزة ــ بحذف إحدى اللامين . فـ (أبو عليّ(*)) ومن أخذ أَخْذَهُ نصبوا ، على أنّ المحذوف اللام المدغمة ، فأقَرُّوا لام الخفض على كسرتها . وآخَرون نَصُّوا على أنّ المحذوفة لام الخفض ، وحرّكوا اللام الباقية بالضَّمّة الّتِي كانت لها في الأصل . » إنتهى .

قال (أبو عليّ(*)) في (الإيضاح الشِّعْرِيّ) : حذف الهمزة من «أُمّ» في هذا الموضع ، لازم على غير قياس ، كقوله[٧٠] :

يابا (المُغيرَةِ) والدُّنْيا مُفَجِّعَةٌ[٧١] .

---

(٦٩) في الأصل : « هل منحوتة ، أو ــ لا » ، بإسقاط « هي » ، خلافاً لِما يأتي .

(٧٠) هو حارثة بن بدر بن حصين الغُدَانيّ ، من شعراء العصر الأموي(•) .

(٧١) شطره الثاني : « وإنّ مَنْ غَرَّ بالدنيا لمَغْرُورُ » ، وفي رواية ثانيـة « وإنّ من غَرَّتِ الدنيا لمغرورُ » ، والبيت من ستة أبيات في الأغاني ، وتسعة في ديوان المعاني ، رثى بها حارثة بن بدر أميرَ العراق أبا المغيرة زياد بن أبي سفيان أخا معاوية الخليفة الأمويّ ، وقد أتاه نعيه وهو عامل من قِبَلِهِ بِـ (سُرَّقَ) ، وكانا صَفِيَّيْن مُتَوادَّيْنِ . وقد رُوِي صدر البيت في الأغاني: « أبا المغيرة ، والدُّنيا مُغَيِّرَة » وهي مخالفة لرواية أبي علي له ، فلا شاهدَ فيها . وأصلُ « يابا » : « يا أبا » ، أَلْقَى الشّاعر همزة « أبا » . ومثله ــ وهو في لسان العرب (١/٢٠) ــ قول الآخر :ـ

ثمّ سُئِل : لِمَ لا يجوز أن يكون الأصل[٨] : وَيْ لِأُمّهِ ، فتكون اللام جارّة ، و « وَيْ » للتَّعَجُّب ؟

فأجاب بِـ : أنّ الّذي يدلّ على أنّ الأصل : ويل امّه ، والهمزة من « أمّ » محذوفة ، قولُ الشّاعر[٧٢] :

= « وأنت – يا با مُسْلِمٍ – وُقِيتا » . ونظير هذا في إلقاء همزة «أب» قول العرب : « لابَ لك » ، يريدون « لا أبَ لك » فحذفوا الهمزة على ما حكاه اللحيانيّ عن الكِسائيّ . كذلك قالوا في : « لا أبَ لك » : « لا أبَكَ » ، بغير لام ، وهي كلمة جرت على ألسنة العرب مجرى المثل . وفي دلالتها ، قال اللغويّون : إنك إذا قلتَ هـذا ، فإنّك لا تَنفي في الحقيقة أبا الرَّجُل ، وإنّما تُخرِجه مُخْرَجَ الدُّعاء عليه ، أي : أنت ممّن يستحقّ أن يُدعَى عليه بفقدِ أبيه . وتصرّفت العرب في هذا اللفظ تصرُّفاً آخر أيضاً ، فأبدلت همزة « الأَبِ » ياءً مُثَنّاةً ، فقالت : « بَيَّبْتُ الرَّجُلَ » إذا قلتَ له : «بِأَبِي» ، وقالت : « يا بِيَبا » ، وعليه قول آدم مولى بَلْعَنْبَر يقوله لابنٍ له من رَجَز : « يابِيَبِي أنت ويا فوقَ البِيَبْ » ، جعل الكلمتين كالواحدة ، لكثرتها في الكلام . وبَيَّبْتُ الرَّجُلَ ، مشتقّ من هذا . وورد البيت على الأصل أيضاً : « يا بأبي أنت ... » كما في الخصائص (١/٢٧٦) ، ولسان العرب ، وتاج العروس . ومن شواهد الأوّل – وهو في مجالس ثعلب (١/٩٧) ، وتفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (١٦٣) ، وغيرهما ، عن ثعلب ، وقائله غير معروف – :

أَرَتْنِيَ حِجْلاً على ساقِها
فهَشَّ الفُؤادُ لِذلكَ الحِجِلْ

فقلتُ ، ولم أُخْفِ عن صاحبي :
ألا بِيَبا أصلُ تلك الرِّجِلْ !

وعن « لابَ لك » أنظر الخصائص (٣/١٤٩و١٥٤) .

(٧٢) هو عبدالله بن عَنَمَةَ الضَّبّيّ(*) : جاهلي ، روى له أبو تمام في ديوان الحماسة ، باب المراثي ، قطعة في الرثاء ، منها هذا البيت ، قالها في مقتل بسطام بن قيس الشَّيْبانيّ . وكان قاتله عاصم بن خليفة الضّبّيّ من قبيلة الشّاعر ، وكان الشّاعر مجاوراً في بني شيبان ، فخاف على نفسه منهم ، فرثى القتيل بهذه القطعة يستميل بها بني شيبان .

لِأُمِّ الأرضِ وَيْلٌ ، ما أَجَنَّتْ
غَدَاةَ أَضَرَّ بِـ (الحَسَنِ) السَّبيلُ[٧٣] !

وقال (ابن السِّيد(*)) في (شرح شواهد أدب الكاتب[٧٤]): « وَيْلُمِّهِ ، بكسر اللام وضمّها . فالضَّمُّ ، أجاز فيه (ابن جِنِّي(*)) وجهين : أحدهما أنّه حذف الهمزة واللام ، وأَلْقَى ضمّ الهمزة على لام الجرّ ، كما رُوِيَ

(٧٣) لأمّ الأرض : الأُمّ لكلّ شيء هو المجتَمعُ والمَضَمّ ، وفي تهذيب اللغة : « واعلم أنّ كلّ شيء يُضَمّ إليه سائر ما يليه ، فإنّ العرب تسمّي ذلك الشّيء أمّاً » ، ومنه : أمّ التّنائف للمَفازة البعيدة ، وأُمُّ الطّريق مُعْظَمُها إذا كان طريقاً عظيماً وحوله طرق صغار ، فالأعظم أمّ الطريق . ومعنى « لِأُمّ الأرض ويلٌ » : ثبتَ لِأمّ الأرض ويلٌ ، وهو دعاء . وقوله « ما أجَنَّتْ » : ما ، استفهام ، فيها معنى التعجب ، وهو مفعول « أجَنَّت » ، أي : سترتْ وأخفت . يقول : سترت رجُلاً وأيَّ رجُل ، أي : سترت جليلاً من الأملاك . وقوله « غَداةَ » هو رواية الخصائص (١٥٠/٣) أيضاً . ورواية ديوان الحماسة ، ومعجم البلدان : « بِحَيْثُ » ، وفي لسان العرب وتاج العروس : « غَداةَ » في (ض / ر / ر) ، و « بِحَيْثُ » في (ح / س / ن) . وحيثُ – هنا – اسمٌ ، أي مكان . والحَسَن : جبل ، وقيل : رملة لبني سعد ، وقال الأزهري : نَقاً في دِيار بني تَميم معروف . قال الجوهريّ : قُتِل بهذه الرملة أبو الصّهباء بِسطام بن قيس بن خالد الشّيباني يومَ النَّقا، قتله عاصم بن خليفة الضَّبّيّ ، قال : وهما جبلان أو نَقَوان ، يقال لأحدهما (الحَسَن) ، وأنشد هذا البيت . – و « أضَرَّ بِهِ » : دنا منه دُنُوّاً شديداً ، ولَصِقَ به ، وفي « أساس البلاغة » : « وبنو فلان يَضُرُّ بهم الطّريق : إذا كانوا على مَمَرّ السّابلة » ، فيكون معنى البيت : ويلٌ لأمّ الأرض أيَّ جليل أخفت من بسطام ، أي بحيث قُتِل عند هذا النَّقا المُسَمّى (الحَسَن) على مَمَرّ السّابلة .

(٧٤) هذا هو القسم الثّالث من (كتاب الاقتضاب) ، وليس كتاباً مستقّلاً ،وقد تكلم ابن السِّيد فيه (ص ٢٦٤ و ٣٦٥) على « ويلمه » . وهذا المحكيّ هاهنا عنه هو في « خزانة الأدب » (١ / ٥٦٢ ، بولاق) ، وقد تصرّف فيه البغداديّ ، فقَدَّمَ وأخَّرَ وحذف .

عنهم : الحمدُ لُلّـهِ بضمّ لامِ الجـرّ. وثانيهما أنْ يكون حذف الهمزةَ ولامَ الجـرّ ، وتكـون اللام المسموعة هي لامُ « وَيْـل » .

وأما كسرُ اللام ، ففيها ثلاثة أوجه : أحدُها أن يكون أرادَ : « وَيْلَ أمِـهِ » ، بنصب « وَيْلَ » وإضافتِه إلى « الأُمّ » ، ثمّ حذف الهمزةَ لكثْرة الاستعمال ، وكسر لامَ « وَيْل » إتْباعاً لكسرة الميم. والثّاني أن يكون أرادَ : وَيْلٌ لِأُمّه ، برفع « وَيْل » على الابتداء ، ولِأُمّه خبره ، وحذف لام وَيْل وهمزة أمّ ، كما قالوا : ايش لك ؟ يُريدون : أيُّ شيءٍ ؟ فاللام المسموعة على هذا ، لام الجرّ. والثّالث أن يكون الأصل : وَيْ لِأُمِـهِ ، فيكون على هذا قد حذف همزة أُمّ — لاغير . وهذا عندي أحسن هذه الأَوْجُه ؛ لأنّه أقلّ للحذف والتّغيير[٧٥] . وأجاز (ابن جِنّـي(*)) أن تكون اللام المسموعة هي لامُ وَيْل ، على أن يكون حذف همزة أُمّ ولام الجرّ ، وكسر لام وَيْل إتباعاً لكسرة الميم . وهذا بعيد جِدّاً .

هذا إعلالُها . وأمّا معناها ، فهو مدح خرج بلفظ الذّمّ . و (العرب) تستعمل لفظ الذّمّ في المدح . يقال : أخزاه اللهُ ، ما أشعَرَهُ ! ولعنه اللهُ ، ما أجرأه !

وكذلك يستعملون لفظ المدح في الذّمّ . يقال للأحمق : ياعاقلُ ! وللجاهل : ياعالمُ ! ومعنى هذا : ياأيُّها العاقل عند نفسه ، أو عند من يظنّه عاقلاً .

وأمّا قولهم : أخزاه الله ، ما أَشْعَرَه ! ونحو ذلك من المدح الّذي يخرجونه بلفظ الذّمّ ، فلهم في ذلك غَرَضان : أحدهما أنّ الإنسان إذا رأى الشّيْ ، فأثنى عليه ونطق باستحسانه ، فرُبمّا أصابه بالعين وأضرّ بِهِ ، فيعدِلُون عن مدحه إلى ذمّه ، لِئلّا يؤذوه . والثّاني أنّهم يُريدون أنّه قد بلغ غاية الفضل ، وحصل في حدِّ مَنْ يُذَمّ ويُسَبُّ ؛ لِأنّ الفاضل

---

(٧٥) في الاقتضاب (٣٦٥) : « لأنه أقلّ الحذف والتقدير » ، وأرى « التقدير » تحريفاً ، صوابه « التغيير » .

يكثُرُ حُسّادهُ والمعادون له ، والنّاقص لايلتفت إليه . ولذلك كانوا يرفعون أنفُسَهم من مُهاجاة الخسيس ومجاوبة السَّفيه[٧٦] .

وفي (القاموس)[٧٧] : رَجُلٌ وَيْلُمِّهِ ، بكسر اللام وضمّها : داهٍ . ويقال للمُسْتَجاد : وَيْلُمِّهِ ، أي : وَيْلٌ لأُمِّهِ ، كقولهم : لا أبَ لك ، فركّبُوه ، وجعلوه كالشّيْءُ الواحد . ، ثمّ لَحِقته الهاء مبالغةً ، كداهية . إنتهى .

وهذا ، استعمالٌ ثانٍ ، جعل المركّب في حكم الكلمة الواحدة . وليست الهاء في آخره ضميراً ، بل هي هاء تأنيث للمبالغة ، فلا تعريف . ولهذا [٩] يَقَعُ وصفاً للنّكرة .

---

(٧٦) بعد هذا في « الاقتضاب » (٣٦٥) :

« ولذلك قال الفرزدق :

وإنّ حراماً أنْ أسُبَّ (مُقاعِساً)
بِآبائِكَ الشُّمِّ الكِرامِ الخَضارِمِ

ولكِنَّ نَصْفاً لو سَبَبْتُ وسَبَّنِي
بنو (عبد شمس) من (مَنافٍ) و(هاشِمِ)

وقال أبو الطّيّب :

صَغُرْتَ عن المديح ، فقلتَ : أُهْجَى !
كأنّك ما صَغُرْتَ عن الهجاء !! » .

(٧٧) في مادة (و / ي / ل) ومادة (أ / م / م) . وفي لسان العرب (مادّة ويل) : « ورجلٌ وَيْلِمّهِ ، ووَيْلُمِّهِ ، كقولهم في المُسْتَجاد : وَيْلُمِّهِ ، يريدون : وَيْلَ أُمّهِ ، كما يقولون : لابَ لك ، يريدون : لا أبَ لك ، فركّبوه وجعلوه كالشّيْء الواحد . قال ابن جنّي : هذا خارج عن الحكاية ، أي : يقال له من دهائه : وَيْلِمّهِ ، ثمّ أُلحقتِ الهاء للمبالغة ، كداهية » .

قال (أبو زيد(*)) في (كتاب مَسائِيَة[٧٨]) : « يقال : هو رجل وَيْلِمَّة[٧٩] » .

وروى (ابن جنّي(*)) في (سرّ الصناعة[٨٠]) عن (أبي عليّ(*)) عن (الأصمعيّ(*)) : أنّه يقال : رجل ويلمّه ،وهو من قولهم : « وَيلُ امّ سَعْدٍ سَعْدا[٨١] » . قال : والاشتقاق من الأصوات باب يطول استقصاؤه .

وعلى هذا يجوز دخول لام التّعريف عليه . قال (الرّياشيّ(*)) : الوَيْلِمَّةُ ، من الرِّجال : الدّاهية الشَّديد الّذي لايُطاق[٨٢] .

---

(٧٨) مَسائِيَة ، بتخفيف الياء : هي من المصادر العشرة لفعلِ « ساءَ » نقيض « سَرَّ » ، ذُكرت في لسان العرب وغيره ، واقتصر أبو زيد على ثلاثة منها ، قال : « يقال : سُؤْتُهُ مَساءة ، ومَسائِيَةً ،وسَوائِيَةً » ، ولم يزد كلاماً آخر . وسأل سيبويه أُستاذه الخليل بن أحمد عن « مَسائية » ، فقال له : « هي مقلوبة ، وإنّما حدُّها مَساوِئة ، فكرهوا الواو مع الهمز ؛ لأَنهما حرفان مُسْتَثْقَلان » . وساء يسوء : فعل لازمٌ ومتعدٍّ . و« كتاب مَسائِيَة » يضاف الى « كتاب النّوادر » ، وبعض النّاس يفرده منه . والقول الأوّل هو الصّواب ، وهو خاتمة (كتاب النّوادر) بدأه أبو زيد بقوله : « باب نوادر . قال أبو زيد : يقال سُؤْتُهُ مَساءَةً ، ومَسائِيَةً ، وسَوائِيَةً » ، ومضى يذكر بعد هذه العبارة المقتضبة ألفاظاً من نوادر اللغة استغرقت — مع التعليقات في نشرة د . محمد عبدالقادر أحمد (٤٤ صفحة) ، وختمت بالعبارة الآتية : « تَمَّ كتاب النَّوادر وما يضاف إليه من كتاب مسائية » .

(٧٩) النَّصّ في كتاب النّوادر (٥٨٣ — تحقيق د . محمد عبدالقادر أحمد) : « ويقال : هو رجل وَيْلِمَّةٌ ، والوَيْلِمَّةُ من الرِّجال : الدّاهية الشّديد الذي لا يطاق . قال الرِّياشيّ : رجلٌ وَيْلِمَهِ ، والوَيْلِمَهِ من الرّجال » .

(٨٠) تقدم في التعليق (٣٢) .

(٨١) تقدم في التعليق (٣٣) .

(٨٢) كتاب النّوادر (ص ٥٨٣) .

ولا يلتفت إلى قول (أبي الحسن الأخفش(*)) فيما كتبه على (كتاب مَسائِيَة[٨٢]) : « من كلام (العرب) السّائر أن يقولوا للرّجُل الدّاهية : إنّه لَوَيْلُمِّهِ صَمَحْمَحاً ، والصَّمَحْمَحُ : الشّديد . هذا هو المعروف[٨٣] .

والذّي حكاه (أبو زيد(*)) ، غيرُ ممتنع ، جَعَلَه اسماً واحداً ، [فأعربه[٨٤]] .

فأمّا حكاية (الرّياشِيّ(*)) في إدخال الألف واللام على اسمٍ مُضافٍ ، فلا أعلم له وجهاً » . انتهى[٨٥] .

أقول : الّذي رواه عن (العرب) من قولهم : إنَّهُ لَوَيْلُمِّهِ صَمَحْمَحاً ، غيرُ الذّي قاله (أبوزيد(*)) كما بيَّنّاه . فإنّه جعل الكلمتين في حكم كلمة واحدة ، فلا إضافة فيه ، والهاء للمبالغة ، والكلمة حينئذٍ نكِرة ، فيدخل عليها لام التّعريف ، فتأمَّلْ .

---

(٨٣) في لسان العرب وغيره : «الصَّمَحْمَحُ ، والصَّمَحْمَحِيُّ ، من الرّجال : الشّديد المجتمع الألواح ، وكذلك الدَّمَكْمَكُ ، وهو في السّنّ ما بين الثّلاثين والأربعين ، وقيل : هو القصير ، وقيل : الغليظ القصير ، وقيل : الأصلع ، وقيل : المحلوق الرّأس ـ عن السّيرافيّ ، والأنثى من كلّ ذلك بالهاء ... وبعير صَمَحْمَحٌ : شديد قويّ» . وفي « باب المثلين .. » من الخصائص (٢/٦٠ و ٦٨) كلام في الصمحمح والدمكمك ، وبابهما .

(٨٤) زدتُها من كتاب نوادر أبي زيد (٥٨٣) .

(٨٥) بعده في كتاب نوادر أبي زيد (٥٨٣) : « ويدُلُّك على ما قلناه ، ما أنْشَدَناه المبرِّد وغيره للحطيأة :

وَيْلِ امِّهِ مِسْعَرَ حربٍ اذا
غُودِرَ فيها وعليه الشَّليلْ
تشقى به النّابُ إذا ما شَتا
والفحلُ والمُصْعَبَةُ الخَنْشَليلْ » .

ومنها : (يالا) ، خلطت لام الاستغاثة بحرف النِّداء ، وجُعِلتا كالكلمة الواحدة ، وحُكِيتا كما تُحْكَى الأصوات ، وصار المجموع شِعاراً للاستغاثة . قال الشّاعر(٨٦) :

فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ البَأْسِ مِنْكُـم
إذا الدّاعي المُثَوِّبُ قالَ : يالا(٨٧)

قال (أبو زيد(*)) في (نَوادِرِهِ) : « أراد يالَبَنِي فُلان ، يُرِيدُ حكاية الصّارخ المستغيث(٨٨) » .

---

(٨٦) في نوادر أبي زيد (١٨٥): هو « زهير بن مسعود الضَّبّيّ(*) ، أو سُوَيْد(*) ، شَكَّ أبو زيد(*) » .

(٨٧) البأس : الشِّدّة والقوّة، ورُوي في النَّوادر : « النّاس » بالنّون . والدّاعي : المُنادي وطالبُ الإقبال . والمثوِّب : اسم فاعل ، من : ثَوَّبَ الدّاعي تثويباً ، اذا عاد مَرّةً بعد أخرى، ومنه تثويب المؤذِّن اذا نادَى بالأذان للنّاس الى الصَّلاة ، ثم نادَى بعد التّأذين فقال : «الصّلاةَ، رحمكم اللهُ، الصّلاة » ، يدعو إليها عَوْداً بعد بَدْء . وأصله أنّ الرَّجُلَ اذا جاء مستصرخاً ، لَوَّح بثوبه لِيُرَى ويشتهر ، فكان ذلك كالدّعاء ، فَسُمِّيَ الدّعاء تثويباً لِذلك . وكل داع مثوّب . وقوله « يالا » : قال ابن هشام في « مغني اللبيب » (١/٢٤١) : زعم الكوفيون أن اللام في المستغاث بقيّة اسم ، وهو « آل » ، والأصل : يا آلَ زيدٍ ، ثم حذفت همزة « آل » للتّخفيف وإحدى الألفين لإلتقاء السّاكنَيْن، واستدَلّوا بقوله : « فخيرٌ نحن عند النّاس...» البيت ، فإنّ الجار لا يقتصر عليه . وأُجيب بأنّ الأصل « يا قوم ،لافِرارَ » ، أو « لا نَفِرَّ » ، فحذف ما بعد « لا النّافية » ، أو الأصل « يا لفلان » ، ثمّ حذف ما بعد الحرف . كما يقال : ألاتا ؟ فيقال : ألافا ، يُرِيدون : ألاتفعلون ؟ و : ألا فافعلوا » .

(٨٨) في كتاب النوادر (١٨٦) : « أرادَ : يا لبني فلان ، فحكى صوت الصارخ المستغيث » .

وهذا ، مذهب (أبي عليّ(*)) أيضاً وأتباعه . والأصل عندهم : يا لَبَنِي فُلان ! أو : يالَفُلان ! فحذف ما بعدَ لام الاستغاثة ، كما يقال : إلّا تا ، فيقال : إلّا فا ، يريدون : إلّا تفعلوا ، وإلّا فافعلوا[٨٩] .

وهذا أحد مذاهبَ ثلاثة فيه .

ثانيها أنّ المنادَى والمنفيّ بلا ، محذوفان ، أي : يا قوم ! لاتَفِرّوا . ذكره (ابن مالك(*)) في (شرح التّسهيل) ، و (ابن هِشام(*)) في (المُغْنِي) .

ثالثها أنّه بقيّةُ : يا آلَ فُلان ، وهو مذهب (الكوفيّين) . قالوا في : يا لَزَيْدٍ ، أصله : يا آلَ زيد ، فحذفت همزة آل — للتّخفيف ، وإحدى الألِفين — لا لِتِقاء السّاكِنَيْن . واستدلّوا بهذا البيت ، وقالوا : لو كانت اللام جارّة ، لمَا جاز الاقتصار عليها .

قال الشّيخ (الرَّضِيّ(*)) : وهو ضعيف ؛ لِأنّه يقال ذلك فيما لا آلَ له ، نحو : يا لَلّهِ ، ويا للَدَّواهي ، ونحوهما .

وأجاب (ابن جِني (*)) في (الخصائص) عن دليلهم بقوله[٩٠] : « فإن قلتَ : كيف جاز تعليق حرف الجرّ ؟ قلتُ : لمّا خُلِطَ بِـ « يا » صار كالجزء منها . ولذلك شبّهَ (أبو عليّ(*)) ألِفَهُ التّي قبل اللام بألف « بابٍ » ، و « دارٍ » ، فحكم عليها [حينئذ][٩١] بالانقلاب .

وحسّنَ الحالَ أيضاً شيء آخر ، [١٠] وهو تَشَبُّثُ[٩٢] اللام الجارّة بألِفِ الإطلاق ، فصارت كأنّها مُعاقِبة للمجرور . ألا تَرَى أنّك لو أظهرتَ

---

(٨٩) تقدم في التعليق (٢٣) .

(٩٠) الخصائص (٢ / ٣٧٥) .

(٩١) الزيادة من الخصائص .

(٩٢) في خزانة الأدب (١ /٢٢٨ بولاق) : « تثبت » ، وكالمثبت هنا في « الخصائص » .

ذلك المضافَ إليه[٩٣] ، وقلتَ : يا لَبَنِي فلان ، لم يَجُزْ إلحاق الألف هنا . [وجـرت ألف الإطلاق[٩٤]] في مَنابها [هُنا[٩٥]] عمّـا كان ينبغي أن يكون بمكانها ، مجرى ألف الإطلاق في مَنابِها عن تاء التّانيث في نحو قوله[٩٦] :

ولاعَـبَ بالعَشِيِّ بني أبيـه
كفعلِ الهِـرِّ يحترشُ العَظايا[٩٧]

---

(٩٣) علق الشّيخ محمّد علي النَّجّار محقق الخصائص عليه بقوله (٣٧٥/٢) : « يريد بالمضاف اليه المجرور ، وذلك أن معنى الفعل أو ما في معناه مضاف إليه بوساطة حرف الجرّ ، وحروف الجرّ تسمى حروف الإضافة » .

(٩٤) زيادة من الخصائص .

(٩٥) زيادة من الخصائص .

(٩٦) هو أعصر(ه) بن سعد بن قيس عَيْلان ، كما في لسان العرب (ح / م / ١) — عن ابن برّيّ . وفي حماسة البحتريّ (٣٢٤) ، وطبقات الشعراء (١٢ ط. أوربة) . هذا الشعر منسوب الى المستوغر بن ربيعة(ه) .

(٩٧) هذا البيت ، ومعه بيت آخر ، في الخصائص (٩٢/١ ، و ٣٧٦/٢) ، وسر صناعة الإعراب (١٨٣/١) ، وفي لسان العرب (ح/م/أ) ومعه ثلاثة أبيات منسوبة الى أعصُرَ بْنِ سَعْد(ه) . وكذا في الضَّرائر لابن عصفور (٢٢٩) ، وفي حماسة البُحتريّ (٣٢٤ ط . أوربة) ببعض التّغيير ، وطبقات الشّعراء للجُمَحيّ أيضاً (٣٤) . وأُوردها من (لسان العرب) ليفهم معنى البيت :

إذا ما المرء صُمَّ فلـم يُكَلَّـمْ
وأعيـا سمعـه إلّا نِـدايـا

ولاعَـبَ بالعَشِيِّ بنـي أبيـه
كفعـل الهِـرّ يحتـرش العَظـايا

يُـلاعِبُهـم ، ووَدُّوا لـو سَقَوْهُ
مـن الذّيفـان مُتْرَعَـةً إنايـا

فـلا ذاقَ النعيـمَ ولا شـرابـاً
ولا يُعطـى مـن المرض الشِّفايـا =

وكذلك نابت واو الإطلاق في قوله[98] :

وما كلُّ مَنْ وافَى (مِنـًى) أنا عارِفٌ[99]

— فيمن رفع « كُـلاًّ » — عن الضّمير الّذي يُراد[100] في « عارف » .

= ويُرْوَى :

فــأبعــده الإلــهُ ولا يُوَقّـــى
ولا يشــفى مـــن المرض الشّفايـا

ويحترش : يصيد . — والعظايا : في الأصل وفي خزانة الأدب (ط. بولاق) : « القطايا » (تحريف) ، وصوابها ما أثبتّ . وهي جمع عظايةٍ : دويبّة على خلقة سامّ أبرص ، وتقال العظاءة أيضاً ، وتجمع عظايا وعظاء ، وذَكَرُ العظاية « عضرفوط » ، وتصغيره « عُضَيْرِف » و « عضيريف » ، وفيها كلام كثير في كتاب الحيوان ، وحياة الحيوان ، ولسان العرب ، وغيرها .

(٩٨) هو مزاحم العقيلي (٥)

(٩٩) صدره : « وقالوا : تَعَرَّفْها المنَازِلَ من مِنىً » . والبيت في كتاب سيبويه (١/ ٣٦، و٧٣) ، ومغنى اللبيب (٢/٧٧٤) ، وشرح الشواهد الكبرى — في حاشية خزانة البغدادي (٢ /٩٨ ط . بولاق) مع بضعة أبيات من قصيدة لمزاحم ، وشرح شواهد مغني اللبيب للبغداديّ ، وفرحة الأديب . ويروى : « وقالا .. » . وقوله : تَعَرَّفْها ، فعل أمر ، والضّمير يعود إلى المحبوبة . — والمنارل : منصوب على نزع الخافض، والأصل: تَعَرَّفْها في المنازل .— ومِنىً، بكسر الميم والتنوين ، وهو مذكر مصروف : بُلَيْدَة على فرسخ من مكة المكرمة ، طولها ميلان ، تعمرُ أيّامَ الحجّ، وتخلو بقيّةَ السنة إلا ممّن يحفظها . وهي في دَرج الوادي الذّي ينزله الحاجُّ ويرمي فيه الجِمارَ من الحَرَم . وقيـل : مِنىً من مهبِط العَقَبَة الى محسِّر ، وموقف المزدلفة من محسِّر الى انصباب الحَرَم ، وموقف عرَفَة في الحلِّ لا في الحرم . كذا في معجم البلدان . وانظر الكلام على إعراب « كلّ » و « عارف » في الخصائص (٢/٣٥٤) .

(١٠٠) في الخصائص (٢/٣٧٦) : « يزاد » بالزاي ، وفي بعض أصوله « يراد » بالرّاء .

وكما ناب[١٠١] التّنوين في نحـــوِ : [حينئذٍ] ، ويَوْمَئِذٍ [عن المضاف اليه : إذ[١٠٢]] .

وقال في موضع آخَرَ من (الخصائص[١٠٣]) :

وسألني (أبو عليّ(*)) عن ألفِ « يا » من قوله : « يالا » ، في هذا البيت ، فقال : أمنقلبة هي ؟ قلتُ : لا ؟ ؛ لأنّها في حرف [أعني : يا[١٠٤]] . فقال : بـــل هي منقلبة . فاستدللته على ذلك . فاستعصم[١٠٥] بأنّها قـــد قد خُلِطت باللام بعدَها . ووقَعت عليها ، فصارت اللام كأنّها جزء منها ، فصارت : « يالَ » . بمنزلةِ : « قالَ » ، والألف في موضع العين ، وهي مجهولة . فينبغي أن يحكم [عليها[١٠٦]] بالانقلاب عن الواو .

---

(١٠١) في خزانة الأدب : « ناسب » ، وهو تحريف .

(١٠٢) « حينئذ » ، وعبارة « عن المضاف اليه : اذ » : زيادتان من الخصائص (٣٧٦/٢) . واورد ابن جنّي بعدها قوله : « وعليه قوله :

نهيتك عن طِلابِكَ أُمَّ عَمْـــرٍو
بعاقبةٍ ، وأنـــتَ إذٍ صحيـــحُ » .

والبيت لأبي ذُؤَيْب الهُذَليّ (•) .

(١٠٣) الخصائص (٢٧٦/١ – ٢٧٧) .

(١٠٤) الزّيادة من الخصائص . ونص العبارة فيه : « وسألني أبو عليّ ، رحمه الله ، عن ألف « يا » من قوله – فيما أنشده أبو زيد – :

فخيرٌ نحنُ عِنْدَ النّاس منكم
إذا الدّاعي المُثَوِّبُ قال : يالا

فقال : أمنقلبة هي ؟ قلت : لا ، لأنّها في حرف ، أعني : يا » .

(١٠٥) في الخصائص : « فاعتصم » ، ومثله في خزانة الأدب (٢٢٩/١) .

(١٠٦) من الخصائص ، ولم ترد في نقل خزانة الأدب عنه ، كما عند المؤلف .

وهذا ، أجمل[١٠٧] ما قالَهُ . ولله هُوَ ! وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسَهُ ! وأشدَّ[١٠٨] بهذا العلم اللطيف الشَّريف إيناسَهُ ! وكأنَّه إنَّما كان مخلوقاً له . وكيف [كان[١٠٩]] لا يكون كذلك . وقد أقام على هذه الطّريقة مع جِلَّة أصحابها ، وأعيان شيوخها ، سبعين سنةً ، زائحةً عِلَلُه ، ساقطةً منه[١١٠] كُلَفُهُ[١١١] . لا يعتاقُهُ عنه ولدٌ ، ولا يعارضه فيه مَتْجَرٌ ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً إلّا بِأَخَرَةٍ[١١٢] ، وقد حَطَّ من أثقاله[١١٣] ، وألْقَى عصا تَرْحاله .

ثمّ إنّي / ولا أقول[١١٤] إلّا حقّاً /[١١٥] لأعجب من نفسي في وقتي هذا كيف تَطُوعُ لي بمسألة ؟ أو كيف تَطْمَحُ بي إلى انتزاع عِلّة ! مع

(١٠٧) في الخصائص : « هذا جُمَل »، من غير واو . وجُمَلٌ : جمع جملة . وفي خزانة الأدب كالمثبت هاهنا » .

(١٠٨) في الأصل « وأشهد » ، وهو من سبق القلم ، والمثبت من الخصائص وخزانة الأدب .

(١٠٩) الزيادة من الخصائص ، ولم ترد في نقل خزانة الأدب عنه .

(١١٠) في الخصائص « عنه » ، وكالمثبت هنا في خزانة الأدب .

(١١١) بعد هذه العبارة في الخصائص : « وجعله هَمَّهُ وسَدَمه » .

(١١٢) في الأصل كما في خزانة الأدب : « ولا يخدم به النّساء إلا بآخرة » ، ولا وجه لذكر « النّساء » في هذا السِّياق .

(١١٣) في الأصل كما في خزانة الأدب : « وقال وقد حطّ من أثقاله » ، وليس لقوله « وقال » موقع في العبارة .

(١١٤) في الأصل كما في خزانة الأدب : « لا أقول » من غير واو ، وقد أثبتُّها من الخصائص ؛ لأنّها لازمة في السِّياق .

(١١٥) في الأصل كما في خزانة الأدب : « إنّي لأعجب »، بإعادة « إنّي » ، ولم تتكرّر في الخصائص .

ما الحال به من عُلَق الوقت وأشجانه ، وتَذاؤُبِه[116] وخَلْجِ أَشْطانِه[117] ؟ ولولا مُساوَرَةُ الفكر واكتدارُه[118] ، لكنتُ عن هذا الشأن بمعزلٍ ، وبأمرِ سِواهُ على شُغُل . » إنتهى .

ولله دَرُّهُ ! فكأنّما رمى عن قوسي ، وتكلّم عن نفسي ، واللهُ المشكور في كلّ حال ، وهو غنيّ بعلمه عن السُّؤال[119] » .

ومنها : زَغْدَبٌ . [قال العَجّاج[120]](*) :

يَرُدُّ طَيْخاً وهَدِيراً زَغْدَبا[121]

---

(١١٦) في الأصل كما في خزانة الأدب : « وتداويه » ، وهو (تحريف) ما أثبتّ من الخصائص ، ومعنى « تذاؤبه » : اضطرابه واختلاطه كتذاؤب الرّياح .

(١١٧) الخَلْجُ : الجذب والانتزاع ، وخَلَجَهُ الهَمّ خَلْجاً : شغله . وضبط الشّيخ النّجّار محقّق الخصائص الخلج ـ بفتحتين ، وفسره بالفساد ، وقال : « فالمعنى فساد أشطانه وأسبابه » . ـــ والأشطان : الحِبال ، واحدها شَطَن ، بفتحتين .

(١١٨) في الخصائص : « ولولا مَعازة الخاطر واعتنافه ، ومُساوَرَةُ الفكر واكتداده » .

(١١٩) هذه عبارة العلامة عبدالقادر البغداديّ ، رحمه الله ، في خزانة الأدب ، وهي نفثة مصدور تصف ماكان عليه حال العلماء في زمانه من الضَّنْك والعَوَز ، وكذلك كانت حال المؤلف رحمه الله .

(١٢٠) زيادة من سر صناعة الإعراب (١٣٨/١) .

(١٢١) البيت من مشطور الرَّجَز ، من أرجوزة في ديوان العجاج (ص ٧٤) . وهو في لسان العرب ،وتاج العروس (زغدب) ،وسرّ صناعة الأعراب (١٣٨/١) منسوب الى العجاج ، وفي الخصائص (٤٩/٢) غير منسوب . ـ وقوله « يردّ » : في سر صناعة الإعراب ، وتاج العروس : « يمدّ » ، وفي لسان العرب ، والتكملة للصَّغاني : « يرجُّ » . ـ وطيْخاً : في الخصائص « قَلْخاً » ،وهو شدّة الهدير ،وله معان أخر . وفي سر صناعة الإعراب ،ولسانالعرب ،وتاج العروس : « زَأْراً » ،وهو صوت الأسد من صدره . ـ والطّيْخ : الفساد ، كما سيأتي عن ابن فارس ، قال : « وهو من تطاوَخَ القوم » ، وكذا قال ثعلب . وفي لسان العرب ـ عن ابن سيدَهْ :ـ

قال (أبو العبّاس ، أحمد بن يحيى الشَّيْبانيُّ ، النَّحْويّ ، المعروف بثَعْلَب(*)) : إنّ زغدباً من : زغد [البعير يزغَدُ[١٢٢]] زَغْداً ، إذا هدر هديراً شديداً — من قولهم : زَغَدَ عُكَّتَهُ[١٢٣] ، إذا عصرها ليُخرجَ سِمْنَها . فجعل الباء زائدة .

وهذا بعيد جِداً[١٢٤] . وإنّما هو من الأصلين المتداخلين : الثُّلاثيّ

= طاخَ الأمرَ طَيْخاً ، أفسده . وقال أحمد بن يحيى [ثعلب] : هو من تطاوخَ القوم ، قال : وهذا من الفساد بحيث تراه . قال ابن جنّي : وقد يجوز أن يُحَسِّنَ الظّنّ به، فيقال إنّه أراد كأنّه مقلوب منه . وقول ابن جني هذا هو جزء من كلام طويل أسرف فيه في الحط من ثعلب، وهو في الخصائص(٣/٢٦٦) في « باب في سَقَطات العلماء » . ومن معاني الطّيخ : الجهلُ ، والكِبْر . — والزَّغْدَبُ: له معان عدّة ، وهو — هنا — شدّة الهدير .

(١٢٢) زيادة لازمة .

(١٢٣) العُكَّةُ ؛ بالضّمّ وتشديد الكاف : وعاء من جلد الماعز والغَنَم ، يودع فيه السّمْن والعسل ، وهو بالسّمن أخصّ . ج — عُكَك ، وعِكاك .

(١٢٤) قال ابن جنّي في سرّ صناعة الإعراب (١/١٣٨) : « ومن طريف ما يحكى من أمر الباء أن أحمد بن يحيى [وهو ثعلب] قال في قول العجّاج : « يَمُدُّ زَأْراً وهديراً زغدبا » : إنّ الباء فيه [في زغدب] زائدة . وذلك أنّه لمّا رآهم يقولون « هديرٌ زَغِدٌ وزغدب » ، اعتقد زيادة الباء في « زغدب » ، وهذا تعجرف منه ، وسوء اعتقاد . ويلزَمُ من هذا أن تكون الرّاء في « سِبَطْر » و « دِمَثْر » زائدةً ، لقولهم « سَبِط » و « دَمِث » . وسبيل ما كانت هذه حاله أن لا يحفل به ، ولا يتشاغل بإفساده » . وأعاد ابن جنّي حملته هذه على ثعلب في الخصائص (٢/٤٩) ، وقال : « وذهب أحمد بن يحيى في قوله [أي العجّاج] « يردّ قلخاً وهديراً زغدبا » إلى أنّ الباء زائدة ، وأخذه من : زَغَدَ البعيرُ يزغَدُ زَغْداً في هديره . وقوله « إنّ الباء زائدة » ، كلام تَمُجُّه الآذان ، وتضيق عن احتماله المعاذير « المعاذر » . وأقوى ما يذهب إليه فيه أن يكون أرادَ أنّهما أصلان مُقْتَرِبانِ ، كَسَبِط وسِبَطْر [وإن أراد ذلك أيضاً ، فإنّه قد =

والرُّبــاعيّ ، كسَبَـنْـطٍ وسِبَطْرٍ[١٢٥] ، ودَمِثٍ ودِمَثْــرٍ[١٢٦] . ولا خلاف أنّ الرّاء[١٢٧] ليست زائدة ؛ لأنّهـا ليست من حـروف الزّيادة . وكذلك الباء [١١] في (زَغْدَب) ؛ لأنّها ليست من حروف الزِّيادة .

ومَن يرى رأيَ (ابن فارس(*)) ، فيما زاد على ثلاثة أحرف ، جعل هذه الكلمة (منحوتة) من : زَغَد ، وزغب . وهمــا متقاربان في المعنى[١٢٨] .

ويُحكى عنه أنّه قال : الطَّيْخ ، الفَســاد . وهو من : تَطاوَخَ القوم[١٢٩] .

وهذا أيضاً معـــدود من سَقَطات العلماء[١٣٠] ، والله أعلم .

ومنها : أُحــادُ ومَوْحَدُ[١٣١] ، وثُنَى ومَثْنَى ، وثُلاثُ ومَثْلَثُ ،

= تعجرف] » . ونسب ابن منظور في لسان العرب (ق/ل/خ) قول ابن جنّي هذا الى ابن سِيدَه ، ونسب الفقرة الأخيرة بين هذين المعقوفين [ ] الى ابن جنّي .

(١٢٥) السَّبْط والسَّبَطُ والسَّبِطُ ، من الشَّعر : المنبسط المسترسل ، ورجل سبط الكَفَّيْنِ : سخيّ ، ومطر سبط : مُتدارِكٌ سَحٌّ . و ــ السِّبَطْرُ : من نعت الأسد بالمضاءة ، و ــ : الممتدّ .

(١٢٦) الدَّمِث : السهّل الليّن . وأرض دِمَثْرٌ : سهلة ، ودَمْثَرٌ : دَمِثٌ ، والدَّمْثَرَةُ : الدَّماثة .

(١٢٧) في الأصل « الزّاي » ، من سبق القلم .

(١٢٨) الزّغد : الهديرُ الشّديد ، ولم أجد في شيء من معاني الزّغب ــ بالباء ــ ما يقاربه في المعنى .

(١٢٩) في كتاب المقاييس .

(١٣٠) عقد ابن جنّي في الخصائص (٢٨٢/٣ ــ ٣٠٩) فصلاً في « سقطات العلماء اللغويين » أخذ ــ في جملته ــ على ثعلب ما ذهب إليه من أن التطاوخ من الطَّيْخ .

(١٣١) يقال : دخل القومُ مَوْحَدَ مَوْحَدَ ، وأُحادَ أُحادَ ، أي : فُرادى واحداً واحداً . قال سيبويه : « فتحوا مَوْحَدَ ، إذْ كان اسماً موضوعاً ، ليس بمصدر ولا مكان ، ويقال : جاؤوا مَثْنَى مَثْنَى ، ومَوْحَدَ مَوْحَدَ ، وكذلك جاؤوا ثُلاثَ وثُناءَ وأُحادَ » ، وكلُّها ــ وكذلك الباقيات الى عُشارَ ــ ممنوعات من =

وأخَواتُها الى عُشار ومَعْشَر – فإنّها منحوتة ومشتقّة من عدد مُكَرَّر . فأحادُ – مَثَلاً – مأخوذة من : واحدٍ واحِدٍ . وهكذا باقي الألفاظ المذكورة .

ومنهم من لم يَرْتَضِ جعلها منحوتة ، والعَدْلُ غيرُ النَّحْت .

والمسألة دقيقٌ غَوْرُها ، ولم يتعرض لها أحد في الكتب الّتي في الأيدي .

والّذي يظهر أنّ هذه الألفاظ ليست من (النّحت) في شيء ، بل إنّها ثبتت عن الواضع كذلك . واعتبروا فيها العدل، لما أصّلُوه من القاعدة . وهي : أنّ الألفاظ قوالب المعاني ، بحيثُ إذا تعدّدت المعاني، تعَدَّدت الألفاظ . واذا انفردت المعاني،انفردت ألفاظها . وهكذا .

فلّما رأوا أنّ هذه الألفاظ تُفيد معانيَ مُكَرَّرَةً ، ولتلك المعاني ألفاظ على قدرها – عَلِمُوا أنّ هذه الألفاظ معدولة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني المفردة . فـَ (العدل) باب ، و (النّحت) باب آخرُ .

وكذلك المحذوف لِعلّة ، أو تخفيفٍ ، فلا يقال لِلَفْظٍ حُذف منه حرف أو أكثر : إنّه منحوت عن أصله .

وكذلك لا نحتَ في ألفاظ التّثنية والجُمُوع ، وإن كان الأصل المفرد . فلا يقال : زيدانِ منحوت عن زيد وزيد ، وزيدون منحوت عن زيد وزيد وزيد ، وإنْ قال به البعض ؛ لِأنّ هذه الألفاظ ثبتت عن الواضع ، والألفاظ المعدولة ليست كذلك .

= الصَّرْف ، للعدل والصِّفة ؛ لأنّه عُدِل من واحد واثنين وثلاثة ... ، وهي صِفات ؛ لأنك تقول : مررت بقوم مَثْنَى وثُلاثَ ، قال الله تعالى :–(أُولي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ)–« سورة فاطر » ، فوصَفَ بها ، وهذا قول سيبويه . وقال غيره : إنّما لم تنصرف ، لتكَرُّر العدل فيها في اللفظ والمعنى ؛ لأنّه عُدِلَ عن لفظِ اثنين الى لفظِ مَثْنَى وثُناء ، وعن معنى اثنين الى معنى اثنين اثنين ، لأنك اذا قلت : جاءت الخيل مَثْنَى ، فالمعنى اثنين اثنين ، أي ، جاؤُوا مزدوِجين . وكذلك جميع معدول العدد .

فصل في بيـان ما يُشاكل النَّحْتَ في الكتـابة

إعلم أنّ للكتابة قَوانينَ وقَواعدَ مذكورة في الكتب المؤلَّفة في هذا الشّأن . وهي أمور اصطلاحيّة ، تكون باعتبارِ استعمال المستعمل ، ليس للعقل والطّبيعة دخل فيها .

ولذلك تختلف الكتـابة باختـلاف المصطلحين والمستعملين لهـا .

فـ (للعَرُوضيّين) اصطلاح في كتابه ألفاظ الشّعر المُقَطَّعة ، غير ما هو معهـود (١٣٢) .

و (علماء أصول الحديث) [١٢] ذكروا في كتبهم باباً لما يختصّ بالحديث من الكتابة(١٣٣) .

---

(١٣٢) يَعْتَدّ علماء العَرُوض في تقطيع الشّعر باللفظ دون المعنى ؛ لأنهم يريدون به عدد الحروف الّتي يقوم بها الوزن متحرّكاً وساكناً ، فيقابلون المتحرّكَ بالمتحرّك ، والسّاكن بالسّاكن ، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، ويحذفون لام التّعريف وغيرَها ممّا يدغم في الحرف الذي بعده ، كالرَّحْمان والذّاهب والضّاحك ، ويكتبون التّنوين نوناً ، ولا يراعون حذفها في الوقف ، ويعتمدون في الحروف على أجزاء التّفعيل ، فقد تتقطّع الكلمة بحَسَب ما يقع من تَبْيِين الأجزاء ، كما في قول الشّاعر :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيّامُ ما كنتَ جـاهلاً

ويأتيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فيكتبونه :

سَتُبْدِي . لَكَلْأيْيا . مُما كُنْ . تَجاهِلَنْ

ويأتي . كَبِلْأَخْبا . رِمَنْ لَمْ . تُزَوْوِدِي

(١٣٣) في كتابة الحديث وكيفيّة ضبط الكتاب وتقييده ، غلب على كَتَبَتِهِ الاقتصار على الرّمز بِ «ثنا » و «نا» و « أنا » و «ح » ، فيكتبون من « حَدَّثَنا» : (ثنا) ، وربما حذفوا الثّاء ، ويكتبون من « أخبرنا » (أنا) . وإذا كان للحديث إسنادانِ ـ

و (للمُصْحَف) رسم يختصّ به ، ولا يقاس به غيره(١٣٤) .

= أو أكثر ، وجمعوا بينهما في متن واحد ، كتبوا عند الانتقال من إسناد الى إسناد (ح) ، وهي حاء مهملة مفردة . واختار بعضهم كالنَّوَوِي أنّها مأخوذة من « التحوُّل » ، لِتَحَوُّلِهِ من إسناد الى إسناد ، وأنه يقول القارىء — إذا انتهى اليها — : (حا) ، ويستمر في قراءة ما بعدها . وقيل : إنها من : « حالَ بين الشّيئين » ، إذا حَجَزَ ، لكونها حالت بين الإسنادَيْن ، وإنّه لا يلفظ — عند الانتهاء إليها — بشيء ، وليست من الرّواية . وقيل : إنّها رمز إلى قوله « الحديث » . وقد كتب جماعة من الحفاظ موضعها (صح) ، فيشعر بأنّها رمز (صح) ، وحسنت هاهنا كتابة (صح) ، لئلا يتوهّم أنهّ سقط من الإسناد الأوّل . ثمّ هذه «الحاء» توجد في كتب المتأخّرين كثيراً كما قرره النّوَوِيّ في «التقريب» . وقال القاسميّ : « وقد كان بعض مشايخنا المُسْنِدِين — إذا وصل اليها — يقول « تَحْوِيل » ، وكنت أستحسنه منه » . وفي الباب أقوال أُخَرُ ، تنظر في مقدمة ابن الصَّلاح في مصطلح الحديث ، ومحاسن الاصطلاح لسراج الدّين عمر البلقينيّ .

(١٣٤) رسمُ (المصحف الإمام) هو ما اصطلح عليه الصَّحابة ، رضوان الله عليهم ، في كتابته عند جمع صُحُفه وتوحيدها بأمر من الخليفة الرّاشد عُثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، على ما كتبه زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، بين يدي النّبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم . وهو يمثّل طوراً متقدّماً في رسم الكتابة العربيّة ، مَهَّدَ لِما جرى العُرف عليه من بعد من بعض التطوّر في أشياء معدودة ، على أن هذا الرسم العُرْفيّ قد استبقى من رسم (المصحف الإمام) كَلِماً لم يُطَوِّرْهُ ليطابق صورة النطق ، وذلك مثل : هذا ، ولكن ، وهؤلاء ، وأولئك ، وكتبوا ، فلم يكتبها مطابقة لصورة النُّطق : هاذا ، ولاكن ، وها ألاءِ ، وألائِك ، وكتبو .. وللعلماء الأولين كتب ومباحث حصروا فيها صور رسوم (المصحف الإمام) في : المقطوع والموصول ، وما رسم بالهاء والتّاء ، وما رسم بالواو والياء والألف ، وما رسم بغير ذلك ، وفي حروف من الواو ، وما رسم بغير ألف ، وما وصل بغير ياء ويوقف عليه بالياء ، وما يوصل ويوقف عليه بغير واو ويوقف عليه بواو ، وما يوصل ويوقف عليه بغير واو ، وما يوصل بغير ألف ويوقف عليه بالألف ، وما يوصل ويوقف عليه بغير ألف ، وما يبدل من التنوين في الوقف . وتفصيل هذا في : أدب الكاتب ، والاقتضاب ، وصبح الأعشى (٣/١٧٣ — ٢٢٢) ، =

وعلى هذا القياس جميع الخطوط ومدلولاتها لما كانت الألفاظ (؟) ، اعتبروا فيها ما اعتبروه في الألفاظ .

ومن ذلك (النَّحْتُ) وغيرُه من الرّمز إلى الكلمة ببعض حروفها ، بل ربّما رمزوا بكلمة إلى جُمَل من الكلام .

وقد نُقِل أنّ لأهل (الصّين) كتابةً ، تُسمّى (كتابة المجموع[١٣٥]) ،

= والمقنع لأبي عمرو الدّاني، والبرهان في علوم القرآن ، والإتقان ، وإيضاح الوقف والابتداء للأنباريّ ، وكتاب هجاء مصاحف الأمصار لأحمد بن عمّار المهدويّ ، والبديع في معرفة مارسم في مصحف عثمان لمحمد بن يوسف الجُهَنِيّ القُرْطُبيّ ، وكشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار ، وغيرها .

(١٣٥) هي الكتابة التي اصطلح على تسميتها في عصرنا « الاختزال » ، ومعناه الحذف والاقتطاع . وهذا الكلام المحكيّ -هنا- هو في فهرست محمّد بن اسحاق النّديم (٢٤ - ٢٥ ، ط . مصر) ، حكاه في كلامه على قلم الصّين ، قال : « الكتابة الصّينيّة تجري مجرى النّقش ، يتعب كاتبها الحاذق الماهر فيها . وقِيلَ : إنّه لا يمكن الخفيف اليد أن يكتب منها في اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاثة ، وبها يكتبون كتب ديانتهم وعلومهم في المراوح ، وقد رأيت منها عدّة .. وللصّين كتابة يقال لها (كتابة المجموع) ، وهي أن لكل كلمة تكتب بثلاثة أحرف وأكثر صورة واحدة ، ولكل كلام يطول شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة . فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مِئَةِ ورقة ، كتبوه في صفح واحد بهذا القلم » .
ثمّ روى محمّد بن اسحاق النّديم هذا الخبر الطّريف، قال : « قال محمّد بن زكريّا الرّازيّ : قصدني رجل من (الصّين) ، فأقام بحضرتي نحو سنة ، تعلّم فيها (العربيّة) كلاماً وخطّاً في مدّة خمسة أشهر ، حتى صار فصيحاً حاذقاً سريع اليد . فلمّا أراد الانصراف الى بلده ، قال لي قبل ذلك بشهر : إنّي على الخروج ، فأُحِبّ أن تُمِلّ [أي تُمْلِيَ] عليّ كتب (جالينوس) الستّة عشر ، لأكتبها ! فقلت : لقد ضاق عليك الوقت ، ولا يفي زمانُ مُقامِك لنسخِ قليل منها . فقال الفتى : أسالك أن تَهَبَ لي نفسَك مُدَّة مُقامِي ، وتُمِلّ عليّ بأسرع ما يمكنك، فإنّي أسبقك بالكتابة ! فتقَدَّمْتُ الى بعض تلاميذي [يعني : أمرته] بالاجتماع =

وهي أن تكتب كُلُّ كلمة – على ثلاثة أحرُف أو أكثر – على صورة واحدة . ولكلِّ كلامٍ طويلٍ شَكْلٌ من الحروف المُقَرَّرَة ، بحيثُ يَدُلّ على المعاني الكثيرة ، حتّى إنّهم كتبوا في صحيفة واحدة بهذه الكتابة مالا يكفيه إلّا نحو مئة ورقة بالكتابة المُتَعارَفَة .

وهكذا الحال لَدَى كثير من الأُمَم .

وذلك مّما لا تخفى فائدته . فإنّ فيه قِصَرَ مدّة التّحرير ومسافة الكتابة .

فَـ (الخطّ العربيّ) ، اعتبروا فيه بعضَ الأُمُور السَّهْلَة . وهي ممّا تختلف باختلاف المصطلحين وذوي الاستعمال .

فصاحب (القاموس(*)) يكتب (ع) إشارةً إلى الموضع ، و (د) إلى البلد ، و (ة) إلى القرية ، و (ج) إلى الجمع ، و (جج) – على ما في بعض النُّسَخ – إلى جمع الجمع[١٣٦] .

وصاحب (الصُّراح(*)[١٣٧]) يرمز إلى الأبواب السِّتّة بحروف

= معنا على ذلك ، فكنا نُمِلُّ عليه بأسرع ما يمكننا ، فكان يَسْبِقنا ، فلم نصدّقه إلا في وقت المعارضة ، فإنّه عارض بجميع ما كتبه . وسألته عن ذلك ، فقال : إنّ لنا كتابةً تعرفُ بِـ (المجموع) ، وهو الذّي رأيتم : إذا أردنا أن نكتب الشّيء الكثير في المدة اليسيرة ، كتبناه بهذا الخطّ ، ثمّ إنْ شئنا نقلناه الى القلم المتعارَف والمبسوط . وزعم أنّ الإنسان الذّكيّ السّريع الأخذ والتّلقين ، لا يمكنه أن يتعلّم ذلك في أقَلّ من عشرين سنة » .

(١٣٦) رموز « القاموس المحيط » – كما ذكرت في مقدمته – خمسة ، هي : (ع) لموضعٍ ، و(د) لبلد ، و(ة) لقرية ، و(ج) للجمع ، و(م) لمعروف . ويضاف إليها رمزان اثنان ، استعملهما مؤلفه ونسيَ ذكرهما ، وهما : (جج) لجمع الجمع ، و (ججج) – ثلاث جيمات – لجمعِ جمعِ الجمع ، وهذا قليل .

(١٣٧) هو محمّد بن عامر ، المعروف بجمال القُرَشيّ(*) .

أخرَ ، فإنّه يرمُزُ إلى بابِ : نَصَرَ يَنْصُرُ [بِـ[138]] (عـع فاضـه) ، وإلى [بابِ] : ضَرَبَ يَضْرِبُ [بِـ] (عع فاكه) ، ولبابِ : سَمِعَ يَسْمَعَ [بِـ] (عع فاكه) ، ولبابِ : فَتَحَ يَفْتَحُ [بِـ] (عَعَ) بفتحهما ، ولبابِ : كَرُمَ يكرُمُ [بـ] (عُعُ) بضمّهـا ، ولبابِ : حَسِبَ يَحْسِبُ [بِـ] (عِـعِ) بكسرهما .

وعلى هذا القياس كثيرٌ من كتب اللغة .

و (المُحَدِّثون) يرمزون إلى لفظ « تحـويل » بحرفِ (ح[139]) .
والإمام (السُّيُوطيّ(*)) في (الجامع الصَّغير) ، و(الْجَزَرِيّ(*)) في (الحِصْن الحصين)، اختارَ كلٌّ منهما حروفاً مخصوصة في الرَّمْز إلى مُخَرِّجي الأخبار .

وكذلك لِـ (كُتّاب الدَّواوين) اصطلاح في الرّمز إلى أسماء الشُّهُور بحروف ثمانية مُقتضَبة من أسمائها ، وهي معلومة[140] .

---

(١٣٨) زيادة لازمة ، ومثلها كل ما وضعته داخل المعقوفين [ ] .

(١٣٩) سيأتي أن هذا الرمز هو في صحيحي الإمامين البُخاريّ ومسلم لتحويل السّنَد ، وقد أسلفت القول فيه في التعليق (١٣٢)

(١٤٠) كان المُعتَمَد عند كتّاب الدّواوين في الدولة الإسلاميّة إثبات أسماء الشّهور وعدد السّنين تامّةً ، ولم يعرف عنهم أنّهم اختصروها بالرّموز ، ولا أعلم متى استعملوا لها الرّمز ، وأين ؟ وقد ذكر ابن السّيد البطليوسيّ في « الاقتضاب » (٨٠) : « أنّهم كانوا يجعلون تاريخ الخَراج بحساب الشّمس ، لابحساب القمر ؛ لِأنَّ الشهور القمريّة تنتقل ، والشّمسيّة لا تنتقل . وكان كثير من الكتاب اذا ذكروا الحساب الشّمسيّ يزيدون في ذلك أن يقولوا : « ويوافق ذلك من شهور العرب شهر كذا من سنة ِكذا من سِنِي الهجرة » إذ كان التّاريخ عند الحكّام بالسّنين العربيّة دون العجميّة » .

ورموزُ (المُحَدِّثين) في (الصَّحِيحَيْن) و (الجامع الصَّغير) ، وغير ذلك من الشّروح والحواشي ، مِمّا يُشْبِه (النَّحْتَ) الّذي في الألفاظ .

فإنّ منهم مَنْ يأخذ من اسم الشّيخ أوّلَ حرف ، ومن لقبه أو بلده حرفاً آخرَ .

كما يرمزون بالميم والرّاء للإمام الشّيخ (محمّد الرَّمْلِي(*)) .

و (ع ش) للشَّيْخ (عليّ الشَّبْرامَلِّسي(*)) .

و (ح ل) (للحَلَبِي(*)) .

قال (القَلْيُوبي(*)) : (سم) [لِـ] (ابن قاسم العَبّادي(*)) . (س) لِـ (سيبويه(*)) . (ش) للشّرح . (ص) للمُصَنَّف ، بفتح النّون ، أي المَتْن . وأمّا المُصَنِّف ، بكسرها ، فهكذا : (المص) . وللشّارح (الش) . و (ض) : ضعيف . و (م) : معتمد . وأمّا (ح) ، فإن كانت [١٣] في غير كتب الحديث ، وغير كتب (الحَنَفِيَّة) ، فهي بدلُ : حينئذٍ ، ورمزٌ إليها .

وعند (الحنفيّة) رمز إلى (الحَلَبِي(*)) .

وإن كانت في (صحيحي البُخاريّ ومُسلم) ، فهي لتحويل السَّنَد .

وأمّا رموز (الصَّحِيحَيْن) المشهورة ، فهي : ثَنا ، وثَنِي ، وأنا ، ونا ــ رمز إلى : حَدَّثَنا ، وحَدَّثَنِي ، وأَنْبَأَنا ، وأخبرنا(١٤١) .

---

(١٤١) روى الإمام البُخاريّ في « الصحيح » عن الحُمَيْدِيّ ، قال : « كان عند ابن عُيَيْنَةَ : حَدَّثَنا ، وأخبرنا ، وأنبأنا ، وسمِعتُ ــ واحداً » . قال الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في « فتح الباري » : « إيراده قول ابن عيينة ، دونَ غيره ، دالٌّ على أنه مختاره » ، وساق استدلاله ببعض الآيات والأحاديث ، ثم قال : « وهذا لا خلاف فيه عند أهل العلم بالنسبة إلى اللغة . وأمّا بالنسبة الى الاصطلاح ، ففيه الخلاف ، فمنهم من استمرّ على أصل اللغة ، ومنهم مَنْ رأى إطلاق ذلك =

ولكلٍّ من (المذاهب الأربعة) رموز معلومة عندهم .

كما أنّ (للعجم) في (كتب العربيّة) رموزاً معروفة . فإنّهم يرمزون بـ (مم) إلى : ممنوع . و (لايَخْ) إلى : لايخفى . و (عم) إلى : عليه السَّلام . و (صلعم) إلى : صلّى الله تعالى عليه وسلَّمَ . وكذلك (ص م[١٤٢]) .

وهذه الحروف ، لايُنْطَقُ بها ، بل بالمراد بها ، إلّا الحروف المُقَطَّعَة في كتب اللغة والصَّرْف .

وأمّا أسماء العلماء ، فلا تنطق بالحروف الرّامزة ، بل بنفس الأسماء الأصليّة .

وكذلك ما يرمز به إلى الكلمات ، فإنّه ينطق بنفس الكلمات ، لا بحرف الرّمز فقط . فلا يقول القارئْ : (إلَخْ) ، بل يقول : (إلى آخره) .

وكنت أرى (عبد الحكيم السِيالَكُوتيّ(*)) في (حواشيه على شرح

= حيث يقرأ الشيخ من لفظه ، وتقييدَه حيثُ يُقرَأ عليه . ثم أحدث أتْباع الذاهبين هذا المذهبَ تفصيلاً آخرَ ، فمَنْ سمع وحده من لفظ الشيخ أفردَ فقال « حَدَّثَنِي » ، ومَنْ سمع مع غيره جَمَعَ فقال « حَدَّثَنا » ، ومَنْ قرأ بنفسه على الشيخ أفردَ فقال « أخبرني » ، ومن سمع بقراءة غيرِه جَمَعَ . وكذا خَصَّصُوا « الإنباءَ » بالإجازة التي يشافه بها الشيخُ مَنْ يجيزه . وكل هذا مُسْتَحْسَن ، وليس بواجب عندهم ، وإنّما أرادوا التمييز بين أحوال التّحَمُّل . وظنَّ بعضهم أنّ ذلك على الوجوب ، فتكلّفُوا في الاحتجاج له وعليه بما لا طائلَ تحتَهُ . نعم ، يحتاج المتأخّرون إلى مراعاة الاصطلاح المذكور ، لِئَلّا يختلط ؛ لأنّه صار حقيقةً عُرْفيّةً عندهم ، فمَنْ تَجوَّزَ عنها احتاج إلى الإتيان بقَرينة تدلّ على مراده ، وإلّا فلا يؤمن اختلاط المسموع بالمجاز بعد تقرير الاصطلاح ، فيحمل ما يرد من ألفاظ المتقدّمين على محمل واحد ، بخلاف المتأخّرين » .

(١٤٢) لهذه بقيّة سترد بعد قليل .

النَّسَفِيَّة) يرمز إلى انتهاء كلامه بشَكْلِ (اه) ، بدلَ (إلخ) ، مع أنَّ الثَّاني هو المشهور ، ولا مُشاحَّةَ[١٤٣] في الاصطلاح .

وذكر (الشَّيْخ عبد الرَّحيم(*)) في آخر (كتاب غاية البيان في علم اللسان) : أَنَّ شَكْل (تعا) رمز إلى (تعالى) ، و (ع م) رمز إلى (عليه السّلام) ، و (ره) إلى (رحمه الله) أو (رحمة الله عليه) ، و (رض) إلى (رضِيَ الله عنه) ، و (صلعم) إلى (صلّى الله تعالى عليه وسَلَّمَ) ، و (مط) إلى (مطلوب) ، و (مقص) إلى (مقصود) ، و (يقا) إلى (يُقال) ، و (أيض) إلى (أيضاً) ، و (مم) إلى (ممنوع) ، ومرَّةً يرمزون به إلى (مُسَلَّم) ، وقرينة المقام تميّزه . و (ظ) إلى (ظاهر) ، و (ح) إلى (حينئذٍ) ، و (بط) إلى (باطل) ، و (مح) إلى (مُحال) ، و (لانم) إلى (لانسلّم) ، و (مص) إلى (مصنّف) ، و (ش) إلى (شارح) ، و (هف) إلى (هذا خُلْفٌ) ، و (كك) إلى (كذلك) ، و (اه) و (الخ) إلى قولِ : (إلى آخره) .

والحاصلُ أنَّ الرّموز في الكتابة ممّا يفوت الحصر[١٤٤] ، وقسم منه

---

(١٤٣) شاحّهُ مُشَاحّةً : خاصمه و ماحَكَهُ ، ويقول العلماء : « لا مُشاحّةَ في الاصطلاح » ، أي : لا مجادلة فيما تعارفوا عليه . وأقول : على أن يكون الاصطلاح مفهوماً ، وملابستُهُ لأصله في اللغة واضحة وصحيحة .

(١٤٤) جمعها شيخنا العلامة علي علاء الدّين الأَلُوسيّ ، رحمه الله ، في إحدى مجموعاته تحت عنوانِ « اصطلاحات أهل العقول » ، وفيها زيادات على الرموز التي أوردها شيخنا العلامة المؤلف هاهنا ، وهي : ١- (ظه) لـ « ظاهره » ، ٢- (ك) لـِ « لِذلك » ، ٣- (بك) لـِ « بذلك » ، ٤- (ض) لـِ « ضرورة » ، ٥ - (فح) لـِ « فحينئذ » ، ٦- (هن) لـِ « هاهنا » ، ٧- (فع) لـِ « مرفوع » ، ٨ - (ضع) لـِ « موضوع » ، ٩- (أح) لـِ « أحدها » ، ١٠- (عت) لـِ « عرفت » ، ١١- (تس) لـِ « تسلسل » ، (١٢) - (خ) لـِ « نسخة » ، ١٣- (و - م) لـِ =

كـ (النّحْت[145]) على ما سبق .

وهو ممّا يختلف باختلاف الاصطلاح . فكُلُّ مَنِ اصطلح على رمز إلى شيءْ ، ينتقل منه إليه بعد معرفة الاصطلاح من واضعه .

*

وإلى هنا وَقَفَ القلم ، وانتهى به السَّيْرُ في هذا الميدان .

ونسأله تعالى أن يجعل ذلك سبباً للغُفْران ، ونافعاً للإِخوان ، والحمد لله في البَدْء والخِتام ، وعلى مَفْخَرَ العوالم أفضلُ الصَّلاة وأكملُ السَّلام .

وذلك عصرَ سَبْتِ تاسعِ رَمَضان ٣١٦ [١] ، بقلم مُسَوّده : محمود شكري البغداديّ ، عُفِيَ عنه .

= « مقدم – مؤخر » (؟) ، (١٤)– (نم) لـ « نسلّم » ، ١٥ – (فم) لـ (فلنسلّم) ، ١٦ – (حص) لـ « حاصل » ، ١٧ – (حصه) لـ « حاصله » ، ١٨ – (علا) لـ « علامة » ، ١٩– (ثنا) لـ « حدّثنا » ، ٢٠– (أنبأ) لـ « أنبأنا » ، ٢١– (نا) (نا) لـ « أخبرنا » .

وجاء فيها : (د) لـ « لا نسلّم » ، والرّمز المذكور هنا له (لانم) ، و(لايخ) لـ (لا يخلو) ، وهو هنا رمز لـ « لا يخفى » .

وكلها – عدا رموز المحدثين – رموز غامضة ومتكلفة .

(١٤٥) ليس بين هذا الرموز ما هو كالنحت إلّا (صلعم)،وهو أقبح رَمْز رمزوا به إلى عبارة (صلىّ الله عليه وسلّم) من غير ضرورة تقتضيه . وقد تَورَّط شاعر عربي مهاجر،فحسب (صلعم) هذه اسماً مرادفاً لـ (محمد) ، فأطلقه عليه في قافية ميميّة ، مدح بها رسول الله،صلىّ الله عليه وسلّم !

وبحمد الله تعالى وشكره تتم الصّالحات

حروف الزيادة

الدكتور احمد عبد الستار الجواري
(عضـــو المجمع)

تمهيـــــد

إذا كان علم النحو مما يستحق أن ينظر في بعض قضاياه نظرة أخرى غير نظرة السابقين من علماء العربية ، فإن قسيمه علم الصرف يراد له أن يكون محلّ تدبر وتأمل ونظر فاحص دقيق ، فلا يجوز أن يظل رهن التقليد والاتباع المطلق .

ذلك بأن من فوائد معاودة النظر في علوم العربية أن يعـاد عرضها على الدارسين عرضاً يُيسّر عليهم فهم حقائقها والانتفاع بها وجعلها جزءاً من المعارف التي يحتويها الفكر ويستوعبها التفكير وتسيغها الأفهام .

ومن الأمور التي تدعو الى التأمل والتدبر أن علم الصرف قد ضُرِبَ عنه صفحاً ، فلم يعد في موضع العناية والاهتمام مثل اهتمام الناس بالنحو وشكواهم من وعورة مسالكه وتعقيد قواعده .

ولعل مردّ ذلك الى أن الصرف ، وقرينه أو فرعه — الاشتقاق — أدنى الى الضبط وأقرب الى الدقة ، لأن قواعدهما محدودة محصـــورة مقصورة على بناء الكلم في ذاتها مفردة ، لا باعتبارها جزءاً من التركيب ، ولأن الغلط أو الشـــطط في بناء الكلمة المفردة قد يغيب التقاطه واكتشافه والالتفات اليه على كثير من النـــاس ، بل إنهم قد لا يجدون الى

التحقق من الصواب سبيلا إلا بالرجوع الى المعاجم وكتب اللغة ، بل إنهم قد يتجاهلون في بعض الأحيان ، أو يتناسون ، أن لهذا العلم – علم الصرف– قواعد في التصريف والاشتقاق وبناء الكلِم لا يحسن بدارس العربية جهلها او الإعراض عنها .

ثم إن قواعد التصريف والاشتقاق في جملتها وعمومها قواعد هي ادنى الى الاستقرار والثبات من القواعد الأخرى في علوم العربية .

وقد يكون الثبات والاستقرار قرين الإتقان والتثبّت في بعض جوانب المعرفة بل في كثير منها ، الا حقائق العلم ومفاهيمه ، تلك التي تقوم على البحث والاستقراء والاستنباط فإنها تحتاج على الدوام إلى معاودة النظر فيها وتقليب تلك المفاهيم على وجوهها المتعددة ، وعرضها على طرائق الفكر والبحث المتجددة بلى المتغيرة في أحيان كثيرة ، حتى لا يتحول الثبوت والاستقرار فيها جموداً أو ما يشبه الجمود . فيتحجر وتتصلب حتى لا تستاغ ولا تتقبلها الأذواق .

– ١ –

ولابد بين يدي هذا البحث – بحث زيادة الحروف – من الإلمام بأمرين نمهّد الإلمام بهما إلى الرؤية الواضحة والنظرة الفاحصة .

الأمر الأول : ماذا يراد بالحرف في علوم العربية ؟

والامر الثاني : ما هي الوسيلة التي يتوصل بها الى الحكم بزيادة الحرف في الكلمة او في التركيب ؟

والحروف في لغتنا العربية ضربان : حروف المباني وحروف المعاني .

فأما حروف المباني فهي التي تعرف أيضاً بحروف الهجاء التي بها تبنى الكلم وتركّب الألفاظ المفردة .

وأما حروف المعاني فهي ألفاظ مركّبة من حرفين من حروف الهجاء أو من اكثر من حرفين أو من حرف وحركة تؤدي معاني – اختصت بها – في قسيميها في الكلم العربية : الاسم والفعل . وكل حرف منها يؤدي معنى واحداً أو أكثر من معنى واحد . ومثالها حروف الاستفهام : الألف وهل ، وحروف النفي ما ولا وإن ، وحروف الشرط إن وإذا ، وحروف الخفض أو الجر من وعلى والباء واللام . وغيرها من الحروف .

وإنما سميت حروف المعاني لأنها وضعت لتدل عليها (على المعاني) ، وهي ألفاظ لا غنى عنها في التراكيب ؛ هذا هو الأصل ، وقد يذهب بعض علماء العربية إلى جواز زيادتها في بعض المواضع .

– ٢ –

وحروف المباني منها ما هو أصلي في الكلمة – الاسم او الفعل ومنها ما هو زائد او مزيد . وهي لا تزاد في ألفاظ حروف المعاني وإنما تزاد في أبنية الأسماء والأفعال كما أشرنا آنفاً .

والوسيلة التي تعرف بها الزيادة ويعرف بها الحرف الزائد هي ما يعرف بالوزن الصرفي ، أو ما سماه علماء العربية الميزان الصرفي . وهو بناء لفظي افترضوه لوزن الكَلِم ولاسيما الأسماء والأفعال ، واتخذوا له حروف ف . ع . ل . رمزاً .

ويقوم الحكم بأصالة الحرف في الكلمة او زيادته بالاستناد إلى أصلٍ وضعه علماء العربية ، فقد ذهبوا إلى أن أقل الأصول في الأسماء والأفعال ثلاثة أحرف ، وقد تكون اربعة أحرف في الأفعال وخمسة في الأسماء .

وكل ما يزيد على الأحرف الأصول الثلاثة او الأصول الأربعة في الأفعال ، او الأصول الخمسة في الأسماء فهو زائد .

هذا هو المذهب المشهور المعتمد عند علماء العربية .

ومن المعاصرين من ذهب إلى أن الأحرف الأصول في الكلم العربية حرفان اثنان لا ثلاثة ، وزعموا أن تركيب الكلم العربية ثنائي لا ثلاثي .

ولعلهم استندوا في ذلك الى مقالة ابن جني في مسألة الاشتقاق الأكبر . وأن حرفين من حروف الكلمة إذا اتفقا كان المعنى حين يثلثهما حرف آخر متساوياً أو متقارباً في الكلمات ذوات الحرفين المتشابهين ، كالذي في « قطّ وقطر وقطف » ونحو ذلك .

ومن أشهر من قال بمذهب الثنائية من المعاصرين الأب اوغست مرمرجي الدومينيكي . فإن له بحثاً ألقاه في مجلس مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجلسة التاسعة والعشرين يوم ٢٨–٥–١٩٥١) ونشر في محاضر جلسات المجمع للدورة السابعة عشرة .

وخلاصة ما ذهب إليه أن أصل المفردات في العربية حرفان ، ثم يزاد عليهما حرف ثالث إما تتويجاً أي في اول الكلمة ، وإما إقحاماً أي في في وسطها بين الحرفين . وإما تذييلا اي في آخرها .

مع بقاء العلامة المعنوية بين الثنائي والثلاثي كما هي مستمرة بين الثلاثي والرباعي وما فوقه من المزيدات (١) .

ويصف الأب مرمرجي مذهبه هذا بأنه لا يراد به هدم الثلاثية والرباعية ، ولكنه وسيلة للتأصيل . أي العودة بالألفاظ إلى أصولها الأولى ، وتلك مرحلة تسبق مرحلة التصريف .

وهو يشرح ذلك قائلا :

والقائل بالثنائية يدع التصريف على ما هو للثلاثي والرباعي ويحصر عمله في المعجمية . وفي هذا الحقل عينه لا يتوخى محق الثلاثية والرباعية ولكنه

(١) محاضر جلسات الدورة السابعة عشرة ص ٣٠١ .

يرتئي بأنه كما أن الرباعي يسوغ ردّه الى الثلاثي ، كذلك يمكن ردّ الثلاثي إلى الثنائي مما ينجم عنه أن : ليس الثلاثي بدء الاشتقاق بل الثنائي(٢) .

وإذن فإن هذا المذهب مذهب الثنائية غير معنيّ بالصرف وقواعده ، وإنما يتجه القائلون به إلى علم اللغة وأصول الألفاظ . ثم إنه ليس ثمة من دليل علمي معقول او محسوس يؤيد هذا المذهب او يأخذ بناصيته او يسلكه في نظام علم من علوم العربية التي يصح أن توصف قواعدها وأصولها بالاستقرار .

على أن ما يلاحظ في اتفاق طائفة من الألفاظ في حرفين من أحرفها الثلاثة واتفاق كلي او جزئي في دلالاتها ليس بدليل كافٍ على أن ذا الحرفين هو الأصل . وإلى ذلك أشار تعليق الأستاذ أحمد أمين رحمه الله حين تساءل : أي علاقة بني فرس وفرش مثلاً ؟ (٣)

وعلى كل حال فإن مثل هذا المذهب ليس إلا محض افتراض ليس له سند مكين من الواقع ، ولا فائدة فيه ، لأن هذه الألفاظ الثنائية اسماء كانت أم أفعالاً ليس لها وجود يعتد به في العربية التي تكامل نضجها واستوى كيانها منذ أكثر من خمسة عشر قرنا . بل إن قضية الزيادة والأصالة في الحروف أمر يستحق أن تمحص حقيقته وأن ينظر فيه نظرة فاحص .

— ٣ —

ولعل الاعتداد بالصيغ المسموعة ثلاثيها ورباعيها وخماسيها وسداسيها في الأفعال وسباعيها في الأسماء دون الرجوع إلى الأصل الثلاثي المفترض في اكثرها ، لعل ذلك أولى وأقرب إلى الواقع اللغوي وأيسر على المعلّم والمتعلم وأدخل في باب الانتفاع بالصيغ المختلفة للدلالة على المعاني المختلفة .

(٢) نفسه ص ٣٠٢ .
(٣) المحاضر المشار اليها ص ٣٠٢ .

والقاعدة التي وضعها علماء العربية لتمييز الحروف الأصلية من الحروف الزائدة أن الحرف الأصلي هو الذي يثبت في كل تصاريف الكلمة فلا يسقط في بعض التصاريف ، والزائد هو الذي يحذف في بعض تصاريفها .

يقول ابن مالك :

والحرف إن يلزم فأصل والذي
لايلزم الزائد مثل تا احتذي

قال الأشموني شارح الألفية : « لأنك تقول حذا حذوه فتعلم بسقوط التاء أنها زائدة في احتذي » (٤) .

— ٤ —

وزيادة الحروف تكون على صورتين إحداهما تكون بتكرير حرف من حروف الكلمة . وهي الزيادة التي يقال لها التضعيف بضم الحرف إلى مثله نحو سلّمَ في سَلِمَ .

وقد تكون بتكرير حرفين في ما يعرف بمضعف الرباعي نحو زلزل ودمدم ، عند من يذهب من علماء العربية إلى أنهما فعلان مزيدان لا مجردان .

والصورة الأخرى من صور الزيادة تكون بزيادة حرف مما يعرف بحروف الزيادة . وهي التي يجمعها قولك « سألتمونيها » أو « اليوم تنساه » أو « أمان وتسهيل » .

ويروي الرضي في شرحه لشافية ابن الحاجب ملحة من ملح علماء العربية ونادرة قلما يرد مثلها في مثل ابحاث علم الصرف .

يقول : قيل سأل تلميذ شيخه عن حروف الزيادة ، فقال : « سألتمونيها » فظنّ أنه لم يجبه . إحالةً على ما أجابهم به قبل هذا .

(٤) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢٦٢ .

فقال : ما سألتك إلا هذه النوبة . فقال الشيخ : « اليوم تنساه » .
فقال : « لا والله لا أنساه » .

فقال الشيخ : قد أجبتك يا أحمق مرتين .

وقيل إن المبرّد سأل المازني عنها فأنشد المازني :

هَويتُ السمان فشيّبنني

وقد كنت قدماً هويت السمانا

فقال (المبرد) أنا أسألك عن حروف الزيادة وأنت تنشدني الشعر . فقال : قد أجبتك مرتين (٥) .

ويذكر الرضي أيضاً أن ابن خروف جمع منها – أي من هذه الحروف – نيّفاً وعشرين تركيباً محكياً وغير محكي .

قال وأحسنها لفظاً ومعنى قوله :

سألت الحروف الزائدات عن اسمها

فقالت ولم تبخل « أمان وتسهيل »

وقيل « هم يتساءلون » ، و « سألتم هواني » وغير ذلك . (٦)

وجمعت أربع مرات في قوله :

« هناءٌ وتسليم » ، « تلا يوم أنسه »

« نهاية مسؤول » « أمان وتسهيل » (٧)

---

(٥) شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ج ٢ ص ٣٣١ .
(٦) نفسه .
(٧) شرح التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٣٦٤ .

ويلوح في هذا الذي سقناه من كلامهم على حروف الزيادة ملامح من التملّح والتظرف فارقهم فيها ولوعهم بالدقة والجدّ في ضبط قواعد اللغة . ولعل شيئاً من غلبة الصناعة اللفظية قد افضى بهم إلى تعدادها على الوجه الذي مرّ ذكره .

على أن ذلك لم يَفُت فريقاً من علماء العربيـة عقّب على كلامهم وأنعم فيـه النظـر .

فلقد أنكر أبو عمر الجرمي كون اللام من حروف الزيادة (٨) .وهو في ذلك أدنى إلى الصواب . فإن الذين ذكروها بين حر وف الزيادة لم يجدوا لها موضعاً إلا في : « ذلك وتلك وهنالك وأولالك » . واللام في هذه الأسماء لمعنى البعد في ما يسار إليه ، فهي إذن ليست كسائر حر وف الزيادة التي تصير حين تزاد في الكلمة جزءاً منها لايستقل عنها ولا ينسلخ منها . ثم إن هذه أسماء مبنية لم يعهد فيها زيادة حرف من الحرو ف كالأسماء المعربة وكالمصادر والأفعال المنصرفة . حتى كأن الزيادة لاتكون إلا فيها ..

على أنهم وجدوا لها موضعاً في أسماء وردت بلام في آخرها ، وقد وردت في الأصل أو في الأكثر بغير لام كـ « زيدل وعبدل وهيقل وفيشلة » . وقد ورد : زيد وعبد وهيق وفيشة . فاستدل الذين زعموا زيادة اللام على أن اللام في زيدل وعبدل وهيقل وفيشلة حرف من حروف الزيادة .

ومذهب الجرمي . وهو أوجه المذاهب ، انهما قد يكونان لفظين بمعنى يظن أنهما متلاقيان اشتقاقاً للتقارب في اللفظ ويكون كل واحد من تركيب آخر كما في « ثرّة وثرثار » (٩) . وزعم الرضي أن ذلك تكلف من

(٨) شرح الرضي ج ٢ ص ٣٨١ .
(٩) شرح الرضي ج ٢ ص ٣٨١ ــ ٨٢ .

وأن اللام في هذه الأسماء زائدة وزيادتها ثابتة في زيدل وعبدل بمعنى زيد وعبد (١٠) .

على أننا لم نجد مثل هذه الزيادة في سائر الحروف مقتصرة على اسمين أو ثلاثة أسماء ، ثم إنها لاتنطبق عليها القاعدة العامة في غياب هذا الحرف المزعوم الزيادة في تصاريف الكلمة .

وأما الهاء فقد أنكر المبرد أن تكون من حر وف الزيادة . (١١) والذين عدّوها في حروف الزيادة لم يجدوها إلا في كلمة واحدة هي : « أمّهات » جمع « أم » . وقد وردت الهاء في لفظ « أم » كما في قول قصي بن كلاب :

أمهتي خندف والياس أبي

وردّت دعوى زيادتها بجواز أن تكون أصلية بدليل تأمّهت .

ومما أورده دليلاً على زيادة الهاء قولهم « أهراق الماء » « وهجرع » ونحو ذلك . وهي بضعة ألفاظ لاتقوم عليها قاعدة .

— ٥ —

ومهما يكن من أمر فإن هذين الحرفين اللام والهاء ليسا على شاكلة حروف الزيادة الأخرى : الألف والسين والتاء والياء والنون والألف والميم . لأن زيادة هذه الحروف مطردة في الأسماء وفي الأفعال حين يراد أن تدل الأسماء والأفعال على معان جديدة لم تكن تدل عليها قبل دخول تلك الحروف عليها .

مثال ذلك حروف المضارعة (حروف أنيت) ، الهمزة للمتكلم (الألف) (الألف) نحو « أقوم » ، والتاء للمخاطب وللغائبة نحو تقوم (أنت) وتقوم (هي) ، والياء للغائب نحو يقوم ، والنون للمتكلمين نحو « نقوم » .

---

(١٠) نفسه ص ٣٨٢ .
(١١) المتمع في التصريف لابن عصفور ج ٢ ص ٢٠٤ ط قبادة .

ومثل هذا يقال في الميم حين تزاد من أجل بناء اسم المفعول نحو مكتوب ، واسمي الزمان والمكان نحو « مرّصد ومقام » ، أو بناء المصدر الميمي نحو « مَقام ومُقام ومُستقرّ ومستودع » .

وكذلك الهمزة التي يعدّى بها الفعل اللازم نحو « أحضر ، وأكرم » .

والألف والسين والتاء نحو « استقام واستحسن » هذه الحروف التي تطرد زيادتها لأداء معان في لفظ الاسم أو لفظ الفعل لم تكن فيها قبل زيادتها .

ومن والواضح أن الهاء واللام ليسا مما يضيف إلى الاسم أو لفظ الفعل زيادة في المعنى .

ولعل المتابعة غير البصيرة هي التي أشاعت هذا الرأي . ولم يجد التمحيص والتدقيق سبيله إليه .

ولعل هذا الأ صل وهو دلالة زيادة الحرف على معنى بعينه ، كالذي سبق بيانه ، هو الذي يصح أن يركن إليه في الحكم بزيادة ذلك الحرف .

وينبغي أن يضرب صفحاً عن التماس الحروف الزائدة التي لايتبين لزيادتها معنى أي معنى . كالذي يفعل بالأسماء أو الأفعال التي تزيد حروفها على أربعة في الأفعال كاحرنجم واقعنسس واشمعلّ واصمألّ ، والأسماء التي تزيد حروفها على خمسة كـ سندأو حنطأو ونحو ذلك مما يحكم فيه بزيادة حرف أو حرفين لا لزيادة في معنى المجرد اسماً كان أو فعلاً ، وإنما لوجود أحد حروف الزيادة فيه أو لتضعيف حرف من حروفه .

ذلك لأن لا فائدة من كدّ أذهان الدارسين في التمرين على التماس الحروف الزائدة التي لم تزد لأداء معنى كالذي سبق بيانه في زيادة الميم أو حروف « انيت » .

إن هذا الذي يعرف في علم العربية بالتدريب في النحو أو في الصرف إنما هو ضرب من إرهاق الدارسين إرهاقاً لا يعود عليهم بنفع يذكر ، وأن ما يجنيه الدارس من نفع زهيد وفائدة يسيرة لايوزن بما يبذل فيه من جهد عقيم ، أو ما يخلّفه لديه من إملال وضيق يجنيان على إقباله على التعلم وتعلقه بهذا العلم الذي لاغنى عنه في الفهم والذوق والإنشاء .



طارق بن زياد

فاتح شطر الأندلس

اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضـــو المجمع

– ٢ –

فتح طُلَيْطُلَة (١) :

سار طارق بمعظم جنوده (٢) إلى كورة جيَّان (٣) في طريقه إلى عاصمة القُوط : طُلَيْطُلَة (Tolodo) . وقد اتّبع في طريقه الطريق الروماني القديم الذي يمرّ بمدينة جيَّان (Jaen) والذي يدعى : طريق هانيبال (٤) (Ani gal) ، مخترقاً هضاب الأندلس وجبال سيرا مورينا (جبل الشارتل) ، وكان القُوط قد فرّوا من طليطلة نحو الشمال بأموالهم وآثار قدّيسيهم ، ولم يبق من سكّانها غير عدد قليل من يهود ونصارى . وفتح طارق المدينة ، وأبقى على من بقي من سكّانها . وترك لأهلها عدّة كنائس ، وترك لأحبارها

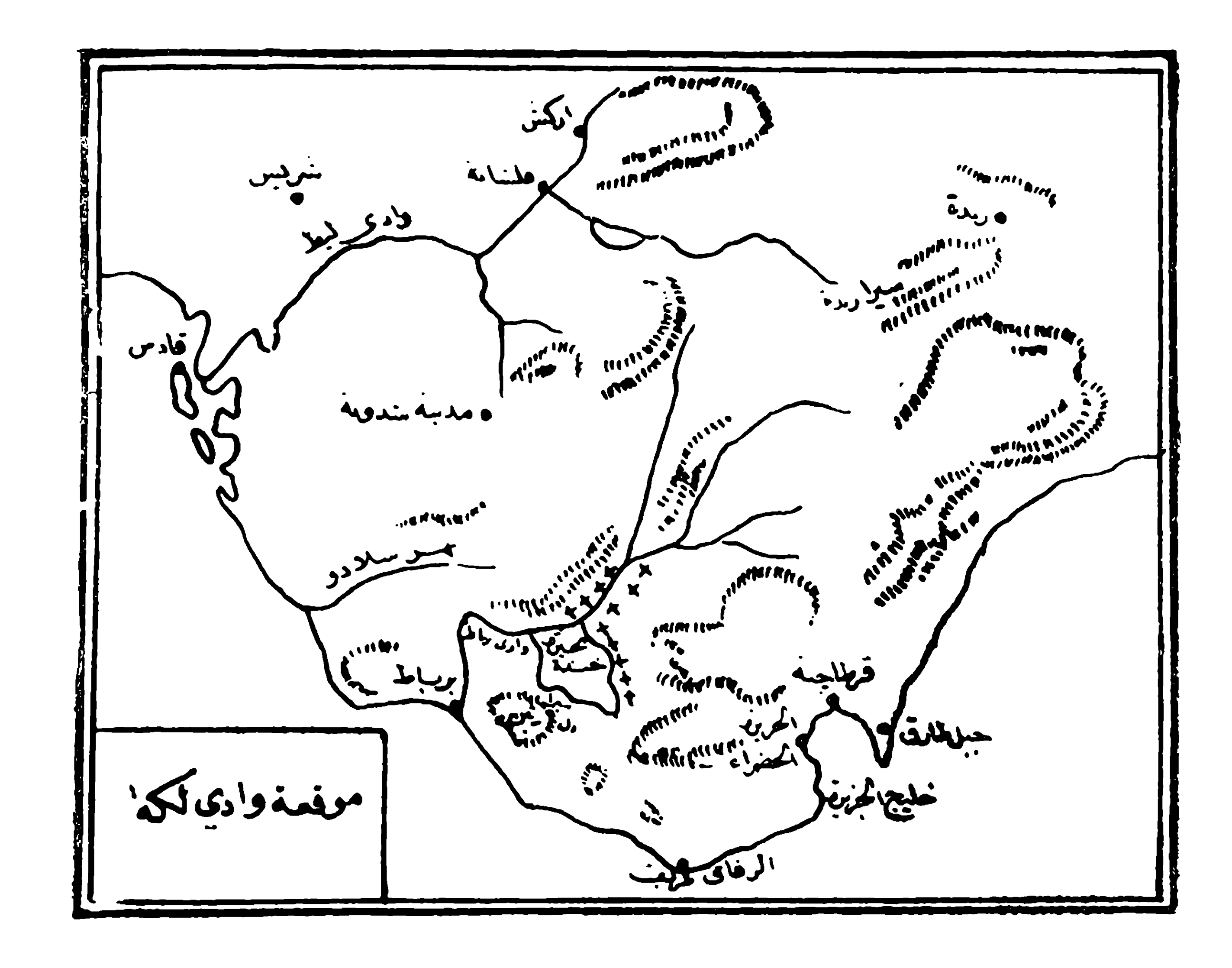
---

(١) طليطلة : مدينة كبيرة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادي الحجارة ، وتقع على شاطىء نهر تاجة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٦/٦) .

(٢) نفح الطيب (٢٤٤/١) .

(٣) جيان : مدينة لها كورة واسـعة بالاندلس . انظـر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣٠/٢) .

(٤) يذكر المقرى ان طارقاً سار الى طليطلة في الطريق المار بجيان ، اى انه اتبع طريق هانيبال الروماني . لأنه كان طريقاً معموراً في ذلك الوقت ، وفيه تمر اليوم سكة حديد الاندلس . انظر نفح الطيب (١٦٧/١) و Saavedra. op. Cit. 79


موقعة وادي لكه
اركش
شريش
فلنانة
وادي لبط
قادس
مدينة شذونة
نهر سلادو
ريدة
بوباط
قرطاجنة
جبل طارق
الجزيرة الخضراء
خليج الجزيرة
الرفاق

حريّة إقامة الشّعائر الدينيّة ، وأباح للنصارى القوط والرومان اتّباع شرائعهم وتقاليدهم ، واختار لحكمها وإدارتها أوباس مطرانها السابق وأخو الملك وتيزا (٥) .

وســـار طارق من طليطلة لملاحقة الهاربين ، مخلّفاً وراءه حامية من المسلمين للدفاع عن المدينة . واتّخذ طريق وادي الحجارة ، فعبر السلسلة الجبلية المسماة : (Cerro de san juan del viso) عند ممـــر سمّي على اسمه بفج طارق (٦) . وعندئذ وصل إلى مدينة خلف الجبل تسمى : مدينة المائدة (٧) ، وهذه المدينة هي قلعة هنارس (phcala Hanares) التي تقع شمال شرقي مدينة مَدْريد (٨) . واسم مدينة المائدة ، مشتق من مائـدة عثر عليها طارق . وهي كما يُروى تعود الى سليمان بن داود عليهما السّلام (٩) . ولكنّ ابن حيّان ينكر هذا الادّعاء ، ويذكر أنّ هذه المائدة صنعت من الذّهب والفضّة ومن معادن نفيسة أخرى ، بتبرعات ومساهمة أغنياء القوط لكنيسة طليطلة . واستُخدمت من قبل القساوسة لحمل الأناجيل أيام الأعياد ، وزينة توضع فوق مذابح الكنيسة (١٠) . والاحتمال الغالب أنّها

---

(٥) دولة الاسلام بالأندلس (١/٥٠) ، وانظر التاريخ الاندلسي (٦٥) .

(٦) من المحتمل ان هذا المكان يقع بالقرب من (Buitrago) (Bibtrak) ، وهي المدينة التي تشرف على الممر الجبلي الذى يصل بـ(قشتالة الجـديدة وقشتالة القديمة) . انظر : Gayangos. Vol. I. P. 533

(٧) ابن القوطية (٩) واخبـار مجموعة (١٤) وفتح الأندلس (٩) وابن الأثير (٥٦٤/٤) والبيان المغرب (١٢/٢) ونفح الطيب برواية ابن حيان (١/٢٦٤-٢٦٥) والرسالة الشريفية (١٩١) .

(٨) Saavedra. P. 79.

(٩) فتوح مصر والمغرب (٢٠٧) والادريسي (١٨٧ ــ ١٨٩) واخبار مجمـوعة (١٥) وفتح الأندلس (٩) وابن الاثير (٥٦٤/٤) والبيان المغرب (١٢/٢) والنويري (٢٨/٢٢) .

(١٠) نفح الطيب برواية ابن حيان (٢٧٢/١) .

كانت مذبحاً لكنيسة طيلطلة أكثر من كونها مائدة حقيقية ، حُملت إلى هذا المكان القصّي الحصين من قِبَل الهاربين من القساوسة ورجال الدين المسيحي (١١) ، وكان أسقف طليطـلة نفســه سَنْـدَرِد (Sindered) من بين الذين تمكنوا من الهرب في أثناء الفتح ، ونجح فعلاً في الوصول إلى إيطاليا (١٢) . وبعد افتتاح قعلة هنارس غنم طارق هذه المائدة مع التّحف الثّمينة الأخرى (١٣) .

(١١) قارن : فجر الاندلس (٧٨ ــ ٧٩) .

(١٢) Ghr. 754. P. 147 (no. 35).

(١٣) يذهب معظم المؤرخين المسلمين الى أن طارقاً غنم هذه التحفة الثمينة مع غيرها من التحف في مدينة المائدة ، وهذه هي في داخل قلعة هنارس ، وهى بالطبع ليست مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ــ ان كانت لسليمان مائدة ــ ، وهى ليست كذلك بمائدة أصلا ، اذ لا يعقل أن يهتم القوط ولا غيرهم بصناعة مائدة بمثل هذه الفخامة ، ولكنها على الغالب مذبح الكنيسة الجاري في طليطلة ، اذ لم تكن في قلعة هنارس اذ ذاك كنيسة كبيرة يحتمل وجود مثل هذا المذبح الفخم فيها . ويفهم ذلك من عبارة صريحة لابن حيان يقول فيها : « وهذه المائدة المنوه عنها المنسوبة الى سليمان النبي عليه السلام ، لم تكن له فيما يزعم رواة العجم ، وانما أصلها أن العجم في أيام ملكهم ، كان أهل الحسبة منهم ، اذا مات احدهم أوصى بمالٍ للكنائس ، فأذا اجتمع عندهم ذلك المال ، صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي وأشباهها من الذهب والفضة ، تحمـل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا ابرزت أيام المناسك ، ويصفونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذا السبيل » .... وبقية العبارة تدل صراحة على أن تلك المائدة انما كانت لمذبح كنيسة طليطلة ونقلت المائدة الى قلعة هنارس ، فيما يبدو ، لتهريبها من المسلمين ، ولوضعها في مكان حصين، كانوا يظنون أن المسلمين يصعب عليهم الوصول اليه بسهولة ويسر . والمصادر الاسلامية تصف هذه المائدة بأنها : « كانت من زبرجدة خضراء ، حافاتها وأرجلها منها » ، والغالب أنهم كانوا يريدون أنها كانت محلاة بالزبرجد الاخضر ، انظر فتوح مصر والمغرب (٢٠٧) واخبار مجموعة (١٧ و ١٩) والبيان المغرب (١٤/٤) ونفح الطيب برواية ابن حيان (٢٧٢/١) وفتح الاندلس (٩) .

وكان الصّيف قد انقضى ، وأقبل شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ثلاث وتسعين الهجرية (تشرين الأول ٧١١ م) ومعه برد الخريف ، ففضّل طارق وأصحابه العودة إلى طليطلة لكي يقضوا الشتاء فيها (١٤) ، وكانت الغنائم قد أثقلت جيش طارق إلى حدّ عظيم .

ومع هذا ، فهناك روايات أخرى ، تشير إلى أنّه استمر في فتوحه ، فوصل إلى جِلِّيْقِيَّة (١٥) (Golicia) وأَسْتُرْقَة (١٦) (Astorga) وما يجاورهما من مناطق (١٧) ، الأمر الذي يصعب تصديقه ، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار ، إطلالة الشتاء ، ووعورة المنطقة(١٨) ، وتغلغل طارق عميقاً في أنحاء الأندلس . بشكل لا يتناسب مع مالديه من قوات مقاتلة (١٩). وفي ذلك يقول ابن حَيَّان ، فيما ينقله المَقَّرى في نفح الطيب : « ومضى خلف مَن فرّ من أهل طُلَيْطُلَة ، فسلك إلى وادي الحِجَارة (Guadala are) ثم استقبل الجبل فقطعه في فجّ سمّي به بعد . فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ».. ثمّ مضى إلى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل،....، فأصاب بها حُلِيّاً ومالا ، ورجع ولم يتجاوزها إلى طُلَيْطُلَة . سنة ثلاث وتسعين . وقيل : إنّه لم يرجع . بل اقتحم أرض جِلِّيقِيَّة واخترقها حتى انتهى إلى مدينة

(١٤) اخبار مجموعة (١٥) وابن الاثير (٥٦٤/٤) والبيان المغرب (١٢/٢) والنويري (١٢/٢٨) ونفح الطيب برواية ابن حيان (٢٥٦/١) والرسالة الشريفية (٢٩٢) .
(١٥) جليقية : ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الاندلس في اقصاه من جهة الغرب . انظر معجم البلدان (٨/٣).
(١٦) استرقة : بلد بناحية جليقية قرب ساحل المحيط وقرب مدينة ليون ، انظر قادة فتح المغرب (٢٦٨/١) .
(١٧) ابن القوطية (٩) وابن الاثير (٥٦٤/٤) والرسالة الشريفية (١٦٢) والنويري (٢٨/٢٢) ونفح الطيب (٢٦٢/١) .
(١٨) الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس (١٧٤) .
(١٩) قادة فتح المغرب العربي (٢٥١/١) .

أسْتُرْقَة ، فدوّخ الجبهة ، وانصرف إلى طُلَيْطُلَة ، والله أعلم » (٢٠) . عاد من مدينة المائدة . لأنّ الشتاء كان قد اقترب وكان الإجهاد قد نال من المسلمين ، وثقلوا بالغنائم . والأرجح أنّه قام بحملاته نحو هذين البلدين القاصيين بعد ذلك بزمن ليس بالقصير (٢١) . وقد استغرقت عمليات الفتح التي قام بها طارق ، قبل لقائه بموسى بن نُصَير وإنجازاته أقلّ من سنة ، ربما بعدّة شهور (٢٢) .

بقي عليّ أن اشير إلى تعاون المسلمين ويهود الأندلس ، فهناك إشارات كثيرة في المصادر الاسلامية إلى هذا التّعاون في أثناء فتح الأندلس ، وتروى هذه المصادر أنّ المسلمين كرروا ما فعلوه في قرطبة وطليطلة على بقّية المدن الأندلسية المفتوحة الأخرى ، فحين يتمّ لهم فتح مدينة من المدن ، يعمدون إلى ضمّ سكّانها من يهود إلى المسلمين المدافعين عنها ، حاميةً لها ، بعد حركة المسلمين إلى فتح جديد (٢٣) .

ومن الناحية الأخرى ، فانّ المصادر اللاتينيّة لا تشير إلى أيّ نوع من تعاون المسلمين مع يهود الأندلس ، وبصورة خاصة حولية سنة (٧٥٤ م) وحولية بلدة قرطبة ، وحولية الفونسو الثالث . ولكن لذريق الطُليطليّ (Rodericus Toletanus. Roderic of Toledo) ولوقادي توي (Luc asde Tuy) (Lucas of Tuy) — قد ذكر بأنّ يهود الأندلس ساعدوا المسلمين

---

(٢٠) نفح الطيب (١/٢٦٤ – ٢٦٥) ؛ وانظر الروض المعطار (١٧٩) .

(٢١) فجر الاندلس (٨٠) .

(٢٢) التاريخ الاندلسي (٦٦) .

(٢٣) الرازي نشر جاينجوس (٧٢) والاحاطة برواية ابن القوطية (١/١٠١) واخبار مجموعة (١٢ و ١٤ و ١٦) وابن الأثير (٤/٥٦٤) والبيان المغرب (٢/١٢) ونفح الطيب برواية الرازي (١/٢٦٣ – ٢٦٤) .

في الفتح (٢٤) ولا يمكن تجاهل روايات المصادر الاسلامية إلى هذا التعاون ، ومع هذا فانّه من غير الممكن تجاهل أنّ قصّة هذا التعاون قد بولغ فيها(٢٥) كثيراً،ولم يُفهم القصد منها تماماً كما ينبغي . ومن المحتمل أنّ يهود الأندلس حاولوا مساعدة المسلمين حينما أصبح هؤلاء فعلاً في الأندلس منتصرين ، وذلك نتيجة للاضطهاد الذي لاقاه يهود الأندلس على يد ملوك القوط (٢٦) ، ولكن من المستحيل أن يكون هناك أيّ اتفاق سابق أو مؤامرة ، كما يحاول أن يبرهن بعض المؤرخين الاسبان (٢٧) ، بين المسلمين ويهود الأندلس لتسليم البلاد إلى المسلمين ، إذ لم يكن بمقدورهم أن يفعلوا ذلك ، لضعفهم وتفككهم وانهيار معنوياتهم وشعورهم بمركب النقص ، فهم كانوا بحاجة إلى مساعدتهم وإلى مَن يساعدهم . ولم يكونوا قادرين على مساعدة أحد بالقوّة ، لافتقارهم إلى القوّة . ومن المفيد في هذا المجال ، أن نلاحظ ، أنّ هذه الاتّهامات قد رفضت من قبل مؤرخي يهود ، باعتبارها أساطير معادية للسّامية (Anti — Semitic Logends) (٢٨) .

---

(٢٤)
Toderic of Toledo (d. 1247 A. D.), De rebus Hispaniae, 111, 23-24 (Schott, lisoaniae illustratae, Fronkfurt aln, 1603, 111, 67-68); Lucas of Tuy, Chronicon mundi, 111, Era 748 (Schott, op, cit., iv, 70) in Katz, The Jews in the Visigothic and Frnakish..., pp. 116-117.

(٢٥) الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس (١٧٢) .

(٢٦) راجع الفصل الاول من كتاب : الفتح والاستقرار العربي والاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، عن اضطهاد القوط لليهود .

(٢٧)
R. Anador de los Rios, Historia Social, Polotica y religiosa de los. judios de Espana y Portugal, madnd, 187576, Vol. I.P. 107, cit. Ashtor. of. cil., Vol. 1.P. 22; A. Ballesteros y Baratta, Historia de Espaia: Su influencia an La historia Universla, Vol. 11, p. 107.

Bare, op. cit., vol. 1. p. 23-p Ashtor. op. Cit., Vol. p. 22

والواقع هو أنّ يهود الأندلس ، قبل الفتح الاسلامي للأندلس ، كانوا مضطهدين من ملوك القوط ومن القوط أنفسهم ، فلما انتصر المسلمون على القوط ، عرض يهود خدماتهم على المسلمين . الذين رفعوا عنهم الظلم وعاملوهم بالحسنى معاملة إنسانية ، كدأبهم مع المظلومين بعامة وأهل الكتاب منهم بخاصة ، فعاونوا جاليات المدن الأندلسية المفتوحة من المسلمين . بانذارهم المبكرّ بنوايا القوط وتحرّكاتهم ، والمسلمون وحدهم يدافعون عن المدن المفتوحة ، بالاستعانة بالعيون والأرصاد والجواسيس من يهود الأندلس ، باعتبارهم من أهل تلك المدن ، وأعرف الناس بمداخلها ومخارجها ومواطن ضعفها وقوّتها ، ولم يتطرّق مصدر من المصادر الاسلامية إلىأنّ يهود الأندلس دافعوا عن المدن المفتوحة مع المسلمين بالسِّلاح . ولم تتطرّق تلك المصادر إلى أنّ يهود الأندلس قاتلوا القوط مع المسلمين .

لقد عاون يهود الأندلس المسلمين الفاتحين ، لأنّ المسلمين كانوا أعداء القوط ، وعدوّ عدوي صديقي ، كما يقول المثل العربيّ المشهور . ولكن هذا السبب ليس كافياً بالنسبة للعقلية اليهودية المعروفة . والسببالمهم هو أنّ المسلمين هم المنتصرون ، والقوط هم المغلوبون . فهم دائماً مع المنتصر على المغلوب ومع القوي على الضعيف ، لأنّهم يستفيدون من المنتصر لحمايتهم وتوقّع الانتفاع منه في مصالحهم المادية والمعنوية . ثم إنّ المسلمين الفاتحين أصبحت بيدهم مقاليد الأمور في المدن المفتوحة ، وهم حكام الأندلس اليوم وغدا ، أما القوط ، فقد كانوا حكام الأمس ، ولا فائدة ترتجي منهم اليوم أو غدا ، ويهود مع مَن بيده مقاليد الأمور ، الحاكم الذي يستطيع أن يفيد ويضر ، لا مع مَن لا يستطيع أن يفيد ويضر ، وليس له من الأمر أيّ شيء . وقد ذاع عدل المسلمين ومعاملتهم الناس بالحسنى ، بينما جرّب يهود الأندلس القوطَ ، فلم يجدوا منهم إلاّ الظلم والاضطهاد ، فعاونوا أصحاب العدل على أصحاب الظلم ، وأصحاب الرحمة على أصحاب الاضطهاد .

ولكن يهود الأندلس كانوا مع المسلمين في الأندلس ، ماداموا أقوياء متّحدين ، فلما ضعفوا وتفرّقوا ، وأصبحوا دويلات بعد أن كانوا دولة واحدة ، وقوي الاسبان واشتد ساعدهم ، وأخذوا يعملون على استعادة بلادهم من المسلمين بالسياسة والحيلة والتآمر تارة ، وبالقوة تارة أخرى ، أصبح يهود الأندلس مع الأسبان على المسلمين ، فلما استولى الاسبانيون على إسبانيا ، وانحسر حكم المسلمين من الأندلس ، لقي يهود إسبانيا من الاسبان جزاء سِنِمّار ، واضطُهد مَن بقي منهم في إسبانيا اضطهاداً ذكّرهم باضطهاد القوط لهم قبل الفتح الاسلاميّ ، وحينذاك فقط ، قال قائلهم : « كانت أسعد أيام يهود الأندلس ، طيلة تاريخهم في الأندلس ، هي أيام الحكم الاسلامي في الأندلس ، ففي تلك الأيام وحدها عرفنا الحرية والعدل والرخاء والتّسامح ، ولم نكن نعرف هذه القيم قبل المسلمين ، ولا عرفناها بعدهم ! »

إنّ يهود الأندلس ، كبقية يهود العالم ، في كلّ زمان ومكان ، يعملون من أجل مصالحهم فقط ، لا من أجل أشخاصٍ معيّنين أو أمم معيّنة أو مبادئ وقيم معيّنة ، فهم يعاونون مصالحهم ويتعاونون مع مصالحهم ، وهم يعينون من ينفعهم في مصالحهم ويتعاونون معه ، فمصلحتهم أولاً وقبل كلّ شيءٍ ، والتعاون والمعاونة من أجل تلك المصالح الذاتية .

ذلك هو مظهر تعاونهم سرّاً ، في نقل الأخبار ونشر الاشاعات وخلق الفتن والتجسّس ، لهم الغُنْم دوماً دون الغُرْم ، والمنفعة دون الضرر ، ولهم مصالحهم وعلى غيرهم تحمّل المسؤولية .

٧ ـ فتوح طارق بعد عبور موسى بن نُصَيْر الى الأندلس

١ . بين موسى وطارق :

كان ردّ الفعل لانتصار حملة طارق عظيماً في شمالي إفريقيّة ، فبعد سماعهم أخبار النصر الذي أحرزه طارق على لذريق ، اتّجه البربر نحو الأندلس من كلّ صوب ، واجتازوا المضيق بما وقعت عليه أيديهم من قوارب ومراكب ، وبعد وصولهم استوطنوا المناطق السّهلة من البلاد التي هجرها سكانها الأصليون ، الذين اضطروا إلى اللجوء نحو القلاع والحصون ، أو هربوا إلى المناطق الجبليّة (٢٩) .

وبعد أن فتح المسلمون عاصمة البلاد وكسروا قوات لذريق وقضوا على كلّ أمل للقوط في العودة إلى الحكم ، تقدّم أبناء غيطشة إلى طارق يطلبون إليه الوفاء لهم بما وعدهم به من الكرامة وحسن الجزاء ، ويبدو أنهم كانوا يطمعون أن ينسحب المسلمون من الأندلس ليعود أبناء غيطشة إلى الحكم من جديد ، فلما تبين لهم أنّ طارقاً ومَن معه جاءوا ليبقوا لا ليرحلوا ، وأنهم جاءوا لنشر الاسلام بالدعوة إلى الله ، سُقط في أيديهم ، ووجدوا أن لا مندوحة لهم عن القناعة بما يمنحهم المسلمون إيّاه ، فمنحهم طارق ضياع أبيهم ـ وكان عددها كبيرا ـ وأمضاها لهم . ويبدو انّهم طمعوا بالمزيد ، فلم يجبهم طارق إلى ما سألوا ، لأن ذلك يخالف ما وعدهم به ، وهو منحهم ضياع أبيهم بلا زيادة ولا نقصان ، فاستأذنوا طارقاً في المسير إلى موسى بن نُصير في إفريقيّة ، وسألوه الكتابة إليه بشأنهم معه ، وما أعطاهم من عهد ، ففعل . ولما بلغوا موسى ، أقرّ طارقاً على مافعل . ويبدو

(٢٩) نفح الطيب برواية الرازي (١/٢٥٩) .

أنّهم ألحوا على موسى بالزيادة ، فأحالهم على الخليفة نفسه (٣٠) ، فأقرّ عهد موسى وطارق (٣١) .

وكان طارق على صلة بقائده موسى بن نُصير : يفتح الفتوحات باسمه وبتعليماته وأوامره ووصاياه ، ويخبره ، عن كلّ شيءٍ أوّلاً بأوّل منذ بداية الفتح ، ويستشيره بكل ما يحتاج إلى المشورة ، « وبلغ الخبر موسى بكتاب طارق إليه ، فكتب به موسى إلى الوليد » (٣٢) . وبعد سنة من عبور طارق وتفرّق جيشه وتوزيعه على المناطق والمدن التي فُتحت ، خاف طارق أن يُغلب وأن يستغلّ القوط قلّة جيشه ، فأرسل إلى موسى يستنجده (٣٣) ، والأمثلة على اتصّال طارق بموسى في المصادر الاسلاميّة كثيرة جداً ، مما يدلّ على أن الانسجام والتعاون والوفاق كان سائداً بين موسى وطارق .

وبلغت فتوحات طارق أسماع موسى ، فغضب موسى لعصيان طارق لأوامره . فقد أمره موسى ألاّ يتعدّى قرطبة على قول ، أو موضع هزيمة لذريق في وادي لَكَّة على قول(٣٤) . فسارع موسى إلى عبور المجاز ودخول الأندلس .

وهناك مَنْ ينصّ ، على أنّ عبور موسى بن نُصَيْر إلى الأندلس كان بسبب استدعاء طارق إيّاه(٣٥) ، فقد كتب طارق إلى موسى : « إنّ الأمم

(٣٠) نفح الطيب برواية الرازي (١/١٦٧ ـ ١٦٨) .
(٣١) فجر الاندلس (٨٣) .
(٣٢) تاريخ الاندلس (٤٨) وابن خلدون (٤/٢٥٤) .
(٣٣) الامامة والسياسة (٢/٧٤ ـ ٧٥) وفجر الاندلس (٨٩) وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (٩٢) ، التاريخ الاندلسي (٦٨) .
(٣٤) البيان المغرب (٢/١٨ ـ ١٩) .
(٣٥) البيان المغرب (٢/١٩) .

قد تداعت علينا من كلّ ناحية ، فالغَوْث . . . . الغَوْث . . . . » ، فلما أتاه الكتاب ، نادى في الناس وعسكر ، فاستخلف عبد الله بن موسى بن نُصَيْر على إفريقيّة وطَنْجَة والسُّوْس (٣٦) ، وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق إلى مروان بن موسى ابنه يأمره بالمسير ، فسار مروان بمن معه ، حتى أجاز إلى طارق قبل دخول أبيه موسى . وخرج موسى بن نُصير والناس معه ، حتى أتى المجاز ، فالمجاز ، فأجاز بمن زحف معه في جموعه(٣٧) .

هذان السببان مقبولان غاية القبول ، من الناحية العسكرية العلميّة البحت ، فقد شعر موسى أنّ المسلمين قد استرسلوا بالفتح ، أكثر مما ينبغي ، بالنسبة للقوات المتيسرة لديهم ، وأنّ خطوط مواصلاتهم في شبه الجزيرة الواسعة الأرجاء في خطر داهم ، فقد بقيت مدن الشرق والغرب الأندلسيّة لم تُفتح بعد ، وكان لابدّ من فتحها وإلاّ تعرّض المسلمون الفاتحون لخطر عزل قوّاتهم عن بعضها ، والقضاء عليها وهي متفرقة ضعيفة في كلّ مكان تحلّ فيه ، وقطع خطوط مواصلاتها الواهنة لامتدادها بعيداً عن قواعدها ، ولأنّ أجنحتها مكشوفة لوجود مدن معادية غير مفتوحة ، قريبة منها وتستطيع التأثير فيها بسهولة وسرعة،ولأنّ قوّات المسلمين كانت قليلة جداً ، بالنسبة إلى طول خطوط مواصلاتها وإلى سعة البلاد وكثافة سكّانها . وفعلاً حدث

---

(٣٦) السوس : (أ) السوس الادنى : كورة كبيرة بالمغرب مدينتها طنجة . ب . السوس الاقصى : اقصى بلاد المغرب على المحيط ، والسوس الاقصى ، اسم مدينة اطلق اسمها على كورة السوس الاقصى ذات المدن والقرى الكثيرة . ج . والسوس : مدينة بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية ، وبين السوس الاقصى مسيرة شهرين ، وبعده المحيط الاطلسي، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢/٥) والمشترك وضعا (٢٥٩) والمسالك والممالك (٣٤) .

(٣٧) الامامة والسياسة (٧٤/٢ ـ ٧٥) ، وفي البلاذري (٢٣٢) : ان موسى كتب الى طارق كتابا غليظا ، لتغريره بالمسلمين وافتتانه عليه بالرأي في غزوه ، وامر الا يتجاوز قرطبة .

ما توقّعه طارق وموسى ، فقـد أصبح قسم من قوّات المسلمين منعزلاً أو شبه منعزل ، بعيدة عن إمكان دعمها بقوّات إسلاميّة كافية عند الحاجة ، وأصبح موقف المسلمين بصورة عامة في الأندلس خطيراً للغاية ، مما جعل طارق يستغيث بموسى ، فلا يرى موسى حلاً مُرضياً إلاّ أن يعبر إلى الأندلس بنفسه مع قوّات إسلامية كافية ، لمعالجة الأمور هناك ، فحشد لحملته هذه كلّ قوّاته المتيسِّرة : عشرة آلاف من العرب ، وثمانية آلاف من البربر ، في سفن صنعها خصيصاً لذلك ، يحفزه شغف بالفتح رغماً من شيخوخته ، ونزل بولاية الجزيرة ، حيث استقبله الكونت يوليان ، وذلك في شهر رمضان من سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٣٨) (حزيران — تموز ٧١٢ م) .

وأكاد أتبيّن بوضوح ، أنّ موسى كان يعرف حرص الخليفة الوليد ابن عبد الملك على أرواح المسلمين حرصاً لامزيد عليه ، وأنّه كان يمانع من ركوب البحر ومن فتح الأندلس حرصاً على أرواح المسلمين ، وأنه وافق على ركوب البحر وفتح الأندلس أخيراً بعد إلحاح موسى بن نُصير عليه وتزيين أمر الفتح له وتهوين أمر ركوب البحر عليه ، على أن تبقى مسئولية العمليّة كلها على عاتق موسى وحده دون سواه ، إذا لحق بالمسلمين ضرر وغُرِّر بهم ، فقد كتب موسى إلى الوليد بن عبد الملك يستأذنه في فتح الأندلس ، فأجابه الوليد : « أنْ خضها بالسّرايا ، حتى ترى وتختبر شأنها ، ولا تُغرِّر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال » ، فلما راجعه موسى ، أنّه ليس ببحر زخار ، إنما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه ، أجابه الوليد :« وإن كان ،

(٣٨) اخبار مجموعة (١٥) وفتح الاندلس (١٠) ونفح الطيب برواية ابن حيان (٢٦٩/١) والرسالة الشريفية (١٩٢) . ويذكر ابن حبيب (٧٣) وكل من الرازي وعريب ابن سعد ، ان موسى أبحر بعشرة آلاف رجل فقط ، انظر ابن الشباط (١١٦ – ١١٧) والبيان المغرب (١٣/٢) ونفح الطيب (٢٧٧/١) .

فلا بدّ من اختباره بالسّرايا قبل اقتحامه » (٣٩) ، وهكذا بقي موسى مع موافقة الوليد ، المسئول الأول عن عمليّة العبور والفتح ، ولن يتساهل معه الوليد إذا لحق بالمسلمين خسائر بالأرواح دون مسوِّغ منطقيّ مقبول .

لقد كان نزول موسى إلى الأندلس لسبب حربيّ واضح ، وهو تدعيم الفتح وترصينهُ ، وحتى يحول دون وقوع كارثة أكيدة بالمسلمين ، من جرّاء تغلغل طارق في الأندلس تغلغلاً لايتناسب مع مالديه من رجال .

وقد يرد على البال ـ وبخاصة بالنسبة للمدنيين ـ أنّ أعداد المسلمين تكاثروا في الأندلس بعد انتصاراتهم المتوالية ، فقد زحف البربر بأعداد ضخمة إلى برّ الأندلس ، واستوطنوا سهولها التي نزح عنها سكانها الأصليون ، ولكن تَعداد المسلمين الاجمالي في الأندلس ، ليس هو المهم ، بل المهم هو تعداد المقاتلين منهم ، المدربين على القتال ، والمجرَّبين في الميدان ، فقد اختار موسى قوات طارق قبل إبحارها معه إلى الأندلس ، واختار له جنود المدد وقيادتهم حين طلب طارق المدد ، أما الذين جاءوا للارتزاق والسكن من غير المدرّبين والمجرِّبين ، فلا قيمة قتالية لهم في ميادين القتال .

أما ما تردّد في مصادر التاريخ الاسلاميّ ، من أنّ موسى ما كاد يسمع بأخبار الفتح ، حتى أكل الحسد قلبه ، وقرّر أن ينال هو الآخر نصيبه من شرف الفتح(٤٠) ، وأنّه أساء معاملة طارق وضربه بالسّوط(٤١) ، فمغالى به ، إذ لايُعقل أن يصدر ذلك عن تابِعيّ جليل وقائد فاتح عرف بالعقل والاتِّزان والمروءة كموسى بن نُصير .

---

(٣٩) نفح الطيب (١/٢٥٣) والبيان المغرب (٢/٦) ووفيات الاعيان (٥/٣٢٠)، وانظر التاريخ الاندلسي (٤٦) .

(٤٠) ابن الاثير (٤/٢١٥) والبداية والنهاية (٩/٨٣) والبيان المغرب (٢/١٩) وابن خلدون (٤/١١٧) ونفح الطيب (١/٢٥١) .

(٤١) فتح مصر والمغرب (٢٨٣) .

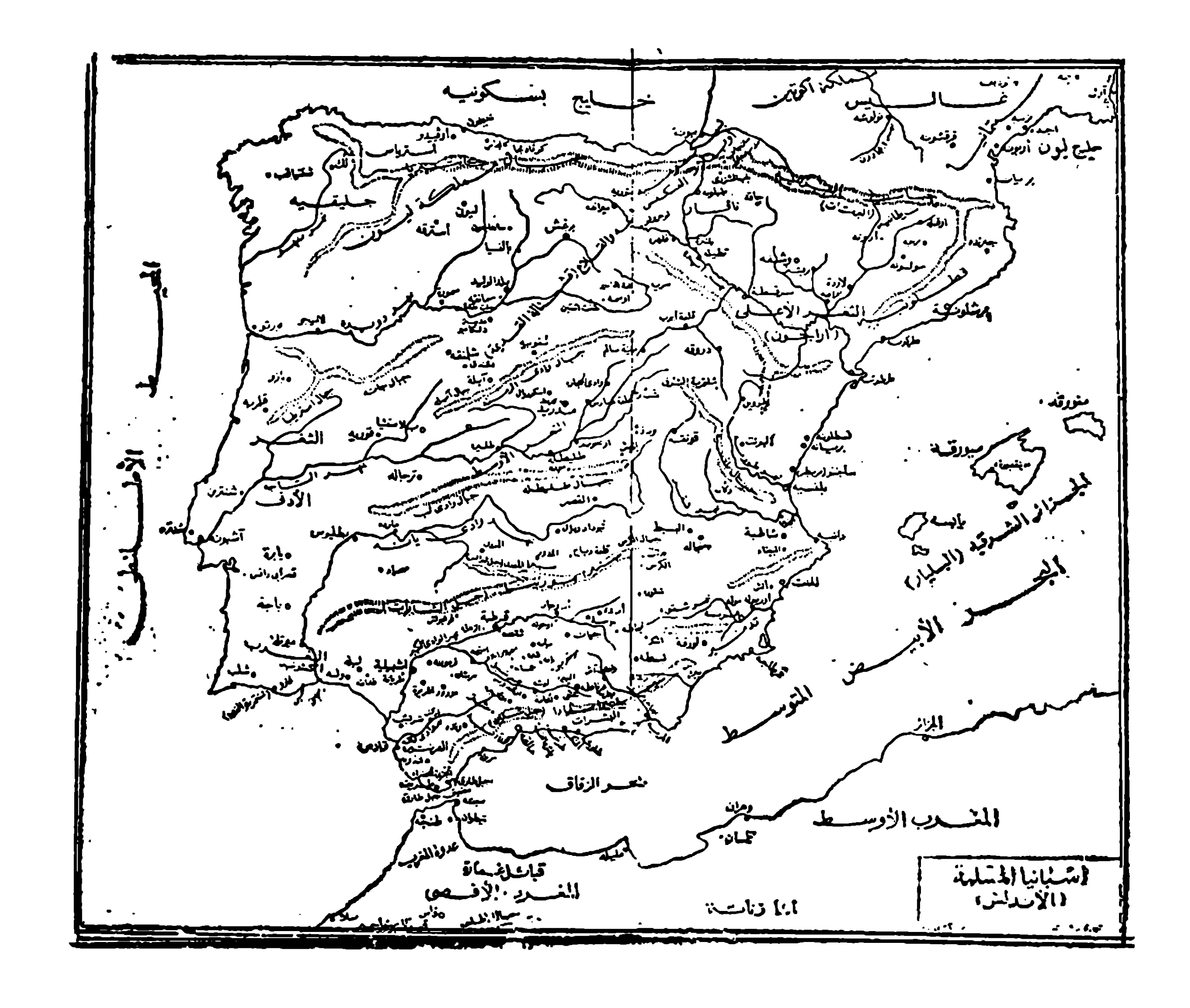
ثم إنّ طارقاً كان مولى لموسى ، يعمل بأوامره ، وينفّذها نصاً وروحاً ، وكان يكتب إليه أخبار الفتح مفصلاً ، فلو أنّ موسى حسد طارقاً أو أساء الظنّ به ، لاستطاع إزاحته عن طريقه ، وذلك بعزله أو استدعائه إلى القَيْرَوان ، فليس من المعقول أن يستطيع طارق مخالفة أوامر مولاه موسى في شيء .

ولعل أوضح دليل ، على مبلغ التزام طارق بطاعة موسى ، وأنّه كان مثالاً للطاعة والنِّظام ، أنّه بعث بأولاد غيطشة إلى مولاه موسى ، عندما قدموا إليه في طُليطلة وقالوا له « أنت أمير نفسك ، أم على رأسك أمير ؟ » ، فقال طارق : « بل على رأسي أمير ، وفوق ذلك الأمير أمير عظيم » (٤٢) ، وهذا يدلّ على منتهى الضبط وتقدير المسئوليّة والالتزام بسلسلة المراجع .

وأوضح دليل ، على أنّ قدوم موسى إلى الأندلس ، كان لمعاونة طارق لا لتأديبه ، وأنّه قدم الأندلس لأغراض عسكرية بحت ، هو أن موسى لم يذهب للقاء طارق بعد نزوله أرض الأندلس ، وإنما انصرف إلى فتح كبار البلاد الشرقية والغربية التي خلّفها طارق دون فتح ، وذلك لحماية جناح طارق الأيسر والأيمن من جهة ، ولتدعيم قواعد الفتح المتقدمة في الأندلس وتجميد قوّات العدو بإشغالها في جبهات عديدة بقوات المسلمين الضاربة ، فلما تمّ له ذلك سار موسى إلى طارق ولقيه في طَلَبِيْرة (٤٣) علي مقربة من طُليطلة ، ويقال إنّ الملاقاة بين طارق وموسى حدثت في مكان يدعى المعرض (Almaraz) بين نهري تَاجُهْ (Tojo) والتيتار (Tietar) قرب طَلبيْرَة غربي

(٤٢) نفح الطيب (١/٢٤٩) .

(٤٣) طلبيرة : مدينة بالاندلس من اعمال طليطلة كبيرة ، قديمة البناء ، على نهر تاجة ، بضم الجيم . وهي (Talavera de La Reina) الى الغرب من طليطلة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٥٣) وابن الابار (٢/٢٥٧) والروض المعطار (١٢٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥١٥) وصفة المغرب والاندلس للادريسي (١٨٧) وجغرافية الاندلس وأوروبا (٨٩) .


اسبانيا المسلمة
(الأندلس)
خليج بسكونيه
غاليس
المحيط الأطلنطي
جليقية
النغر الأعلى
البحر الأبيض المتوسط
الجزائر الشرقية (البليار)
ميورقة
منورقة
يابسة
بحر الزقاق
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
قبائل غمارة
تلمسان
وهران
بلنسية
سرقسطة
طليطلة
قرطبة
اشبيلية
ماردة
برشلونة
طركونة

طُليطلة (٤٤) . وحين التقيا قال موسى لطـارق : « يا طـارق ! إنّه لن يجازيك الوليد بن عبدالملك على بلائك ، بأكثر من أن يمنحك الأندلس ، فاستبحه هنيئاً مريئاً » ، فقال طارق : « أيّها الأمير ! والله لا أرجع عن قصدي هذا ، ما لم أنتهِ إلى البحر المحيط ، أخوض فيه بفرسي » ، ولم يزل طارق يفتح وموسى معه ، إلى أن بلغ إلى جِلّيقيّة ، وهي على ساحل البحر المحيط (٤٥) .

---

(٤٤) فتح مصر والمغرب (٢٠٧) وأخبـار مجموعة (١٨) وفتح الاندلس (١١) والبيان المغرب (١٦/٢) والرسالة الشريفية (١٩٣) ونفح الطيب برواية ابن حيان (٢٧١/١) ، وقارن Saavedra. p. 98.

(٤٥) نفح الطيب (٢٧١/١) ، فاين ذلك مما جاء في كتاب : فتح مصر والمغرب (٢٨٣) : « وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمرو ، فشده وثاقا وحبسه وهمّ بقتله . وكان مغيث الرومي غلاما للوليد بن عبدالملك ، فبعث اليه طارق فأبلغه ان رفعت أمرى الى الوليد ، فان فتح الاندلس كان على يدى ، وأن موسى حبسني يريد قتلي ، اعطيتك مائة عبد ... وعاهده على ذلك .... فلما أراد موسى الانصراف ، ودع موسى بن نصير ، وقال له : لا تعجل على طارق ، ولك أعداء ، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره ، وأخاف عليك وجده ! فانصرف مغيث وموسى بالاندلس !

« فلما قدم مغيث على الوليد ، أخبره بالذى كان من فتح الاندلس على يدى طارق ، وبحبس موسى اياه ، والذى أراد به من القتل ، فكتب الوليد الى موسى ، يقسم له بالله ، لئن ضربته لأضربنك ، ولئن قتلته لأقتلن ولدك به ؛ ووجه الكتاب مع مغيث الرومي .... فقدم به على موسى الاندلس ، فلما قراه أطلق طارقا وخلى سبيله ، ووفى طارق لمغيث بالمائة عبد التي كان جعل له » .... انتهى !!

واقول : ان هذا الذى ذكره ابن عبدالحكم في كتابـه : فتـح مصر والمغرب ، يناقض ما ذكره هو أيضا في ص (٢٨٣) من نفس الكتاب ، فقـد ذكر في ص (٢٨٠) : فأجاز موسى من الخضراء ، ثـم مضى الى قرطبة ، فتلقاه طارق ، فترضاه ، وقال له : انما انا مولاك ، وهذا الفتح هولك » ، ثم ذكر في نفس الصفحة ايضا : « ويقال : ان موسى هو الذى وجه طارقا بعد مدخله الاندلس الى طليطلة ، وهي النصف ما بين قرطبة وأربونة ، وأربونة أقصى ثغر الاندلس » ... وهذا يدل على ان

ولم يلبث طارق وموسى أن تعاونا تعاوناً وثيقاً ، فترك موسى طارقاً على

موسى كان منسجما مع طارق ، ويدل على انه لم يحبسه ولم يهم بقتله ، وأن كل ما جاء حول ذلك لا نصيب له من الصحة .

وابن عبدالحكم على جلالة قدره مؤرخا وعالما ، يذكر الروايات المختلفة اسوة بغيره من المؤرخين القدامى ، كأنه يحشد المعلومات المتيسرة ، دون أن يترك شاردة ولا واردة منها ، تمهيدا لمن يأتي بعده من المؤرخين ، ليناقش تلك الروايات ، ويرجح منها ما يراه راجحا ، ويبدى رأيه بالذي يراه صوابا ، فجزاه الله عن المؤرخين خيرا .

وفي كتاب : فجر الاندلس ص (٨٦) : « ولا نرى الا تفسيرا واحدا لانفراد ابن عبدالحكم من بين المراجع الموثوق فيها بهذه الرواية ، هو أنها كانت معروفة في المشرق ، مجهولة عند أهل الاندلس . واما وجودها في المشرق فمرجعه على اغلب الظن الى مغيث الرومي ، فقد كان محنقا على موسى ، مولعا بالكيد له ، لانه كان يرى انه مولى الوليد ، وانه أولى بولاية الاندلس كما سنرى ، فانتهز فرصة ذهابه الى المشرق لابلاغ الوليد أخبار انتصارات المسلمين ، واخذ يبالغ في مساءات موسى ويختلق عليه ، حتى لقد انكر عليه كل فضل في الفتح كما يرى في رواية ابن عبدالحكم الانفة الذكر ، وانتشرت قالاته بين أهل قصر الخليفة وبين أهل المشرق ، وسجلها المؤرخون المشرقيون الذين يمثلهم ابن عبدالحكم في هذه الناحية .

« واما الاندلسيون ، وهم احرى أن يعرفوا مثل هذا الخبر على صحته ، لان اخبارهم أخذت عن ناس حضروا بأنفسهم هذه المواقف ، فلا يعرفون الا أن موسى : « وضع السوط على راس طارق ونبه » ، كما يقول صاحب الاخبار المجموعة ، وقد كان مستطيعا أن يقول : ان موسى ضرب طارقا بالسوط ، بدلا من قوله : وضع السوط على رأسه ، فقط »... انتهى .

ولا أرى أن مغيثا يفترى على الخليفة الكذب ، وهو الصادق المؤتمن ، وليس بالامكان اتهام موسى مثل هذه التهمة ، لأن كذبها سيظهر حتما ، لعدم امكان اخفاء مثل تلك التهمة الكبرى ، ولا يمكن أن نصدق أن مغيثا ينقل للخليفة غير الواقع والصدق . ويبدو أن مغيثا لا علم له بهذه القصة ، وقد وضعت على لسانه من بعده ، لذلك لم يصدقها احد ولم ينقلها أهل الاندلس عن ابن عبدالحكم ، لانهم لم يصدقوا الحادث والحديث والراوي ، ومن حق كل انسان الا يصدق ما يبدو عليه التزوير والانحراف والافتراء .

قيادته ، وسار كلّ منهما في اتّجاه ، متعاونين متساندين ، وهذا واضح من قول ابن حيّان : « قالوا : ثمّ إنّ موسى اصطلح مع طارق ، وأظهر الرضى عنه ، وأقرّه على مقدّمته ، وأمره بالتقدّم أمامه في أصحابه ، وسار موسى خلفه في جيوشه » (٤٦) .

لقد تحمّل جيش طارق من الأعباء ما يزيد على طاقته ، لدرجة أجهدت الجند وعرّضتهم للأخطار ، فقد اقتحم هذا الجيش الأندلس ، وصادم القوط في مواقع موضعيّة وموقعة حاسمة ، وتوغّل في قلب البلاد ، واستولى على حاضرتها قبل أن يستفيق القوط من الصدمة ، كلّ ذلك جرى في وقت قصير . ثمّ إنّ المقاومة القوطيّة بدأت تتكوّن وتترعرع وتشتد بالتدريج في نواحي البلاد ، وبخاصة في جهة غربيّ الأندلس ، حيث تصلح المناطق الجبليّة المهجورة في إقليم استرامادور لأن تكون أوكاراً لرجال المقاومة القوطيّة . وهذا يفسّر لنا خط سير الحملة التي قادها موسى بن نُصير (٤٧) ، فحمى الجناح الأيسر المكشوف لقوّات طارق ، وحرم المقاومة القوطية من فرصة التعرّض بخطوط مواصلات المسلمين ، التي ترابط قواتهم الأمامية بقواعدها المتقدّمة في الأندلس . وهذا ما يفسّر لنا أهم سبب من أسباب توقّف طارق في طُليطلة وعدم تغلغله في الفتح ، فقد حرص موسى – وهو على حق– على توقّف طارق عن الانطلاق شمالاً أو شرقا أو غرباً للفتح . خوفاً من محاولة القوط قطع خطوط مواصلات قوّات طارق . وحتى لا يتعرّض جناحا قوّات طارق الأيمن والأيسر لخطر تعرض المقاومة القوطيّة المحتملة ، مما يسبّب لها خسائر فادحة بالأرواح .

والواقع . أنّ موسى كان يعمل مع طارق من أوّل نزوله الأندلس ،

(٤٦) نفح الطيب برواية ابن حيان (١/١٧٢) .
(٤٧) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (٩٢) .

بتعاون وثيق ، وأنّ خروج طارق للقاء موسى عند طَلَبِيرَة لم يكن لمجرّد اللّقاء ، بل لغرض آخر حربيّ سنعرفه ، وقد أتمّ الرجلان الفتح على أحسن ما يكون القادة تعاونا (٤٨) .

ب . فتوح موسى قبل لقاء طارق :

نزل موسى في جبل الفتح (جبل طارق) ، ثم دخل الجزيرة الخضراء وأقام فيها أياماً للراحة والتأهّب ، فلما عزم السير ، جمع حوله رايات العرب ووجوه الكتائب ، وعددها يزيد على عشرين راية ، فأجمعوا السّير إلى إشْبِيلِيَة وغزوا ما بقي من غربيّ الأندلس حتى أكْشُونِيَة (٤٩) .

وزحف موسى إلى شَذُونَة ، ومنها سار إلى قَرْمُونَة ورعواق (Alcaca Guadaira) ففتحها ، وبهذا أمّنت خطوط مواصلات المسلمين من الجزيرة الخضراء إلى قرطبة ، إذ أصبحت سلسلة مدائن الجزيرة وشَذُونَة ورعواق وقَرْمُونَة وإسْتّجة وقرطبة في يد المسلمين ، وأصبح بامكان موسى أن يتجه نحو الغرب ليفتح إشْبِيلِيَة كبيرة مدائن شبه الجزيرة بعد طُليطلة إذ ذاك .

واتّجه موسى بقوّاته نحو إشْبِيلِيَة ، ففتحها المسلمون بعد بضعة أشهر من الحصار ، ويبدو أنّ سكانّها فتحوا أبوابها للمسلمين بعد أن طال

---

(٤٨) انظر التفاصيل في قادة فتح المغرب العربي (١/٢٥١ ـ ٢٥٥ ـ) وفجر الأسلام (٨٧) .

(٤٩) اكشونيه : مدينة بالاندلس ، يتصل عملها بعمل لشبونة ، وهي غربى قرطبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣١٧) ، وفيه وردت اكسبونة . ورد اسم هذه المدينة في المصادر العربية بصيغ مختلفة : رعوان ؛ زعواق ، رعواق ، ويبدو أن الصواب هو : رعواق ، وهى قلعة جوادايرا ، انظر : نفح الطيب برواية ابن حيان (١/١٧٠) واخبار مجموعة (١٦) وفيهما ذكر فتح قرمونة قبل اشبيلية .

الحصار واشتدّ القتال. وأما حاميتها القوطيّة، فانسحبت إلى لَبْلَة (٥٠) على مصب وادي آنة، ومنها إلى أَكْشُونُبَة ـ(Sta. Maria de Faro) (Ossonoba)، ثم إلى بَاجَة (٥١)، وهناك استقرّت تنتظر الحوادث.

وسار موسى على رأس قوّاته قاصداً مارِدَة (٥٢)، متبعاً طريقاً رومانياً قديماً كان يصل البلدتين، واستولى في طريقه على بلدة تسمى لَقَنْت (٥٣) سلّم له أهلها دون مقاومة، فسمّوا لذلك: موالي موسى (٥٤).

ولما أدرك موسى ماردة. وجدها أحصن وأقوى مما ظنّها. فقد كان الهاربون من فلول القوط قد تجمّعوا فيها، لأنها بلد بعيد صعب المنال وعر المسالك، فأقام موسى محاصراً البلد بقيّة الصيف والشتاء التالي، ولم يسلّم البلد إلاّ في الأول من شهر شوّال سنة أربع وتسعين الهجريّة (٣٠

(٥٠) لبلة: قصبة كورة بالاندلس كبيرة، يتصل عملها بعمل اكشونية وهى شرق من اكشونية وغرب من قرطبة. بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة أيام. أربعة واربعون فرسخا، وهى برية بحرية، انظر معجم البلدان (٣١٩/٧).

(٥١) باجة: مدينة من أعمال الاندلس، تتصل بنواحي ماردة، وهي ضمن اثنتي عشرة مدينة قاعدتها ماردة، انظر المشترك وضعا والمفترق صقعا (٣٣) وجغرافية الاندلس واوروبا (٦٣).

(٥٢) ماردة: كورة متصلة من نواحي الاندلس، متصلة بحوز فريش بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة، احدى القواعد التي تخيرتها الملوك للسكنى، وهى مدينة رائعة كثيرة الرخام. فيها آثار قديمة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٠/٧).

(٥٣) لقنت: حصنان من أعمال ماردة بالاندلس: لقنت الكبرى، ولقنت الصغرى. وكل واحدة تنظر الى صاحبتها، انظر معجم البلدان (٣٣٦/٧). وقال ابن القوطية: «ثم قصد من اشبيلية، الى لقنت، الى الموضع المعروف بفج موسى. في أول لقنت الى ماردة»، انظر افتتاح الاندلس (٩).

(٥٤) فتح الاندلس (١١)، وانظر تعليق (Joaquin de Gonzalez) بخصوص هذه العبارة (٩٣) من الترجمة، وانظر فجر الاندلس (٩٣).

حزيران – يونيو ٧١٣ م) بعد قتال طويل ، هلك فيه نفر كبير من حامية البلدة بسبب كمائن أخفاها موسى في مقاطع الصخر أمام مخارج البلد ، وقد استُشهد أثناء محاولات نقب السور نفر من المسلمين ، سقطت عليهم دبابة كانوا قد اختفوا تحتها لينقبوا طبقة من السور مبنيّة من شيء يشبه التُرابة (٥٥) الصلبة . ولم يسلّم أهل البلد إلاّ بعد أن عاهدهم موسى على : « أنّ جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جاليقيّة للمسلمين ، وأموال الكنائس وحليّها لها » ، وهي شروط سيكون لها أثر في تحديد العلاقة بين المسلمين والقوط فيما بعد (٥٦) .

وأقام موسى في ماردة أكثر من شهر ، يرتّب أحوالها ، وينظّم أمورها ، ويريح رجاله ، ويكمل نواقصهم في السلاح والتجهيزات ووسائط النقل من الحيوانات ، استعداداً لاستئناف الفتوح .

ج . لقاء القائدين :

من الواضح أنّ موسى أحسّ أن عناصر المقاومة القوطيّة في ناحية ماردة ،

---

(٥٥) الترابة : الاسمنت .

(٥٦) وردت هذه العبارة الهامة عن ذلك الاتفاق في : أخبار مجموعة (١٨) ونفح الطيب (١/١٧١) ، وقد أورد هذان الكتابان تفاصيل مهمة عما فعله المسلمون حتى استطاعوا الاستيلاء على هذا الحصن المهم . ومن ذلك قصة المسلمين الذين استشهدوا تحت الدبابة التى كانوا يختبئون تحتها لنقب سور البلد ، ذكروا ان هذا الموضع يسمى الى وقتهما : (برج الشهداء) لهذا السبب . ويذكران ايضا حيلة موسى مع اهل ماردة وتلوينه شعره من ابيض الى أحمر الى أسود ارهابا لهم ، وانظر تفاصيل فتح ماردة في : الرازى نشر جاينجوس (٧٨) واخبار مجموعة (١٦–١٨) وابن الاثير (٤/٥٦٥ – ٥٦٦) والبيان المغرب (٢/١٤ – ١٥) والنويري (٢٢/٢٨ – ٢٩) وفجر الاندلس (٩٣) والفتح والاستقرار العربى الاسلامي (١٩٦) والتاريخ الاندلسي (٧٤ – ٧٨) .

كانت أقوى مما لقي المسلمون في أماكن أندلسية أخرى ، وعرف أنّ فلول القوط وأنصار لذريق بخاصة كانوا يتجمّعون في تلك المناطق الجبليّة الوعرة ظنّاً منهم أنّ المسلمين إذا وصلوا إليها ، فان طبيعتها الجبليّة الوعرة ستساعد المقاومة القوطيّة على الدفاع الرّصين ، حيث يمكن التّسرّب منها إلى نواحي قَشْتَالَة (٥٧) واسترامادورة إذا أخفقوا في الدفاع ، وفعلا لاقى موسى عقبات في طريقه من ماردة إلى طليطلة ، فخفّ طارق للقاء موسى بالظاهر ، ونجدته بالواقع ، حتى يخفّف الضغط على قوات موسى من جهة ، وليجبر المقاومة القوطيّة على مجابهة قوّات موسى وقوّات طارق في آن واحد ، ويضطرّها على الانسحاب .

والذي أخّر طارق عن الخروج للقاء موسى ، منذ عبوره إلى الأندلس ، حتى هذه الأيام . يمكن تفسيره بأن موسى ، رأى أنّ مقام طارق بطليطلة يؤمّنه من عمل يقوم به قوطها . فلما فرغ من أمر ماردة ، وأراد السيّر نحو طليطلة ، أحسّ أنّ الطريق طويل محفوف بالمخاوف ، لأن فلول القوط كانت تتجالب (٥٨) وتتجمع في تلك النواحي . فلما رأت موسى يأخذ في الطريق وجدت الفرصة سانحة لاعتراضه ومنازلته في معركة لها ما بعدها . وكان هذا هو السبب الذي حفّز طارقاً إلى المسير للقاء موسى . ولا يُعلّل سكوت طارق عن الذهاب إلى مولاه موسى طيلة أشهر الشتاء رغم وجوده على مقربة منه ، إلاّ بأنّ موسى لم يطلب إلى طارق المجيء إليه إلاّ في تلك الأيام ، حينما أحسّ ببعض ما كان يدبّر حوله في هذه المناطق الجبليّة الوعرة .

والواقع أن حشود القوط تربصت بالمسلمين في تلك المنطقة ، ولبثوا

---

(٥٧) قشتالة : اقليم عظيم بالاندلس . انظر التفاصيل في معجم البلدان

(٥٨) البيان المغرب (١٥) .

يتحينون الفرصة للانقضــاض على جيوش المسلمين . ولم يكن موسى ليستطيع السير من ماردة إلى طليطلة وهؤلاء في طريقه ، فكان لابد له من القضاء عليهم ، ولهذا استدعى طارقاً ليلقاه في منتصف الطريق بين ماردة وطليطلة ، فسار طارق نحو مائة وخمسين ميلاً ، وانتظر مولاه في وادي الأرّوكامبو (Arrocampo) ، في مكان يسمى المعرض (Almaraz) بين التاجة ونهر التيتار (Tietar) قرب طلبيرة غربي طليطلة (٥٩) .

أما موسى فسار في طريق ماردة ـ سلمنقة بحذاء نهر أطلق عليه اسمه ، وهو نهر موسى (Valmuza) (٦٠) .

وإذا كان قد حدث شيء ما بين القائدين، فلا يعدو أن يكون مناقشةَ بعض القضايا أو استفهامه من طارق خطته وإبداء الملاحظات عنها . « وعلى توغّله بالمسلمين ، وتغريره بهم » (٦١) ، حيث اندفع بهذه السرعة إلى قلب البلاد . وحين : « خرج إليه طارق وتلقّاه ، فتعتّب عليه موسى وقال

---

(٥٩) فتح مصر والمغرب (٢٠٧) وأخبار مجموعة (١٨) وفتح الاندلس (١١) والبيان المغرب (١٦/٢) والرسالة الشريفية (١٩٣) ونفح الطيب برواية ابن حيان (٢٧١/١) ، وفجر الاندلس (٩٩) ، وقارن Saavedra. p. 98.

(٦٠) وتعيين اتجاه موسى على هذا النحو ، يعيننا على تحديد المكان الذى التقى فيه بطارق على وجه التقريب . فابن عذارى يقول : واتفق الأكثرون على أن التقاءهما كان على طليطلة : « لما بلغه مسير موسى اليه، فلقيه بمقربة من طلبيرة » ، كما قال الرازى ، وذكر الطبرى أنه كان على قرطبة . ولما كانت بعض المراجع ، الاجنبية تقول بأن اللقاء وقع عند ناحية تسمى (Almaraz) وهو لفظ عربي الاصل يرجع الى أصله العربي : (المعرض) وهو مكان على مقربة من طلبيرة ، فاننا نستطيع القول بأن لقاء بين موسى وطارق وقع هناك ، انظر البيان المغرب (١٧/٢) وأخبار مجموعة (١٨)
Saavedrv. op. Cit. p. 98, Rode Ricus Tolitanus. De rbus Hispaniae, 1, 111. Cap. XX 1 V

(٦١) البيان المغرب (١٦/١) .

له : ما دعاك إلى الإيغال والتّقحمّ في البلاد بغير أمري ؟ » (٦٢) . فاعتذر له طارق بخطته العسكرية أمام الظروف المحيطة والضرورة الداعية لأسلوبه القتالي (٦٣) . وقد تمكّن طارق من حسم القضيّة مع سيّده ، وأظهر نواياه الحسنة ، وعرض على موسى كلّ ما أصابه من غنائم وكنوز في فتوحاته (٦٤) . ويبدو أنّه كان موفقاً أيضاً في إقناع موسى بوجهة نظره في الفتح ، وبضرورة استقرار المسلمين الدائم في البلاد المفتوحة ، وهذا الأمر واضح جداً من التفاهم المتبادل ، والتعاون المشترك الذي ساد بين القائدين خلال فتوحاتهما المشتركة (٦٥) : « ثم انّ موسى اصطلح مع طارق، وأظهر الرضى عنه ، وأقرّه على مقدمته ، وأمره بالتقدّم أمامه في أصحابه ، وسار موسى خلفه في جيوشه » (٦٦) ، كما ذكرنا ذلك .

لقد كان عبور موسى إلى الاندلس لسبب حربيّ واضح ، وكان باستدعاء طارق له ، فجاء منقذاً لا منتقما . كما كان توجه طارق للقاء موسى لسبب حربيّ واضح أيضاً . لأن قوّات موسى أصبحت مهدّدة بحشود المقاومة القوطيّة . فقدم إلى موسى بمبادرة منه أو بطلب من موسى ، وما حدث في سير الحوادث هو الدليل القاطع على سبب اللّقاء بين القائدين .

فقد انقضّت حشود المقاومة القوطيّة التي كانت في تلك المنطقة الجبلية

---

(٦٢) تاريخ الاندلس (٢٥ مقدمة المحقق) و (١٤٩ نص ابن الشباط) والحلة السيراء (٢/٢٣٢) .

(٦٣) التاريخ الاندلسي (٩٠) .

(٦٤) اخبار مجموعة (١٩) وابن الاثير (٤/٥٦٥) والبيان المغرب (٢/١٦ ــ ١٧) والنويري (٢٢/٢٩) و نفح الطيب برواية ابن حيان (١/٢٧٣) .

(٦٥) الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس (١٨١) .

(٦٦) نفح الطيب برواية ابن حيان (١/١٧٢) .

الوعرة على جيش موسى في ناحية يسميها مؤرخو المسلمون : السَّواقي ، وهي (Segyuela de los Cornejos) على مقربة من تمامِس (Tamames) (٦٧) ، فردّ المسلمون على القوط بهجوم مقـابل وثبتوا للقوط حتى أفنوهم عن آخرهم (٦٨) .

ويبدو أنّ اشتباك المسلمين بالقوط في معركة السَّواقي ، شجّع نفراً من بقايا القوط وأنصارهم في طليطلة على نقض طاعة المسلمين ، فانتهزوا فرصة خروج طارق وجنده منها ، ووثبوا بها ، فاضطرّ موسى إلى فتحها من جديد ، ودخولها دخول المنتصر .

أليس هذا الذي حدث في معركة السّواقي ، وفتح طيلطيلة ثانية ، دليلاً قاطعاً ، على أنّ المسلمين بقيادة طارق بعد تغلغلهم العميق في البلاد ، أصبحوا في خطر جسيم ، لانكشاف جناحيهم : الأيمن والأيسر ، ولتهديد خطوط مواصلاتهم الطويلة الواهنة ، فكان عبور موسى هو لدرء هذا الخطر الجسيم . كما أن بقاء طارق في طليطلة دون فتح جديد ، ودون لقاء موسى ، بالرغم من مضي مدة طويلة من الزمن على عبور موسى ، هو لتثبيت حشود المقاومة القوطيّة في أماكنها دون التعرض بقوات موسى وقوات طارق لأطول مدة ممكنة . كما أنّ حركة طارق للقاء موسى في طريقه إلى طليطلة ، وهو طريق جبليّ وعر فيه حشود المقاومة القوطية المتربِّصة بالمسلمين ، كان

---

(٦٧) فتح الاندلس (٨) والامامة والسياسة (٢/١٥٦) .

(٦٨) لا عبرة بمن ذكر أن لذريق قتل في هذه المعركة ، وان قبره في فيزيو معروف حتى زمان الفونســو الكبير الذى ذكر في حولياتــه أنــه رآه وقرأ عليه لوحة تقول : هنا يرقد لذريق ملك القوط (Hic requiescir Rudericus rex gothorur فقد قضى لذريق نحبه في المعركة الحاسمة التي قادها طارق ، كما ذكرنا ، والقبر وما مسجل عليه مزور كما هو واضح ، وكثيرة هى القبور المزورة كما هو معروف .

(٩) فتح الاندلس (١٢) .

لمعاونة موسى على اجتياز الطريق المحفوف بالمخاطر سالماً آمنا ، أو ضمان إحراز النصر على القوط إذا اشتبكوا بالمسلمين ، لأنّ اشتباكهم بقوات موسى وقوّات طارق أصعب عليهم من اشتباكهم بقوات موسى وحدها .

إنّ كلَ ما حدث يدلّ على أن القائدين كانا يعملان لمصلحة المسلمين العليا ، لا لمصلحتهما الشخصية الضيقة ، فلا مجال لتصديق ما زعمه بعضهم من حدوث مشادات بينهما ، قد تصدق على إطفاء ما يعتلج في صدور الصبيان من حزازات ، دون أن يخطر أمثالها ببال قائدين عظيمين .

وبالامكان ذكر أدلّة جديدة ، على أنّ موقف طارق والمسلمين في الأندلس ، نظراً لاندفاعهم السريع في عمق البلاد ، كان موقفاً خطيراً للغاية وواهناً إلى أبعد الحدود ، وهو السبب في استنجاد طارق بموسى ، وعبور موسى بنفسه إلى الأندلس ، لمعالجة الموقف الراهن وملافاة أخطاره ، ولو أنّ الأمر أصبح لا يحتاج إلى أدلة جديدة ، ولكنّ استكمال البحث بالدرجة الأولى . هو الذي يحملني على ذكرها بايجاز ، ثم لتكون أدلة جديدة تضاف إلى الأدلّة السابقة .

فقد ذكرنا أنّ طارقاً فتح مدينة شَذُوْنة عَنْوَة بعد معركته الحاسمة مع القوط ، كما فتح مدينة قَرْمُوْنَة وإِشْبِيْلِيَة وإِسْتِجّة وطُلَيْطُلَة .

وفتحت سراياه قُرْطُبَة ومالَقَة وإِلْبِيْرَة وكورة تُدْمِيرْ وغَرْناطة وأُرْيُولَة .

وذكرنا في فتوح موسى قبل لقائه بطارق ، أنّه فتح شَذُوْنَة وقَرْمُوْنَة ورعواق وإِشْبِيْلِيَة ومارِدَة ولَقَنْت .

ومعنى ذلك ، أنّ كثيراً من المدن التي فتحها طارق لأوّل مرّة ، استعادها القوط ، مما يهدّد أجنحة قوّات طارق ، ويهدّد خطوط مواصلاته ، فاضطر

موسى أن يستعيد فتحها من جديد ، ، لتأمين جناحي طارق الأيمن والأيسر وخطوط مواصلاته ، ولتفتيت المقاومة القوطية أينما وجدت .

وحتى طُلَيْطُلَة ، بعد أن غادرها طارق بوقت قليل ، لكي يلاقي موسى وهو في طريقه إليها ، استعادها القوط ، فاضطر موسى أن يستعيد فتحها من جديد .

لقد عزّز عبور موسى موقف المسلمين بقيادة طارق في الأندلس ، وأزاح عنهم ما كان يخشونه من أخطار ، وأمّن خطوط مواصلات المسلمين ، وحمى أجنحتهم حماية كاملة ، وفتّت قوّات القوط ، وبدّد حشودهم في الجبال الوعرة ، وجعل آمالهم في استعادة ما فتحه المسلمون إلى حوزتهم سرابا ، وأظهر لهم بالقوة تارة وبالسياسة تارة أخرى ، أنّ الخيار الوحيد المفتوح أمامهم ، هو الاستسلام للمسلمين ، والتعاون معهم في إدارة البلاد ، ومعاونتهم في تعميرها ، فقد جاء المسلمون ليبقوا لا ليرحلوا .

ومضى موسى وطارق إلى طليطلة ، ليقضيا فصل الشتاء معاً هناك ، وليرتاح المسلمون ويكملوا استعداداتهم لفتح جديد .

د . الفتح المشرك بين القائدين :

كان هدف موسى وطارق السَّوْقي (٦٩) ، هو فتح شمالي الأندلس ، وقد بدأ بانتهاء فصل الشتاء وحلول فصل الصيف ،أي حوالي شهر جمادى الثانية من سنة خمس وتسعين الهجرية (آذار — مارس ٧١٤ م) . وزحف الجيش الاسلامي ، على مقدّمته طارق ، وسار موسى خلفه على جيوشه

(٦٩) السوقي : : الاستراتيجي ، من السوق ، وكانت تستعمل في الجيش العراقي منذ الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي .

نحو مدينة سَرَقُسْطَة (٧٠) (Zaragoza) : « المدينة البيضاء » (٧١) ، ففتحا المدينة دون قتال شديد على ما يبدو ، فأقاما هناك سويّة ينظمان أحوالها ، وأنشأ فيها مسجداً خطّطه التابعيّ الجليل حَنَش بن عبدالله الصَّنعاني (٧٢) . وأوغلا في البلاد ، لا يمرّان بموضع إلاّ فُتح عليهما ،

(٧٠) سرقسطة : تعريب للاسم الروماني : قيصر اجستا (Saesar Augusta) لأن آغسطس قيصر هو الذي اسسها سنة (٢٣ ق.م) على اطلال المدينة الايبيرية القديمة التي كانت تعرف عند الايبيريين باسم : سلدوبا (Salduba) ، وهي من أطيب البلاد ، تقع على نهر ابْرُه الذى مجراه ينصب في البحر الابيض المتوسط بساحل طرطوشة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٧١) ونصوص عن الاندلس لابن الدلائي (٢١ ـ ٢٣) .

(٧١) الروض المعطار (٩٦) .

(٧٢) حنش بن عدالله الصنعاني : هو حنش بن عبدالله بن عمرو بن حنظلة ابو رشيد ، من صنعا دمشق ، روى عن فضالة بن عبيد ورويفع بن ثابت وابي هريرة وابي سعيد ، وروى عنه ابنه وقيس بن الحجاج وجماعة . غزا المغرب ، وسكن افريقيا ، وعداده في المصريين ، وهو تابعي كبير ثقة. دخل الاندلس ، وكان مع على بن ابى طالب بالكوفة وبعد استشهاد علي رضي الله عنه ، غزا المغرب والاندلس . كان حنش اذا فرغ من عشائه وحوائجه ، واراد الصلاة من الليل ، أوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماءه فكان اذا وجد النعاس استنشق بالماء ، واذا تعايا في آية نظر في المصحف ، وكان اذا جاءه سائل مستطعم لم يزل يصيح باهله : « اطعموا السائل » ، حتى يطعم . نزل مصر ، ومات سنة مائة الهجرية ، وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبدالملك بن مروان ، فاتى به عبدالملك في وثاق فعفا عنه ، وذلك لان عبدالملك حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بأفريقية سنة خمسين الهجرية ، فحفظ له ذلك . غزا الاندلس مع موسى بن نصير وله بها آثار ، ويقال : ان جامع سرقسطة من ثغور الاندلس من بنائه،وانه اول من اختطه .وفي رواية:ان ابا المهاجر دينار بعث حنش بن عبدالله الصنعاني الى جزيرة شريك (في افريقية) ، فافتتحها ، انظر التفاصيل في تهذيب ابن عساكر (٥/٥ ـ ١١) ومعجم البلدان (٥/٣٩٢ ـ ٣٩٣) والاستقصا (١/٧١) وتاريخ علماء الاندلس (١/١٢٥) رقم٣٩١ وجذوة المقتبس (٢٠٢) رقم ٤٠٣ وبغية الملتمس (٢٧٨) رقم ٦٨٧ وقادة فتح المغرب العربي (١/١٣٩) و (١/١٥٢) .

وكانت الغنائم جسيمة ، ولم يعارضهما أحد إلاّ بطلب صلح ، وموسى يجيء على أثر طارق في كلّ ذلك ، ويُكمل ابتداءه ويوثق الناس على ما عاهدوه عليه (٧٣) . وكانت طلائع المسلمين لم تكد تشرف على سَرَقُسْطة حتى رُعب أسقفها بنسيو (Bencio) ومَنْ معه من الرُّهبان ، فجمعوا كتبهم المقدّسة وقرروا الهجرة من البلد ، والفرار بهذه الذخائر ، فلم يلبث موسى أن أرسل إليهم رسولاً يؤمّنهم ويعطيهم عهده ، فسكنت مخاوفهم وعدلوا عن مغادرة المدينة (٧٤) ، وفتحت المدينة البيضاء : سرقسطة أبوابها للمسلمين سنة خمس وتسعين الهجرية .

ولم يكد المسلمون يستقرون في سَرَقُسْطَة بعد فتحها ، حتى توجّه طارق وموسى إلى مناطق حول تلك المدينة وفتحا تلك المناطق ، كما فتحا

---

(٧٣) نفح الطيب (١/٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

(٧٤) في فجر الاندلس (١٠٢) : ويبدو أن ما لقيه المسلمون من الشدة عند ماردة والسواقي ، ومادهمهم من ثورة اهل طليطلة ، مال بهم الى الشدة، فنراهم في غزوتهم هذه أميل الى العنف مما كانوا عليه قبل ذلك ، فبينما كان طارق يحتل المواقع احتلالا سلبيا ، فيؤمن اهلها ولا يأخذ الا ما كان من أملاك القوط وأملاك الكنيسة ، نسمع من الان فصاعدا عن نهب البلاد واحراقها ورعب اهلها وخروجهم منها على وجوههم ويبدو كذلك أن هذا كان نتيجة سياسة موسى ، وقد عرفناه شديدا قاسيا عظيم الميل الى المغانم والاسرى والسبايا ، هذا وان العرب انفسهم ـ وعلى رأسهم الخليفة ـ انكروا عليه هذا المسلك » كما ورد في : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (١٠٠ ـ ١٠١) مثل هذا المعنى .

وما ورد في قصة الاسقف بنسيو في أعلاه ، يناقض هذا الرأى الذى مصدره المستشرقون ويعطى نموذجا واقعيا حياً لرحمة المسلمين للمغلوبين . فأذا ظهرت شدة من موسى في بعض المواقف ، فلان الموقف الحربي قد يتطلب ذلك ، انظر قادة فتح المغرب العربي (١/٢٦٦) .

مدناً أخرى في تلك الناحية : وشْقَة (٧٥) (Nuesca) ولارِدَة (٧٦) (Lerida) وطَرَّكُونَة (٧٧) (Torragone) وبَرْشَلُونة (٧٨) (Bavcalona) (٧٩) . وأحبّ موسى سيره نحو البرت ، ولكن جنده روِّعوا لما شاهدوه من قفر تلك النواحي وقلّة عمرانها،ثم إنّ أهلها كانوا يتكلمون اللغة الباسكية (لغة الباسك) ، فوقعت من جند موسى موقعاً غريباً ، وظنوا أنّهم لا يتكلمون (٨٠) ، وزهد المسلمون في هذه البلاد التي يسكنها قوم كالبهائم (٨١) . وحين أوغل موسى وجاوز سرقسطة ، اشتدّ ذلك على الناس وقالوا : « أين تذهب بنا ؟ ! حسبنا ما في أيدينا ! » ، وكان موسى قد قال حين دخل إفريقيّة وذكر عُقْبَة بن نافِع : « لقد كان غرّر بنفسه حين وغل في بلاد العدو ، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه . أما كان معه رجل رشيد ؟! » ، فسمعه حَنَش بن عبدالله الصَّنعانيّ في حينه ، فلما بلغ موسى ذلك المبلغ من التغلغل عمقاً في الفتح ، قام حنش فأخذ يعنانه ، ثمّ قال : « أيّها الأمير ! إني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن

---

(٧٥) وشقة : بليدة بالاندلس ، وتعد من الثغر الاعلى من ثغور الاندلس مع لاردة وغيرها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤٢٣) ونصوص عن الاندلس (٢٤) وجغرافية الاندلس واوروبا (٩٥) .

(٧٦) لاردة : مدينة مشهورة بالاندلس ، شرقي قرطبة ، تتصل اعمالها بأعمال طركونة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣١٣) .

(٧٧) طركونة : بلدة بالاندلس ، متصلة بأعمال طرطوشة ، وهي مدينة قديمة على شاطيء البحر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٤٤) .

(٧٨) برشلونة : مدينة اندلسية مشهورة ، قريبة من طرطوشة ، انظر التفاصيل في تقويم البلدان (١٨٢ ــ ١٨٣) وجغرافية الاندلس واوروبا (٩٦-٩٩) .

(٧٩) فجر الاندلس (١٠٣) وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (١٠١) ودولة الاسلام في الاندلس (١/٥٣) والتاريخ الاندلسي (٩٢) .

(٨٠) في البيان المغرب (٢/١٨) : « وفتح بلاد البشكنس وأوغل في بلادهم ، حتى اتى قوما كالبهائم وغزا بلاد الافرنج » ، وانظر فجر الاسلام (١٠٣).

(٨١) البيان المغرب (٢/٢٤) والامامة والسياسة (٢/٧٨) وقادة فتح المغرب العربي (١/٢٦٦) .

نافع تقول : لقد غرّر بنفسه وبمن معه ، أما كان معه رجل رشيد ؟! وأنا رشيدك اليوم ! أين تذهب ؟ تريد أن تخرج من الدنيا ؟ ! أو تلتمس أكثر مما آتاك الله عزّ وجل ، وأعرض مما فتح الله عليك ، وجعل لك ؟! إني سمعت من الناس ما لم تسمع ، وقد ملأوا أيديهم وأحبّوا الدّعة » ، فضحك موسى ثمّ قال : « أرشدك الله وكثّر في المسلمين أمثالك » ، ثمّ انصرف قافلاً إلى الأندلس وهو يقول : « أما والله ، لو انقادوا إليّ ، لقدتهم إلى روميَةَ (روما) ، ثمّ يفتحها الله على يديّ إن شاء الله » (٨٢) .

ولكن موسى ومعه طارق ، استطاعا أن يعيدا إلى رجالهما نشاطهم وحماستهم للفتح ، وبينما كانا يُعدّان العُدّة لفتح جِلّيْقِيَّة(٨٣) ، إذ أتاه مُغيث الرّوميّ (٨٤) رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، يأمره بالخروج من الأندلس ، والكفّ عن التوسّع في البلاد ، وأن يشخص إلى دمشق ، فساءه ذلك ، وقطع به عن إرادته ، إذ لم يكن في الأندلس بلد لم يدخله المسلمون غير جِلّيْقِيَّة ، فكان شديد الحرص على اقتحامها (٨٥) . وكان موسى قد أوفد عليّ بن رَباح (٨٦) ، وكان رجلاً صالحاً في نحو الثمانين

(٨٢) الامامة والسياسة (٨٠ ــ ٨١) ، وانظر ما جاء حو لذلك في قادة فتح المغرب العربي (٢٦٦/١ ــ ٢٦٧) .

(٨٣) جليقية : ناحية قرب ساحل البحر المحيط ، من ناحية شمالي الاندلس، في أقصاه من جهة الغرب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣١/٣) وتقويم البلدان (١٨٤ ــ ١٨٥) وجغرافية الاندلس وأوروبا (٧١ ــ ٧٣) .

(٨٤) مغيث الرومى : انظر ترجمته في كتابنا : قادة فتح الاندلس والبحار .

(٨٥) نفح الطيب (٢٥٨/١) .

(٨٦) على بن رباح : هو أبو عبدالله على بن رباح بن نصير اللخمي ، كان فاضلا جليلا من جملة التابعين ، يروى عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم عمرو بن العاص وولده عبدالله ، وعقبة بن عامر وابو هريرة وعائشة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة يكثر تعدادهم ، وكان اذا انفرد يستذكر ما حفظ من أحاديث نبوية خوفا من نسيانها . ولد سنة خمس عشرة الهجرية،وكان أعور ،ذهبت عينه =

من عمره ، وهو من التابعين (٨٧) مع مغيث الرّوميّ مولى الوليد بن عبد الملك رسولين إلى الخليفة ينهيان إليه أخبار الفتوح ، يوم كان موسى في طُليطلة بعد أن استعاد فتحها من جديد ، وذلك سنة أربع وتسعين الهجرية ، فعاد إلى موسى بما أمره به الوليد .

ولكنّ قدوم مُغيث ، لم يصرف موسى عن المضيّ في إتمام هذه الفتوح التي صاحبها التوفيق إلى هذه السّاعة ، فبذل جهده للبقاء في الأندلس بعض الوقت . ريثما يتمّ فتح جلِّيقيَّة ، ولاطف مغيثاً من أجل ذلك ، وسأله إمهاله إلى أن ينفِّذ عزمه في فتح جِلِّيقيَّة . والمسير معه أياماً ، ويكون شريكه في الأجر والغنيمة ، ففعل مغيث ومشى معه(٨٨) . وقد وهب مغيثاً القصر الذي ينسب إلى مغيث في عهد المسلمين . وهو : (بلاط مغيث) ، وهو قصر حاكم قرطبة السابق ، بجميع أرضه من أرض الخمس(٨٩) . نظير إمهاله بعض الوقت ومصاحبته

يوم الصواري في البحر مع عبدالله بن سعد سنة اربع وثمانين الهجرية . وكانت له مع عبدالعزيز بن مروان منزلة ، وهو الذى زف أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان الى الوليد بن عبدالملك ، ثم عتب عليه عبدالعزيز ، فأغزاه افريقية ، الى ان توفى بها ، ويقال : ان وفاته كانت في سنة اربع عشرة ومائة الهجرية . وقيل توفى سنة سبع عشرة ومائة الهجرية ، انظر التفاصيل في : تاريخ علماء الاندلس (١/٣١٠) رقم ٩١٥ ورياض النفوس (١/٧٧ ــ ٧٨) ونفح الطيب (١/٢٦٠ ــ ٢٦١) . وانظر الامامة والسياسة (٢/٧٥ ــ ٧٦) حول ايفاده الى الوليد بن عبدالملك من قبل موسى بن نصير .

(٨٧) دخل الاندلس اربعة من التابعين هم : على بن رباح اللخمي ، وأبو عبدالرحمن عبدالله بن زياد الحبلي . وحنش بن عبدالله الصنعاني ، وحيوة بن رجاء التميمي . وفي بغية الملتمس (٥١) : محمد بن أوس الانصاري وهو من التابعين غزا الاندلس مع موسى بن نصير ، وانظر تاريخ علماء الاندلس (١/٣١٠) . هذا بالاضافة الى موسى بن نصير الذى كان من التابعين أيضا .

(٨٨) نفح الطيب (١/٢٥٨) .

(٨٩) الرسالة الشريفية في الاقطار الاندلسية (٢٠٤) .

في غزو جلّيقيّة . وقبل مغيث هذه الشروط ، فلما اطمأنّ موسى إلى ذلك ، بادر بالسير شمالاً لفتح قَشتالـَة(٩٠) القديمة (old Castille أو Casulla le vieja) ، تأميناً للحدود الشماليّة لاقليم طُليطلة (٩١) .

والحديث عن إقناع مغيث بالغنيمة والقصر لإبقاء موسى على رأس جيشه، ليستكمل تحقيق أهدافه في الفتح ، ليس من السهل تصديقه ولا قبوله ، فهو رشوة لتأجيل تنفيذ أمر الخليفة الواضح الصريح ، وقد كان مغيث قوياً أميناً لايقبل الرشوة ولا يرتضي لنفسه مخالفة أوامر الخليفة الصريحة الواضحة ، والذي يبدو أنّ الخليفة أمر مغيثاً أن يُشخص موسى معه إلى دمشق ، دون أن يأمره باشخاصه فوراً ، فكان لمغيث أن يتصرف في أمر موسى بحريّة مطلقة ، فرأى أنّ الموقف العسكري يتطلّب بقاء موسى ردحاً من الزمن في الأندلس ، لاستكمال فتوحاته ، واقتنع برأي موسى بضرورة بقائه لغزو منطقة جِلّيْقيّـة ، حتى لايتعرّض إقليم طليطلة لتعرض قوطيّ متوقّع ، كما لم يجد مغيث محذوراً من بقاء موسى في قيادته ، فلا اعتراض لموسى على أمر الخليفة، كما لايستطيع أن يعترض ، فكان لبقاء موسى فائدة للفتح دون ضرر على الخلافة، لذلك اقتنع مغيث بالسير مع موسى ومرافقته في فتحه ، فكانت الغنيمة والقصر جزاء جهاده لا جزاء تراخيه في تنفيذ أمر الخليفة أو جزاء التخليّ عن التنفيذ .

والغريب أنّ المستشرقين ركزّوا على هذه الفرية وبالغوا في شرحها وتوضيحها وتسليط الأضواء عليها ، فصوّروا في هذا الفصل مغيثاً متواطئاً مع موسى على الخليفة ، ثم صوّروه في الفصل الثاني عدواً لدوداً لموسى ، يشنّع على موسى

---

(٩٠) قشتالة : اقليم عظيم بالاندلس ، قصبته اليوم طليطلة ، انظر معجم البلدان (٩٣/٧) وجغرافية الاندلس واوروبا (٣٢) .

(٩١) Saavedrw. op. Cit. p. 113-114.

لدى الخليفة ، نتيجة لأنّه كان يرى نفسه أحقّ من موسى بتولي الأندلس . وليس ذلك من خلق التابعين وتابعي التابعين ، ولاكان الدسّ والافتراء والكذب والحسد والرشوة من أخلاقهم ، فأذا لم يكن ذلك مقنعاً للمؤرخ الذي تتبع خلق أولئك الرجال ، فالتناقض المكشوف في موقف مغيث بحسب ادعاءات المستشرقين ، لابدّ أن يكون مقنعاً ، إذ كيف يمكن أن نصدق أنّ مغيثاً يفتري ما يفتري على موسى بحضور الخليفة ، ثم يسكت عنه موسى في تقاضيه الرشوة لقاء تراخيه في تنفيذ الأمر الخليفي ؟ وهل من المعقول أن يعفو الخليفة عن المتراخي في تنفيذ أمره لقاء رشوة معروفة وليست سرّا .

وبالطبع استفاد المستشرقون من المصادر الاسلامية في ترويج هذه الادعاءات ، وما ذلك أراد مؤلفوها .

وسنرى سبب استدعاء موسى إلى دمشق وشيكا ، حيث لانجد محلّا لمثل هذه التخرّصات .

وكان يتفرّع من سَرَقُسْطَة طريقان رومانيان يتّجهان من الشرق إلى الغرب : الأول يذهب بحذاء نهر إبْرُه (٩٢) (Ebro) — (الأبرو) حتى هارو (Haro) ، ومن هناك يتبع بروفيسكا (Barivlesca) ثم أمَايَة (٩٣) ، ثم لِيُوْن (٩٤) واسترقة . والثاني ينفصل من الطريق الأول

---

(٩٢) نهر ابره : ويقع في شمال شرقي الجزيرة الايبيرية ، ويصب في البحر الابيض المتوسط عند طرطوشة ، انظر جغرافية الاندلس واوروبا (٥٧) .

(٩٣) امابة : احدى المدن الاندلسية ، وهي احدى مدن الجزء الثالث بحسب تقسيمات الاندلس القديمة ، وهي : (Amayo) ، انظر جغرافية الاندلس واوروبا (٦٢) .

(٩٤) ليون : مدينة بالاندلس في منطقة جليقية ، انظر التفاصيل في تقويم البلدان (١٨٤ ــ ١٨٥) .

عند بدايته ، ويتّجه نحو قَلُوْنية وبَلَنْسِيَة (٩٥) ، ويلتقي بالطريق الممتد من ماردة إلى أسترقة في مدينة بنا فنتي ، وكان لابدّ لموسى من السير في كلّ من هذين الطريقين ، فقسم جيشه قسمين : قسم بقيادته ، والآخر بقيادة طارق .

واختار موسى الطريق الثاني ، وعهد إلى طارق بالسّير في الطريق الأول ، أدنى سفوح جبال كَنْتَبْرِيَة ، وشرع طارق بمهاجمة البشكنس (٩٦) غربي نهر إبره . فلم يجد صاحب الناحية فُرْتُوْن (Fortunius) بدّاً من الدخول في طاعة المسلمين ، بل اعتنق الاسلام ، ومنه تسلسل بنو قِسِيّ (٩٧) أصحاب الثغر الأعلى (٩٨) الذين لهم ذكر كثير في تاريخ الأندلس ، ثم تابع طارق سيره . واستولى على أمَايَة وأسترقة اللتين ذكرهما قسم من المؤرخين خطأ في حملة طارق التي كانت سنة اثنتين وتسعين الهجريّة (٩٩) (٧١١م) ، كما فتح مدينة ليون (١٠٠) في هذه السنة أيضاً .

---

(٩٥) بلنسية : كورة ومدينة بالاندلس شرقي قرطبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٧٩) وتقويم البلدان (١٧٥ ــ ١٧٩) .

(٩٦) البشكنس : الباسك .

(٩٧) بنو قسي : كان قسي قومس الثغر في أيام القوط . فلما افتتح المسلمون الاندلس التحق بالشام ، واسلم على يدى الوليد بن عبدالملك ، فكان ينتمي الى ولائه ، فولد قسي فرتون ، وبنو قسي من المولدين ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٥٠٢ ــ ٥٠٣) ، وانظر نشاطهم في الاندلس في كتاب : نصوص عن الاندلس (٣٢ و ٣٥ و ٤٠ و ٤١ و٤٩ و١٦٥) .

(٩٨) الثغر الاعلى : ويشمل سرقسطة عاصمة هذا الثغر ، ولاردة وتطيلة ، ووشقة ، وطرطوشة ، وغيرها وكان هذا الثغر يواجه برشلونة ومملكة نافار ، وتمثله اليوم منطقة أراغون (Aragon) ، راجع الاثار الاندلسية (٧٨) والحلل السندسية (١/٢٠٦) و (٢/١١٤) وجغرافية الاندلس واوروبا (٩٥) .

(٩٩) انظر فجر الاندلس (١٠٤) .

(١٠٠) تاريخ افتتاح الاندلس (٣٥) واخبار مجموعة (١٥) .

وسار موسى نفسه على الضفة الشرقية لنهر إبره في إقليم قَشْتَالة (١٠١)، فأطاعه معظم من مَرّ بهم من رؤساء هذه المناطق . وقد لقي مقاومة عند قرية تسميها بعض المراجع بارو أو بازو في مقاطعة بلد الوليد الحالية (١٠٢) (فاليا دوليد Valladolid) ، ولم يلبث أن تغلّب عليها ، ثم سار متابعاً فتوحه . وبدلاً من أن يعرِّج على أسترقة ليلتقي فيها بجيش طارق ، انحرف إلى الشمال واخترق باب تارنا (Tarna) ، وسار متابعاً مجرى نهر النالون (Nalqn) ، ثم حطّ رحاله عنـد قلعـة لُكُ (Lucus Asturum) الرومانية و(moria de Lugo) غير بعيد عن أَبِيْط (Oviedo) ، ومازال بها حتى فتحها . وسار موسى حتى بلغ خيخون (Gijsn) وأقرّ بها حامية وجعلها حصناً لما فتحه من البلاد في هذه النواحي البعيدة ، ثم بعث سرية من فرسانه أدركت البحر عند صخرة بلاي (Pasa de Pelayo) على البحر الأخضر (١٠٣) . فطاعت الأعاجم ، ولاذوا بالسلم وبذل الجزية ، وسكنت العرب المفاوز . وكان العرب والبربر كلمّا مرّ قوم منهم بموضع استحسنوه . حطوّا به ونزلوه قاطنين (١٠٤) .

وهكذا وصلت جيوش موسى حتى البحر المحيط . فاطمأنّ إلى أنّه فتح شبه الجزيرة كلّها . لذلك شعر أنه لم يَعُد هناك أي معنى للاسترسال في الفتح . وكان موسى يخلف في كلّ مدينة وقلعة يفتحها حامية من المسلمين ، فتفرّق جنده . وطال السَّير بمن بقي منهم معه ، ونال منهم الجهد . فمالت

(١٠١)أخبار مجموعة (٢٨) . وقد جعل هذا المصدر فتح هذه الحصون الثلاثة في سنة (٧١١م) . وهو خطأ واضح . انظر فجر الاندلس (١٠٤) .

(١٠٢) قشتالة : اقليم عظيم بالاندلس . عاصمته طليطلة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩٣/٧) .

(١٠٣) هو المحيط الاطلسي . وكان يسمى ايضا : الاقيانوس . وبحر الظلمات .

(١٠٤) نفح الطيب (٢٥٨/١) وانظر فجر الاندلس (١٠٤ ــ ١٠٥) وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (١٠٢ ــ ١٠٣) .

نفوسهم إلى العودة ، لذلك اكتفى موسى بوصوله إلى خيخون ، وأزمع العودة ، وهو يعلم أنّ أعدادا كبيرة من القوط قد تراجعوا أمامه واجتمعوا في نواحي أشتوريش وجِلِّيقيّة . وأنهم يكوّنون الخميرة الأولى لاستعادة الأندلس من المسلمين في المستقبل ، كما حدث ذلك فعلاً . ولو لم يشتغل العرب عن البقيّة الباقية من القوط بعد ذلك بحروب ومنازعات قبليّة فيما بينهم ، لاستطاعوا القضاء عليهم بسهولة ويسر ، ولكنّ العرب شُغلوا بأمور أنفسهم ، فاستطاعت هذه الحفنة القوطيّة أن تطمئن في هذه النواحي القاصية القاحلة ، وأن تنمو بالتدريج وتقوى وتشتد ، لتنتهز في المسلمين كلّ فرصة تسنح ، ولتستعيد ما تستطيع استعادته مرحلياً من الأندلس كلّما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

ومن الواضح جداً ، أنّ موسى ترك جبهة القتال مُكرهاً لا بمحض إرادته ، فقد كان الخليفة يريد عودته إلى دمشق ، وكان مغيث يتربّص به ليتولى العودة معه ، فلما انتهى موسى في فتوحه إلى هذا الحدّ القصيّ في نظر الخليفة ومغيث ، كان لابدّ له أن يعود ، لا إلى طُليطلة أو قُرطبة فقط ، بل إلى دمشق رأساً ، فقد كان مغيث الرومي رسول الخليفة يتعجله ، وكان الوليد بن عبدالملك معجلاً عليه لا يريد أن يتمهّل ، إذ أن رسولاً آخر من الوليد ، يكنى : أبا نَصْر ، بعثه إلى موسى ، عندما استبطأه في القفول ، فأتاه وهو في مدينة لُكْ بناحية جلّيقية (١٠٥) .

(١٠٥) نفح الطيب (٢٥٨/١) ، وفي فجر الاندلس (١٠٦) ورد : « حتى لتذهب الروايات ، الى أن الوليد ، بعثه اليه رسولا آخر اسمه : ابو نصر ، لقيه في لك ، فأخذ بعنان فرسه ، وأمره بالعودة ، وذلك امر مستبعد ، لأن مغيثا وصل وموسى في سرقطة في أوائل الربيع ، ولما تنقض على وصوله ثلاثة اشهر ، ولا يتفق ان يكون الخليفة قد استطال هذه المدة القصيرة ، فأرسل يتعجل ، وربما كان أبو نصر هذا كنية لمغيث كما يظن جايانجوس . واقول : قد وردت ترجمة مغيث =

وهناك بعض المؤرخين ، يذكرون أنّ موسى بن نُصَير ، بعد أن افتتح سرقسطة ، بعث سراياه إلى قطالونة ، ففتحت بَرْشَلُونَة (١٠٦) ، ومن

= الرومى في نفح الطيب (٤/١١ ـ ١٣) وفي غيره في المصادر ، وهو لا يكتى : أبا نصر في تلك المصادر كلها . ولماذا نستبعد قدوم الرسول الاخر الذى أرسله الوليد الى موسى ، وقد انقضت على وصول الرسول الاول ثلاثة اشهر ، وهى مدة طويلة ، وبخاصة بعد ما استقر في ذهن الوليد انه يريد أن يشق عصا الطاعة ، انظر الامامة والسياسة (٧٥/٢ ـ ٧٦) ، وأن موسى يطمع في فتح غالة والوصول الى رومة ، انظر الامامة والسياسة (٨١/٢) ، بل الوصول الى ارض الشام عن طريق افرنجة (فرنسا) ، انظر نفح الطيب (٢٥٩/١) ، في الوقت الذى سئم المسلمون فيه الفتح واظهروا رغبتهم في العودة الى قرطبة ؟؟

لقد كان الخليفة الوليد بن عبدالملك حريصا غاية الحرص على سلامة المسلمين ، فعارض منذ البداية في اقحامهم في بحر شديد الاهوال ، فلما علم بما شرع به موسى من فتح غالة ، اشتد قلقه وارسل أبا نصر رسولا ثانيا الى موسى يستعجله القفول الى دمشق ، واذا كان مغيث قد وافق على اكمال موسى لفتوحه ، فلان مغيثا قائد يقدر اهمية الموقف العسكري تقديرا عاليا ويقدر اهمية اكمال الفتح لحاضر المسلمين ومستقبلهم في الاندلس . اما أبو نصر ـ كما يبدو ـ فلم يكن قائدا ، وهو منفذ قوى امين للاوامر ، شديد الضبط والربط ، لا يقبل بعذر ولا ينصت اليه ، فمن الواضح أن أبا نصر شخصية ثانية غير مغيث ومختلفة عنه كل الاختلاف . وفي نفح الطيب (٥٨/١) نص صريح وهو : « وقفل معهم ـ اى مع موسى وطارق ـ الرسولان : مغيث وأبو نصر » ، انظر تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (١٠٣ ـ ١٠٤) وقادة فتح المغرب العربي (٢٧٠/١ ـ ٢٧١) .

(١٠٦) برشلونة : وتسمى ايضا : برشنونة ، وهي مدينة مصاقبة للاندلس وقريبة من طرطوشة ، تقع في شمال شرقي الاندلس ، على البحر الابيض المتوسط ، ويعتبرها بعض جغرافيي العرب ، أنها ليست من الاندلس . انظر تقويم البلدان (١٨٢ ـ ١٨٣) ، ويراها بعضهم أنها من الاندلس ، انظر جغرافية الاندلس واوروبا (٩٦) ، والثاني هو الصواب فهى من الاندلس . وتكسر الشين في برشلونة ، عند بعض الجغرافيين العرب .

هناك اخترقت جبال البرتات (البرانس) وتوغّلت في بلاد غالة (١٠٧) ، فاستولت على أَرْبُونَة (١٠٨) (Narbonne) وصخرة إينيون (Avignin) وحصن لودون على وادي ردونة ، وهو وادي نهر الرُّون (١٠٩) . ولا نستبعد أن تكون بعض قوّات موسى قد افتتحت برشلونة ولاردة وجزء من إقليم قطالونية ، وأنّها قد وصلت إلى جبال البرتات واجتازتها إلى قَرْقَشُونَة (١١٠) ، فهو نفس الطريق الذي اتّبعه السَّمْح ابن مالك (١١١) . بعد ذلك بسنوات،ولكنّ فتح موسى هذا لم يكن فتحاً مُسْتَداما . إنّما كان فتحاً وقتيّاً بقوات استطلاعية خفيفة ، استطاعت جمع المعلومات عن تلك المنطقة من بلاد فرنسا ، تمهيداً لفتحها فيما بعد (١١٢)

(١٠٧) الفال : بلاد الفال (Gaul, Gallia) ، وهى تمثل قسما كبيرا من فرنسا أو جنوبها احيانا ، وكان يسمونها : غاليوش ، انظر جغرافية الاندلس واوروبا (٥٩) .

(١٠٨) اربونة : مدينة في شمال شرقي قرقشونة ، تقع على الساحل الفرنسي الجنوبي ، انظر ما جاء عنها في تقويم البلدان (١٨٢ ــ ١٨٣) .

(١٠٩) نفح الطيب (١/٢٥٦) .

(١١٠) قرقشونة : وهى (Carcassonne) بلد في جنوبى فرنسا قريبة من حدود اسبانيا الشمالية ، وفي معجم البلدان (٧/٥٩) : أن المسافة بين قرقشونة وقرطبة خمسة وعشرون يوما . وفي نفح الطيب (١/٢٦٠) : أن موسى انتهى الى حصن من حصون العدو يقال له : قرقشونة ، وانظر تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط (١٤) ــ الامير شكيب ارسلان ــ مصر ــ ١٣٥٢هـ . وفي نفح الطيب (١/٢١٨) وابن خلدون (٤/١١٧) : ان موسى توغل في الاندلس الى برشلونة من جهة الشرق واربونة في الجوف ، ويعتبر البكرى مدينة قرقشونة من الجزء الاول الاندلسي ، انظر جغرافية الاندلس وأوروبا (٦٠) .

(١١١) السمح بن مالك : سترد ترجمته في كتابنا : قادة فتح الاندلس

(١١٢) في البيان المغرب (٢/٢٤) ونفح الطيب (١/٢٥٩) ، ان موسى انتهى الى صنم ، فوجد فى صدره مكتوبا : يا بني اسماعيل ! الى هنا ــ

الأنســـان

١ ـ عـودة القائدين الى دمشــق

أ ـ العـودة :

بادر موسى بالعودة من لُكْ بجِلِّيقيَّة مع أبي نَصْر الرّسول الثاني للوليد بن عبدالملك ، وكان مع أبي نصر رسالة من الوليد إلى موسى ، يوبِّخ الوليد بها موسى ، ويأمره بالخروج من الأندلس ، وألزم رسوله إزعاجه (١١٣) ، فأخذ موسى في طريق العودة أواخر سنة خمس وتسعين الهجريّة (منتصف صيف ٧١٤ م) (١١٤) . وفي طريقه من لُكْ ، التقى بطارق الذي كان عائداً من حملة له على منطقة أراغون (Aragon)

= منتهاكم . واذا سألتم : الى ماذا ترجعون ؟ اخبرناكم : ترجعون الى اختلاف ذات بينكم حتى يضرب بعضكم رقاب بعض » ، ومن الواضح، ان هذه اسطورة من الاساطير . وهى قصة خرافية ، نسجت بعــد ، تقريراً لما حدث بين الفاتحين فعلا ، وادى بهم الى ضياع الفردوس المفقود (الاندلس) منهم ، وخروجهم منها أذلاء مغلوبين حين تفرقوا واختلفوا وتخلوا عن عقيدتهم التي قادتهم للنصر ، فأصبحوا مسلمين جغرافيين ، لا مسلمين حقيقيين ، وعربا من قوارير او بالجنسية حسب ، لاعربا حقا ، وكانوا قد دخلوها أعزاء فاتحين منتصرين متحدين موحِّدين، متمسكين بعقيدتهم مضحين في سبيلها بالغالي والرخيص ، فكان بأسهم على اعدائهم شديدا فانتصروا وعزوا ، فأصبح بأسهم بينهـم شديدا ، فاندحروا وذلوا .

تلك هى عبرة الأسطورة للمسلمين اليوم وغدا ، فهى في معناها واقع مرير قد حدث ، وهى في مبناها اسطو ة من الأساطير .

(١١٣) نفح الطيب (١/٢٥٨) .

(١١٤) كانت مغادرة موسى من اشبيلية الى شمالي افريقية في شهر ذىالحجة من سنة خمس وتسعين الهجرية (من ـ سبتمبر ـ ٧١٤) .

في الثغر الأعلى (١١٥) فسار الاثنان معاً إلى طليطلة ، أما غالبيّة جنودهما ، ففضّلوا البقاء في المدن والأرياف المفتوحة ، حيث استقروا وأقاموا منازلهم(١١٦). ومرّ موسى بطليطلة وقرطبة في طريقه إلى إشبيلية ، حيث عَيَّنَ هناك ابنه عبدالعزيز (١١٧) والياً على الأندلس ، وترك معه مساعدين من أمثال حبيب ابن أبي عُبَيْدة الفِهْرِي(١١٨) وكثيراً من القادة المسلمين الآخرين مع رجال قبائلهم ، ليدافعوا عن البلد ويحموه (١١٩) . وقد اختار موسى إشبيلية عاصمة للبلاد ، وذلك بسبب قربها من البحر والمضيق ، كما جعلها أيضاً قاعدة بحرية للمسلمين في الأندلس (١٢٠) .

وركب موسى البحر ، ومعه طارق ومغيث الرّومي وأبو نصر وكبار الجند ، في شهر ذي الحجّة من سنة خمس وتسعين الهجرية (أيلول — سبتمبر — ٧١٤ م) ، ومعهم يوليان ، وقد أبحر موسى ومَن معه من إشبيلية ، وهو متلهّف على الجهاد الذي فاته ، آسف على ما لحقه من إزعاج ، وكان يؤمّل أن يخترق ما بقي عليه من بلاد إفرنجة (فرنسا) ، ويقتحم الأرض

(١١٥) الثغر الاعلى : ويشمل سرقسطة عاصمة هذا الثغر ، ولا ردة ، وتطيلة ، ووشقة ، وطرطوشة ، وغيرها ، وكان هذا الثغر يواجه برشلونة ومملكة نافار ، وتمثله اليوم منطقة اراغون ، انظر جغرافية الاندلس واوروبا (٦٥) .

(١١٦) نفح الطيب برواية ابن حيان (١/٢٧٦) و عبدالعزيز بن موسى ابن نصير : سترد ترجمته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الاندلس .

(١١٧) ورد اسمه في البيان المغرب (٢/٣٠) : حبيب بن ابي عبدة بن عقبة ابن نافع ، وكذلك في المعجب من تاريخ المغرب (٣٤) . اما في تاريخ افتتاح الاندلس (٣٦) ، فقد ورد اسمه : حبيب بن ابى عبيدة .

(١١٨) اخبار مجموعة (١٩) وفتح الاندلس (١٧) وابن الاثير (٤/٥٦٦) والمراكشي (٨) والبيان المغرب (٢/٢٣) والنويري (٢٢/٢٩) وابن خلدون (٢/٢٥٥) ونفح الطيب برواية ابن حيان (١/٢٧٦) والرسالة الشريفية (٢١٠) .

(١١٩) أخبار مجموعة (١٩) ونفح الطيب برواية ابن حيان (١/٢٧٦) والرسالة الشريفية (٢١٠) ، وهى .

(١٢٠) أخبار مجموعة (١٩) ونفح الطيب (١/٢٧٦) .

الكبيرة حتى يصل بالناس إلى الشّام ، مؤمِلاً أن يتّخذ مُخْتَرَقَه (١٢١) بتلك الأرض طريقاً مُهْيَعاً (١٢٢) ، يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق وإليه على البر لا يركبون بحراً (١٢٣) .

وتذهب بعض المصادر العربية ، إلى أنّ موسى استصحب معه ثلاثين ألف رأس من الأسرى ، وفي ذلك مبالغة واضحة ، فهذا العدد الضخم من الأسرى ، يحتاج إلى وسائط نقل هائلة لنقلهم برّاً وبحراً من الأندلس إلى دمشق ، ويحتاج إلى تدابير إدارية من الصّعب جداً تحقيقها ، والغالب أنّ عدداً قليلاً جداً من الأسرى رافق موسى في رحلته هذه ، وأما الباقون منهم ، فقد تُركوا في المزارع يزرعونها ويُديمونها ، وفي الأعمال الادارية الأخرى يديرونها ويدبّرون أمرها ولكنّه استصحب معه مائة رجل من أشراف الناس : من قريش . ومن الأنصار ، ومن سائر العرب ومواليها . وأخرج معه من وجوه البربر مائة رجل : منهم أبناء كسيلة ، وملك السّوس الأقصى . وملك قلعة أوساف . وملك ميورقة ومنورقة ، ومعه الغنائم من الذهب والفضّة والجوهر . محمولة على ثلاثين ومائة عجلة (١٢٤) ، فكان مع موسى أربعمائة رجل (١٢٥) . بل هناك رواية أنّ موسى دخل دمشق ومعه ثلاثون من خيرة أسرى القوط ، ألبسهم أفخر الثياب ، وسار بهم في موكبه ، ليدلّ على عظم الفتح الذي تمّ على يديه (١٢٦) .

---

(١٢١) مخترقة : اى المكان الذي يخترقه ، اى يسلكه ويجتاز البلاد منه .
(١٢٢) مهيعاً : الواضح البين . وهو ايضا الواسع المنبسط .
(١٢٣) انظر نفح الطيب (١/٢٥٩) .
(١٢٤) انظر التفاصيل في : الامامة والسياسة (٢/٨٢) .
(١٢٥) تاريخ افتتاح الاندلس (٣٦) .
(١٢٦) انظر : فجر الاندلس (١٠٧) .

واستخلف موسى ابنه عبدالله على إفريقية ، وابنه مروان على طَنْجَة والسّوس (١٢٧) ، فمرّ بطريق عودته بالقيروان (١٢٨) ، ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين الهجرية (كانون الأول — ديسمبر — ٧١٤ م) ، فأقام هناك ثلاثة أيام ، يأتيه أهل مصر في كلّ يوم ، فلم يبق شريف إلاّ وقد أوصل إليه موسى صلة ومعروفاً كثيراً ، وأهدى لولد عبدالعزيز بن مروان فأكثر لهم ، وجاءهم بنفسه فسلّم عليهم ، ثمّ سار متوجّهاً حتى أتى فلسطين (١٢٩) .

ولما قدم موسى ومعه طارق إلى الوليد بن عبدالملك في دمشق ، كان قدومه عليه وهو في آخر شكايته التي تُوفي فيها ، إذ بلغا دمشق سنة ست وتسعين الهجريّة (كانون الثاني — يناير — ٧١٥ م) أي قبل وفاة الوليد بأربعين يوماً (١٣٠) ، وتُوفي الوليد في الخامس عشر من جمادى الثانية من سنة ست وتسعين الهجرية (٢٥ شباط — فبراير — ٧١٥ م) ، فخلفه في الحكم أخوه سليمان بن عبدالملك الذي كان مستاء أيضاً من موسى ،

---

(١٢٧) ابن حبيب (٢٣١ — ٢٣٢) وفتح مصر وافريقية (٢١٠) واخبار مجموعة (١٩) وفتح الاندلس (١٨) وابن الاثير (٥٦٦/٤) وابن الكردبوس (٥٠) وابن الشباط (١٢٣) والبيان المغرب (١٨/٢ — ١٩ و ٤٤) ونفح الطيب (٢٧٧/١) .

(١٢٨) المعجب في تلخيص اخبار المغرب (٣٤) .

(١٢٩) الامامة والسياسة (٨٢/٢ — ٨٣) .

(١٣٠) فجر الاندلس (١٠٧) ، ولم تكن مقابلة الوليد لموسى مقابلة حسنة بسبب تماديه في سياسته في أثناء فتح الاندلس ، وتباطؤه في اطاعة أوامر الخلافة ، انظر ابن الاثير (٥٦٦/٤) والنويري (٣٠/٢٢) وابن الكردبوس (٥٠) .
وانظر كذلك : Chr. 754. p. 149. (No.4)
وسترد اسباب مقابلة الوليد لموسى بجفاء ، واسباب سحبه وسحب طارق معه من الاندلس الى دمشق وشيكا .

فتروى المصادر أنّه حينما اقترب موسى من بلاد الشام ، كتب إلى موسى ، يأمره بتأخير وصوله إلى دمشق ، حتى يموت الوليد ، وبذلك يتسنى لسليمان الحصول على الكنوز التي جلبها موسى معه ، وينال فخر الفتح لنفسه . ولكنّ موسى أهمل طلب سليمان ، وتقدم إلى دمشق (١٣١) . وكان سليمان بعث إلى موسى من لقيه في الطريق قبل قدومه على الوليد ، يأمره بالتريث في مسيره ، وألا يعجل ، فإنّ الوليد باخر رمقه ، فقرأ موسى الكتاب ، وقال : « خنت والله وغدرت وما وفيت ! والله لا تربّصتُ ولا تأخرّت ولا تعجّلت ! ولكني أسير بمسيري ، فإن وافيته حيّاً لم أتخلّف عنه ، وإن عجلت منيّته فأمره إلى الله » ، فرجع الرسول إلى سليمان ، فأعلمه (١٣٢) . وقد أبى موسى أن يتجاوب مع سليمان ، لأنّ دينه منعه من هذا التجاوب . فقدم على الوليد وهو حيّ ، فسلّم له الأخماس والمغانم والتُّحف والذّخائر . فلم يمكث الوليد إلا يسيراً بعد قدوم موسى حتى تُوفي ، واستُخلف سليمان ، فحقد عليه وأهانه (١٣٣) .

وقيل : إنّ موسى وصل إلى دمشق بعد وفاة الوليد ، فقدم على سليمان حين استُخلف (١٣٤) .

والصّواب ، هو أنّ موسى وطارقاً وصلا إلى دمشق قبل موت الوليد ، وكان الوليد مريضاً ، فمثُلَ موسى بحضرة الوليد ، ولكن الوليد لم يقابله مقابلة حسنة بسبب تماديه في سياسته في أثناء فتح الأندلس ، وتباطؤه في

---

(١٣١) ابن الكردبوس (٥٠) والبيان المغرب (٢/٢٠) ونفح الطيب (١/٢٨٠ — ٢٨١) .

(١٣٢) الامامة والسياسة (٢/٨٣) ، وانظر البيان المغرب (٢/٢٥) .

(١٣٣) نفح الطيب (١/٢٦٢) وانظر تاريخ افتتاح الاندلس (٣٦)

(١٣٤) فتوح مصر والمغرب (٢٨٤) ، وانظر المعجب في اخبار المغرب (١/٣٥) .

في إطاعة أوامر الخلافة (١٣٥) ، وكان مع موسى وطارق كميّات هائلة من الغنائم والأسرى والهدايا الثمينة من الذّهب والفضّة واللؤلؤ ، كما حملا أيضاً (المائدة) المشهورة وكثيراً من الكنوز الأندلسيّة الأخرى . ولكنّ الظّاهر أنّ قلب الوليد كان متغيّراً على موسى تغيّراً لا سبيل إلى إصلاحه ، لذلك لم يُحسن الوليد لقاء موسى ، ثم لم يلبث الوليد أن لقى ربّه وخلفه أخوه سليمان ، وهو أشدّ غضباً من أخيه على موسى ، ولهذا كان طبيعيّا ألاّ ينتظر موسى خيراً كثيراً من سليمان ، وأن يُدرك أنّ أيام مجده وعزّه قد مضت مع أمس الدابر (١٣٦) .

بيد أننا نستبعد صحّة ما يبالغ به قسم من المؤرخين من أفاعيل سليمان بموسى ، فمن المستبعد ما يقال : إنّ سليمان كان يقيم موسى في الشمس حتى يكاد يغمى عليه من شدّة التعب والجهد والحر (١٣٧) ، وأنّ سليمان حبسه وأمر بتقصي حسابه (١٣٨) ، فأغرمه غرماً عظيماً كشفه فيه ، حتى اضطرّ إلى أن سأل العرب معونته ، فيقال : إنّ لَخْماً (١٣٩) حملت عنه من أعطيتها تسعين ألفاً ذهباً ، وقيل : حمّله سليمان غرم مائتي ألف ، فأدّى مائة ألف وعجز ، فاستجار بيزيد بن المُهَلّب (١٤٠) ، فاستوهبه من سليمان ، فوهبه إيّاه ، إلاّ أنه عزل ابنه عبدالله عن إفريقية (١٤١) ،

---

(١٣٥) ابن الاثير (٥٦٦/٤) والنويري (٣٠/٢٢) وابن الكردبوس (٥٠) .
(١٣٦) قادة فتح المغرب العربي (/٢٧٩) .
(١٣٧) انظر التفاصيل في الامامة والسياسة (٨٤/٢ ـ ٨٥) .
(١٣٨) تقصى حسابه : اى تتبعه وشدد البحث عنه لتعرف حقيقته ، انظر ما جاء حول ذلك في نفح الطيب (٢٦٢/١) .
(١٣٩) بنو لخم : هو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر جمهرة انساب العرب (٤١٨ ـ ٤٢٢) ، وكان موسى من بني لخم .
(١٤٠) يزيد بن المهلب بن أبى صفرة : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد ما وراء النهر ـ مخطوط .
(١٤١) نفح الطيب (٢٦٢/١) .

وأن سليمان ألزم موسى أن يطوف بالقبائل محروساً يستجديها مالاً يفتدى به نفسه ، حتى لقد كان يستجدي الدرهم والدرهمين ، فيفرح بذلك موسى ، ويدفعه إلى الموكلين به ، فيخففون عنه العذاب (١٤٢) ، لأن سليمان لو كان

(١٤٢) انظر التفاصيل في نفح الطيب (١/٢٦٥ - ٢٦٦) ، وفي الامامة والسياسة (٢/٨٤ - ٨٥) : « لما افضت الخلافة الى سليمان بن عبدالملك، بعث الى موسى ، فأتي به فعنفه بلسانه ، فكان مما قال له يومئذ : اجترات ، وامرى خالفت ، والله لأقللن عددك ولأفرقن جمعك ، ولأبددن مالك ، ولأضعن منك ما كان يرفع غيرى ممن كنت تمنيه أماني الغرور ، وتخدعه من آل ابى سفيان ، وآل مروان ! فقال له موسى : والله يا امير المؤمنين ، ما تعتل عليّ بذنب ، سوى اني وفيت للخلفاء قبلك ، حافظت على من ولى النعمة عندى فيه . فأما ما ذكر امير المؤمنين ، من انه يقل عددي ويفرق جمعى ، ويبدد مالى ، ويخفض حالي ، فذلك بيد الله والى الله ، وهو الذى يتولى النعمة على الأحسان اليّ ، وبه استعين ، ويعيذ الله عز وجل أمير المؤمنين ويعصمه أن يجرى على يديه شيئاً من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته ، فأمر سليمان أن يوقف في يوم صائف شديد الحر على طريقه ، وكانت بموسى نسمة (ربو) ، فلما اصابه حر الشمس واتعبه الوقوف ، هاجت عليه ، وجعلت قرب العرق تنصب منه ، فمازال كذلك حتى سقط ، وكان عمر بن عبدالعزيز حاضراً ، الى أن نظر سليمان الى موسى ، وقد وقع مغشياً عليه ، قال عمر بن عبدالعزيز : ما مر بى يوم كان اعظم عندي ، ولا كنت فيه اكرب من ذلك اليوم ، لما رايت من الشيخ موسى ، وما كان عليه من بعد اثره في سبيل الله ، وما فتح الله على يديه وهذا يفعل به ! فالتفت اليّ سليمان ، فقال : يا ابا حفص اما اظن الا قد خرجت من يميني ! فقال عمر : فاغتنمت ذلك منه ، فقلت : يا امير المؤمنين ! شيخ كبير بادن ، وبه نسمة قد أهلكته ، وقد اتيت على ما فيه من السلامة لك من يمينك ، وهو موسى البعيد الأثر في سبيل الله ، العظيم الغناء عن المسلمين ، قال عمر : منعنى من الكلام فيه ، ما كنت اعلم من يمينه وحقده عليه ، فخشيت ان ابتدأته أن يلح عليه ، وهو لحوح . قال عمر : فلما قال لى ما قال آخراً ، حمدت الله على ذلك ، وعلمت انّ الله قد احسن اليه ، وأن سليمان قد ندم فيه . فقال سليمان : من يضمه ؟ فقال يزيد بن المهلب : انا اضمه =

قد أنزل بموسى هذه المساءات لما ترك أولاده ولاة على إفريقية والأندلس ، ولأنّ موسى كان أثيراً على نفس يزيد بن المُهَلَّب الذي كان مقرّباً جداً من سليمان بن عبدالملك وصاحب الأمر في دولته (١٤٣) ، ولأنّ عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه كان من أقرب المقربين إلى سليمان ، ومن المستحيل أن يرضى عمر بن عبدالعزيز عن مثل تلك التّصرفات ، دون أن يقول كلمة الحق ، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولأنّ سيرة سليمان الذي وصفه المؤرّخون ، بأنّه : مفتاح الخير ، أطلق الأسارى ، وخلّى أهل السّجون ،

= يا أمير المؤمنين . قال : وكانت الحال بين يزيد وسليمان لطيفة خاصة. قال سليمان : فضمه اليك يا يزيد ، ولا تضيق عليه . قال : فانصرف به يزيد ، وقد قدم اليه دابة ابنه مخلَد ، فركبها موسى ، فأقام اياما . قال : ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان في الصلح ، حتى افتدى منه بثلاثة آلاف دينار » .... انتهى .

ومن الواضح ، أنّ المبالغة والتناقض يسودان هذه الرواية ، فسليمان لا يتورع عن تعذيب شيخ فانٍ عذاباً يقربه من حافة القبر ، وسليمان تارة قاس غاية القسوة ، وهو رحيم غاية الرحمة تارة اخرى في نفس الوقت ، بحيث يوصي بهذا الشيخ خيراً ، فلا يرضى ان يضيق عليه احد ! كما أن هذه القصة تناقض ما جاء عن سليمان من مزايا ، فهو : « مفتاح الخير ، أطلق الأسارى ، وخلى السجون ، واحسن الى الناس ، واستخلف عمر بن عبدالعزيز ... » .. الخ ، كما جاء في الطبري (٣٠٤/٥) ، فكيف يقوم بتعذيب شيخ له ماضٍ مجيد ، كما وصفه عمر بن عبدالعزيز بالذات ، وكما يعرف عنه الناس جميعاً ؟!

كما أنّ هناك تناقضاً فاضحاً بين هذه القصة ، وبين ما جاء في القصص التي نوّهنا عنها في أعلاه ، ويبدو انّ هذه القصة وامثالها من جملة القصص الموضوعة للتشنيع بسليمان وغيره من رجال العرب المسلمين الخلفاء ومن عمل معهم في تلك الأيام الذهبية من تاريخ العرب والأسلام ، وبخاصة في مجال الفتوح شرقاً وغربا ، وامثال هذه القصص ظاهـرة التهافت والتناقض ، لا تستقيم مـع خلق العرب وتعاليم الأسـلام ، التى كانت سائدة في المجتمع العربي الاسـلامي حينذاك .

(١٤٣) انظر قادة فتح المغرب العربي (٢٧٨/١ ــ ٢٧٩) .

وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبدالعزيز (١٤٤) ، لا تستقيم مع اتِّهامه بالتنكيل بموسى ، وهو شيخ كبير ، له ماضٍ ناصع مجيد في خدمة العرب والمسلمين . وأرى أنّ من المستبعد أن يعاقب سليمان تابعيّاً جليلاً هو موسى بن نصير ، ويعاقب مَن معه من أمثال طارق بن زياد ، وهما قد أسّسا ملكاً وقضيا حياتهما مجاهدين في سبيل الله ، لمجرّد قالة ظالمة أو وشاية كاذبة . وحتى مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير ، لم يكن لسليمان يد فيه ، لأنّ سليمان غضب لمقتل عبدالعزيز ، وأرسل إلى الأندلس عاملاً من قبله للتحقيق في مقتل عبدالعزيز ، والقبض على قتلته ، وإرسالهم إليه(١٤٥) .

لقد كان موقف سليمان من موسى ومَن معه سليماً ، وحقائق التاريخ تعلو دائماً على المبالغات المدسوسة عن قصد أو عن غير قصد .

ولكن . لماذا عزل الوليد بن عبدالملك موسى عن إفريقية والأندلس ، وأقرّ سليمان هذا العزل ؟ .

لماذا استدعى الوليد موسى وطارقاً من ساحات القتال على عجل ، ولم يمهلهما حتى يحقِّقا كلّ أهدافهما في الفتح ؟ (١٤٦) .

ب . أسباب استدعاء موسى وطارق :

كان للخلفاء أساليب خاصة . لمعرفة تفاصيل أعمال ولاتهم وقادتهم

---

(١٤٤) الطبرى (٣٠٤/٥) .

(١٤٥) انظر تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (١٠٦ ـ ١٠٧) ، وفي اخبار مجموعة (٢٢) : « ولما بلغ سليمان مقتل عبدالعزيز بن موسى ، شقّ ذلك عليه ، فولّى افريقية عبيدالله بن يزيد ... وامره سليمان ان يحقّق فيما فعله حبيب بن أبى عبيدة وزياد بن النابغة من قتل عبدالعزيز ، بأن يتشدد في ذلك ، وان يقفلهما اليه ومن شاركهما في قتله من وجوه الناس .... » .

(١٤٦) قادة فتح المغرب العربي (٢٨٠/١) .

وتصرّفاتهم ، للاطمئنان إلى أنّ أولئك القادة والولاة ، لا يخرجون عن الخطّة التي رسمها لهم الخلفاء . وليحول الخلفاء- جهد الإِمكان — دون خروج الولاة والقادة عليهم ، عند سنوح الفرصة المناسبة لهم .

من تلك الأساليب الخاصة التي يسيطر بها الخلفاء على ولاتهم وقادتهم ، وبخاصة في الأصقاع النائية عن عاصمة الخلافة ، هي إرسال مَن يعتملون عليهم من الرجال ، لينقلوا إليهم بدقة وسرعة وأمانة ، كلّ ما يرونه ضرورياً، لجعل الخلفاء مطمئنين من سير الأمور ، في مختلف البلاد والأمصار ، كما يريدون .

وكان مُغِيْث الرُّومي أحد مَن كان يعتمد عليه الوليد بن عبدالملك ، لأنّ عبدالملك بن مروان كان قد أدّبه مع ولَده الوليد ، وقد نشأ بدمشق ، ودخل الأندلس مع طارق فاتحها . وقد وقع بينه وبين طارق ، ثمّ وقع بينه وبين موسى ، فرحل معهما إلى دمشق ، ثمّ عاد ظافراً عليهما إلى الأندلس . وكان مغيث مشهوراً بحسن الرأي والكَيْد (١٤٧) . وكان يطمع بولاية الأندلس ، فلما عزم سليمان على تولية طارق بن زياد الأندلس استشار مغيثاً ، فصرفه عن عزمه ، وقد بالغ في إذاية موسى عند سليمان(١٤٨).

ويرُوى لمغيث شعر خاطب به موسى وطارقاً ، منه قوله :

أعَنْتُكُمُ ولكن ماوفيتُم
فسوف أعيث في غربٍ وشرق

وعارض يوماً مغيث في محفل من الناس موسى بن نُصير ، فقال له موسى : « كُفَّ لسانك » . فقال مغيث : « لساني كالمِفْصَل (١٤٩) ،

(١٤٧) نفح الطيب (١١/٤) .
(١٤٨) نفح الطيب (١٢/٤) .
(١٤٩) المفصل : بكسر الميم ، اللسان ، والسيف ، ويروى بفتح الميم والصاد : المفصل، انظر لسان العرب (٣٨/٤) .

ما أكفه إلا حيثُ يقتل » (١٥٠) .

والظاهر أنّ مغيثاً لم يدّخر وسعاً في تشويه سمعة موسى عندالوليد ، وعند سليمان من بعده . طموحاً في تولي الأندلس من بعد موسى ؛ ولكن كان مغيث صادقاً في اتهامه ، إذ حقق سليمان جميع ما رُمِيَ به موسى عنده ، فأغرمه غرماً عظيماً (١٥١) ، ومن هذا يتضح أنّ مغيثاً رمى موسى بعدم الأمانة في التصرف بالغنائم .

فهل كان اتهام موسى بنزاهته حقّاً ؟ الواقع أنّ مغيثاً ليس وحده اتّهم موسى بالغلول أو بعدم تطبيق تعاليم الاسلام في الغنائم نصّاً وروحاً ، فقد ذكروا أنّ سليمان بينما كان يقلّب هدايا موسى التي جاء بها من الأندلس وإفريقية إلى دمشق ، إذ انبعث رجل من أصحاب موسى يقال له عيسى بن عبدالله الطويل من أهل المدينة المنورة . وكان على الغنائم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! إنّ الله أغناك بالحلال عن الحرام ، وإني صاحب هذه المقاسم ، وإنّ موسى لم يخرج خُمساً من جميع ما أتاك » ، فغضب سليمان وقام عن سريره . فدخل منزله . ثمّ خرج فقال للناس : « نعم . قد أغناني الله بالحلال عن الحرام » . وأمر بادخال ذلك بيت المال (١٥٢) .

ولكنّ ذلك لا يكفي لإثبات التّهمة الموجّهة إلى نزاهة موسى ، وهو الذي عُرف بالتديّن ، وكان ورعاً تقيّاً لله (١٥٣) ، ولو ثبت ذلك عليه لما توسّط له عمر بن عبدالعزيز عند سليمان ، فعفا عن موسى (١٥٤) ، وعمر بن عبدالعزيز معروف بالتزامه بتعاليم الشرع الحنيف .

---

(١٥٠) نفح الطيب (١٣/٤) .
(١٥١) نفح الطيب (٢٦٢/١) .
(١٥٢) فتوح مصر والمغرب (٢٨٤) .
(١٥٣) وفيات الأعيان (٤٠٢/٤) ونفح الطيب (٢٢٤/١) . وانظر رياض النفوس (٧٨/١) ووفيات الأعيان (٤٠٣/٤) .
(١٥٤) الأمامة والسياسة (٩٢/٢ – ٩٣) .

ولا شكّ في نزاهة موسى ، فقد أغناه الله هو الآخر بالحلال عن الحرام ، فلماذا يتردى إلى مهاوي الخيانة في أمانته،وقد فُتحت عليه أبواب الخير ؟ لقد كان كريماً سخياً ، فأعطى من الغنائم مَن أعطى ولم يستأثر بما أخذ من الغنائم لنفسه ولمصلحته الشخصية حسب ، بل شارك بها الآخرين .

فما هي اسباب استدعاء موسى من الأندلس إلى دمشق وعزله ؟

يبدو أنّ الوليد ، ومن بعده سليمان ، اعتقدا أنّ موسى غرّر بالمسلمين ، وأنّه عرّضهم للمهالك ، بتغلغله عميقاً في الأندلس ، كما أنّهما خشيا من طموح موسى في التغلغل إلى بلاد أبعد من الأندلس . فيقود المسلمين إلى روميّة (١٥٥) ، وأنّ موسى : «أجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية، ويتجاوز إلى الشّام دروبه ودروب الأندلس ، ويخوض إليه ما بينهما من أمم الأعاجم النصرانية ، مجاهداً فيهم ، مستلحماً لهم ، إلى أن يلحق بدار الخلافة » ، فنمى هذا الخبر إلى الوليد ، فاشتدّ قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ، ورأى أنّ ما همّ به موسى غَرَرٌ بالمسلمين ، فبعث إليه بالتوبيخ والانصراف ، وأسرّ إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع موسى ،وكتب له بذلك عهده ، ففتّ ذلك في عزم موسى ، وقفل عن الأندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية بثغورها ، وأنزل ابنه عبد العزيز لسدّها وجهاد عدوّها (١٥٦) . والظاهر أنّ الخلفاء لم يكونوا مطمئنين على أمن المسلمين في الأندلس حتى بعد الوليد وسليمان ، فقد فكرّ عمر بن عبد العزيز في إقفال المسلمين من الأندلس وإخلائها،لأنه خشى تغلّب العدوّ عليهم (١٥٧) ، فإذا كان هذا ما يعتقده عمر بن عبد العزيز الذي تولىّ الخلافة سنة تسع وتسعين الهجريّة (١٥٨) ،

(١٥٥) الأمامة والسياسة (٢/٨١) .
(١٥٦) نفح الطيب (١/٢١٨) .
(١٥٧) تاريخ افتتاح الأندلس (٣٩) واخبار مجموعة (٢٣) .
(١٥٨) الطبرى (٥/٣٠٤) .

فلماذا نلوم الوليد وقد استدعى موسى سنة خمس وتسعين الهجرية (١٥٩) ، والفتح كان في أوّله ، والأندلس جد بعيد عن دار الخلافة ؟ .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز ، قد خشي على المسلمين في الأندلس ، بعد استقرار الفتح فيها، فكيف لا يخشى الوليد ومن بعده سليمان، على المسلمين، من طموح موسى في التغلغل بهم بعيداً بعيداً إلى روميّة وإلى القُسطنطينيّة ؟ .

لقد كان طموح موسى في التوسّع بالفتح ، سبباً واضحاً لاستدعائه إلى دمشق . وهذا السبب – فيما أرى – من الأسباب الجوهريّة لاستدعائه .

وهناك سبب آخر ، لايقلّ خطورة عن السبب السابق ، هو اتّهام موسى بالخلع . فقد ذكروا أنّ الوليد بن عبد الملك لما بلغه سير موسى إلى الأندلس ، ووُصفت له، ظنّ أنّ موسى يريد أن يخلع، ويقيم فيها ويمتنع بها ، وقيل له ذلك . وأبطأت كتب موسى عليه . لاشتغاله بما هنالك من العدو ، وتوطئته للفتح (١٦٠) . مما زاد في شكوك الوليد بنيات موسى بمحاولته الاستقلال أو التحرر من سلطان الخلافة . ولعلّ الذين أدخلوا هذه الشكوك في روع الوليد . لم ينسوا أن يذكروا له سيطرته التامة هو وأولاده ومواليه على إفريقيّة والأندلس . مما ضاعف تلك الشكوك ، وجعلها بعيدة عن الحدس ، قريبة من التصديق .

ولعلّ اتّهام موسى بالخلع . هو الذي يفسّر لنا، لماذا لم تختلف نظرة سليمان عن سلفه الوليد إلى موسى . مع ما بين الخلف والسلف من تناقض كثير . كما هو معروف . ذلك لأنّ أصحاب السلطان . إذا اختلفوا في كلّ شيء . فانّهم يتّفقون على شيء واحد . هو عدم التّغاضي عن كلّ مَنْ يريد التحرّر من ربقتهم والاستقلال عنهم . سواء كان إتّهامه حقاً بذلك أم كان باطلا . كما أنهم كانوا ولايزالون يدخلون في حسابهم أسوأ الاحتمالات ،

---

(١٥٩) نفح الطيب (١/٣١٨) وفتح مصر والمغرب (٢٨٤) .
(١٦٠) الأمامة والسياسة (١/٧٥) .

لمقاومة الذين يخرجون عليهم أو الذين يتّهمونهم بالخروج عليهم زوراً وبهتانا . ويكفي أن يأخذوا المتّهم أخذاً في حالات الظنّ وفي حالات اليقين .

سأل سليمان مغيثاً عن طارق بن زياد ، وقد أراد أن يوليه الأندلس خلفاً لموسى ، فقال : « كيف أمر طارق بالأندلس ؟ » . فقال مغيث : « لو أمر أهلها بالصّلاة إلى أيّ قِبلة شاءها ، لتبعوه ولم يروا أنّهم كفروا » ، فعملت هذه المكيدة في نفس سليمان ، وبدا له في ولايته (١٦١) ، وهذا يدلّ بوضوح ، على السياسة التي كان يتبعها سليمان في تولية الولاة ، إذ يستبعد عن الولاية كلّ مَن يخشى خطره من بعيد أو قريب .

وكان يزيد بن المُهلَّب بن أبي صُفْرَة . من أقرب المقرّبين إلى سليمان ابن عبد الملك ، وكان لموسى يد على المهلّب بن أبي صُفْرَة(١٦١) ، وقد سأل يزيد يوماً موسى : « أريد أن أسألك ، فاصْغِ إليّ » ، فقال موسى : « سَلْ عمّا بَدَا لك » ، فقال : « لم أزل أسمع عنك ، أنّك من أعقل الناس ، وأعرفهم بمكايد الحرب ومُداراة الدنيا ، فقل لي : كيف حصلت في يدي هذا الرجل (يعني سليمان بن عبد الملك) بعدما ملكت الأندلس ، وألقيت بينك وبين هؤلاء البحر الزّخّار(١٦٣) ، وتيقّنتَ بُعدالمرام واستصعابه ، واستخلصت بلاداً أنت اخترعتها ، واستملكت رجالاً لايعرفون غير خيرك وشرِّك ، وحصل في يدك من الذّخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد مَن لايرحمك . ثمّ إنك علمت أنّ سليمان وليّ عهد ، وأنّه المُوَلّى بعد أخيه ، وقد أشرف على الهلاك لامحالة (١٦٤) ،

---

(١٦١) نفح الطيب (١٢/١) .

(١٦٢) انظر الامامة والسياسة (٩٤/٢ – ٩٥) ، وانظر سيرة المهلب في كتابنا : قادة فتح السند والأفغان .

(١٦٣) البحر الزخار : الطامى الممتلىء الجياش بالأمواج .

(١٦٤) أشرف على الهلاك : اراد انه قارب الموت لسوء حاله .

وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك إلى التّهلكة ، وأحقدتَ مالكك ومملوكك (يعني سليمان وطارقاً) ، وما رضا هذا الرجل إلاّ بعيد، ولكن لا آلو جهداً » (١٦٥) ، فقال موسى : « يا ابن الكرام ! ليس هذا وقت تعديد ، أما سمعت : إذا جاء الحَيْنُ (١٦٦) ، غطىّ على العين ؟! » ؟ فقال يزيد : « ما قصدتُ بما قلت لك تعديداً وتبكيتاً ، وإنما قصدت تلقيح العقل . وتنبيه الرأي ، وأن أرى ما عندك » فقال موسى : « أما رأيتَ الهُدْهُد يرى الماء تحت الأرض عن بُعْدٍ . ويقع في الفخّ وهو بمرأى عينه ؟ ! » (١٦٧) .

وسهر يزيد بن المهّلب عند موسى ليلة ، فقال له : « يا أبا عبد الرحمن ! في كم تعدّ مواليك وأهل بيتك ؟ » . فقال موسى : « في كثير » ، فقال يزيد : « يكونون ألفاً ؟ » . فقال موسى : « وألفاً وألفاً إلى منقطع النّفس ! » ، فقال يزيد : « وأنت على ما وصفتَ . وألقيت بيدك إلى التهلكة ؟ ! أفلا أقمت في قرار عزّك وموضع سلطانك . وامتنعتَ بما قدمتَ به ؛ فإن أُعطيت الرضى وإلاّ كنت على عزّك وسلطانك » . فقال له : « والله لو أردتُ ذلك . لما نالوا من أطرافي طرفاً . ولكنني آثرت الله ورسوله ، ولم نرَ الخروج على الطّاعة والجماعة » (١٦٨) .

تلك هي أسباب استدعاء موسى وطارق من الأندلس إلى دمشق وعزلهما . وهنا لا يمنع من وجود أسباب تافهة أخرى . أخذها على موسى وطارق كلّ من الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك . فما علاقة طارق بمجمل تلك الأسباب ؟ .

---

(١٦٥) لاآلو جهداً : لا أقصر فيما لدى من الجهد والوسع ان ابذله في ارضائه عنك .

(١٦٦) الحين : الهلاك .

(١٦٧) نفح الطيب (١/٢٦٥) .

(١٦٨) البيان المغرب (٢/٢٥ ـ ٢٦) . وانظر أيضاً البيان المغرب (١/٤٢) .

لقد اتهم موسى بنزاهته ، فقيل : إنّه لم يخرج خُمساً من جميع مغانمه ، ولم يُتّهم طارق بمثل هذه التّهمة من أحد ، وليس هناك أيّ نص في المصادر يتهمه . وقد كان موسى مسئوله المباشر ، وكان مولى موسى ، وكان في جيش طارق قبل عبور موسى إلى الأندلس ، مَن يرفع عنه أمره إلى موسى فلا يخفى من أمر طارق على موسى شيء ، ولا نعلم أنّ موسى حاسب طارقاً على نزاهته أو شكّ في نزاهته .

وحين قدم طارق إلى دمشق مع موسى ، لم يُحاسب من الخليفة ولا من غير الخليفة على نزاهته ، ولم يتطرق الشك حوله من ناحية نزاهته إلى أحد من المسئولين أو إلى أحدٍ من غير المسئولين .

أما السّبب الثاني ، وهو اتّهام موسى بالتّغرير بالمسلمين ، من وجهة نظر الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان بن عبد الملك، فإنّ طارقاً يُشارك في هذه التهمة أيضاً ، إن لم تكن تهمته في التغرير أجسم من تهمة موسى بها وأضخم ، فقد تغلغل في الأندلس بالعمق ، وعرض جناحيه : الأيمن والأيسر ، لخطر التعرّض القوطيّ عليهما ، كما عرّض خطوط مواصلاته للخطر أيضاً ، مما حدا بموسى إلى العبور للأندلس ، لمعالجة الموقف الخطير الذي أصبحت قوّات المسلمين تتعرّض له في حينه ، فعالج موسى الموقف ، ورصّن وضع قوّات المسلمين ، وأبعد عنها الخطر الوشيك الداهم .

ولا يمكن تبرئة طارق من تهمة التّغرير بالمسلمين ، وسترد مناقشة ذلك في الحديث عن سماته القياديّة .

أما اتّهام موسى بالخلع ، وهو السبب الثالث ، فاتّهام باطل من أساسه ، وقد احترق به طارق كما احترق به موسى، باعتبار طارق أحد موالي موسى، ولم تكن تلك التهمة في الواقع إلاّ في خلد الخليفة ومَن يشايعه في ظنونه وأوهامه .

والحق أنّ موسى أصبحت له شعبيّة طاغية في إفريقيّة والمغرب والأندلس بخاصة ، وفي سائر بلاد المسلمين بعامة ، لفتوحاته العظيمة ، وانتصاراته الباهرة ، ولفضله وإحسانه على الناس مادياً ومعنوياً .

كما أصبحت لطارق شعبيّة طاغية في الأندلس وبين البربر بخاصة ، وفي إفريقيّة وسائر بلاد المسلمين بعامة . لفتوحاته العظيمة ، وانتصاراته الباهرة ، ولشجاعته الفذّة ، وإقدامه النادر .

والشعبية الطاغية ، إذا تحلّى بها قائد من القادة ، فإنّ ذلك لايُريح المسئول الأعلى ، ويجعله يخشى ذلك القائد ، ويظنّ به الظنون، ومن تلك الظنون اتّهامه بالخلع ، حتى ولو كان بعيداً عن التفكير بذلك، كما كان الحال بالنسبة لموسى وطارق .

وشعبيّة موسى الطّاغية ، وشعبية طارق الطّاغية ، هي التي أدّت إلى سحبهما من الأندلس إلى دمشق . وحرمانهما من قيادتهما المنتصرة الموفّقة ، وحرمان الفتح من جهودهما المثمرة ، حيث خافت الخلافة منهما على الخلافة . وخشيت الخلافة من إقدامهما على الخلع . وهما في بلاد قصيّة عن عاصمة الخلافة ، بعيدة عن مراكز قوتها ، بين رجالهما الذين يدينون لهما وحدهما بالولاء ، لأنّهم لا يعرفون غيرهما ، وهم يعيشون برخاء ونعمة بفضلهما .

ولكن الخلع لم يخطر على بال موسى ، كما لم يخطر على بال طارق ، فاحترق موسى بنيران تهمة هو بريء منها،واحترق طارق بنيران موسى ، بدون ذنب يستحقّ عليه العقاب .

وأيّاً كانت أسباب حنق الوليد وسليمان على موسى ومولاه طارق ، فإنّ فاتحي الأندلس لم يلقيا الجزاء الحق ، بل غمط حقّهما وفضلهما ، وأبدت الخلافة بهذا الجحود والنكران ، أنّها لم تقدّر البطولة في هذا

الموطن قدرها (١٦٩) . ولعلّ عذر الوليد ومن بعده سليمان ، أنّ موسى كان يمثل خطراً شديداً على الخلافة بعد امتداد سلطانه إلى أعماق إفريقية والمغرب وأوربا ، وسيطرته على تلك الاصقاع النائية سيطرة شخصيّة وبأولاده ومواليه وأتباعه ، وسيطرته في الأندلس كانت بطارق ، مما فسح المجال لتقوّلات خصوم موسى وحاسديه عليه وعلى أعوانه البارزين — وعلى رأسهم طارق .

ومن الواضح ، أنّ موسى — في حقيقة أمره — كان بعيداً كلّ البعد عن الاختلاس ، ولكنه كان كريماً جداً ، ولم يكن تغلغله في تلك الأصقاع النائية التي جعل الخلفاء يظنّون أنّه غررّ بالمسلمين وعرّضهم للأخطار ، إلاّ عن رغبته الأكيدة في الفتح ونشر رايات الإسلام ، مع تمكنّه وثقته الكاملة بقابليته وقابليّة رجاله على تحمّل أعباء هذا الفتح العظيم وتبعاته ، فكان المسلمون في أمن ودعة لا في خطر وشدّة — كما حسب الخلفاء وتصوّروا . كما أنّ موسى لم يفكرّ أبداً بالخلع والاستقلال عن الخلافة ، فقد كان إيمانه العميق بتعاليم الإسلام وتمسّكه والتزامه بها ، وشدّة ضبطه وابتعاده عن شق عصا الطّاعة ، والانزلاق في مهاوى الفتن والفرقة ، كلّ ذلك جعله بعيداً غاية البعد عن اتّهام خصومه وحاسديه له بالخلع أو الاستقلال الذاتيّ ، خاصة وأنّه كان في ذلك الوقت قد بلغ حوالي الثمانين من عمره ، وهي سنّ لا تشجعّ مَن بلغها على المغامرة ، وتجعل من صاحبها إنساناً ذا تجربة وخبرة ، بعيد النظر ، مقدّراً لعواقب الأمور .

لقد ذهب موسى ومعه طارق ، ضحيّة الدّس والحسد ، فخسر العرب والمسلمون بتنحيتهما بطلين من ألمع أبطالهم ، وفاتحين من أعظم فاتحيهم ، ورجلين من أنبغ رجالاتهم ، وقائدين من أبرز قادتهم ، وكانت تنحيتهما

---

(١٦٩) دولة الاسلام في الأندلس (٥٨) وانظر فجر الأندلس (١٠٩) .

نكسة قاصمة للفتح الإِسلامي في الأندلس وأوربا (١٧٠) .

وقد بقي في الأندلس ، جيوب من القوط ، لم يتمّ القضاء عليها نهائيا ، ولوبقي موسى وطارق لقضيا عليها قضاءً مبُرما . وهذه الجيوب من بقايا القوط ، هي التي نمت وانتعشت واستردّت الأندلس من المسلمين بعد حين ، كما هو معروف .

ولو بقي موسى وطارق في الأندلس ، لأصبح فتح الأندلس فتحاً مستداما ، كفتوح البلاد والأمصار الأخرى .

ولكن ، هل خسر العرب والمسلمون موسى وطارقاً وحدهما نتيجة للدس والحسد؟؟!!

لقد خسروا من أمثالهم الكثير .

٢ - الرّجل

كان طارق مع موسى بن نُصَير في رحلته الطويلة من الأندلس إلى دمشق ، وقد احترق طارق بنار موسى كما ذكرنا ، فسحب من قيادته في الأندلس، وأصبح مع موسى رجلاً بلا غد . له رصيد في الفتح وتاريخ، ولكن السُّلطة تخلّت عنه إلى الأبد .

وقد تُوفي موسى سنة سبع وتسعين الهجرية (١٧١) (٧١٨م) وهو في الحج برفقة الخليفة سليمان بن عبدالملك (١٧٢) ،وكانت وفاة موسى بوادي القُرى (١٧٣) . ولم يعد من حجّه إلى دمشق .

---

(١٧٠) قادة فتح المغرب العربي (٢٨٦/١) .

(١٧١) تاريخ العلماء ورواة العلم بالأندلس (١٤٤/٢) وجذوة المقتبس (٣١٧) وبغية الملتمس (٤٤٢) والحلة السيراء (٣٣٤/٢) والعبر (١١٥/١ - ١١٦) وشذرات الذهب (١١٣/١) ونفح الطيب (٢٥٤/١) .

(١٧٢) الأمامة والسياسة (١٠١/٢) .

(١٧٣) وادي القرى : واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة ، كثير القرى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٨) .

ولا ندري هل كان طارق مع موسى في رحلة حجّه، أم بقي في دمشق، كما لاندري أبقي في دمشق بعد رحيل موسى عن هذه الدنيا، أم رحل طارق الى إفريقية أو الاندلس.

وعلى كلّ، فكان لطارق عَقِب لهم ذكر في الأندلس، وكانوا ينكرون ولاء طارق لموسى إنكاراً شديداً(١٧٤)، ويذكر قسم منهم أنّه من قبيلة صَدِف العربيّة من حَضرَمَوْت، ويذكر قسم آخر أنّه من موالي قبيلة صَدِف وليس بمولى موسى بن نصير. كما يذكر قسم منهم، أنّ طارقاً من بني ليث من قُضَاعة (١٧٥)، كما ذكرنا ذلك في الحديث على: نسبه وأيامه الأولى، فلا ندري هل عاد طارق إلى الأندلس بعد موت موسى، أم رحل إليها عقبه، أو رحل إليها قسم منهم، ومتى؟

ومن المرجّح أنّ عقبه هم الذين رحلوا إلى الأندلس، لأنّ طارقاً لو رحل إليها لذكر رحيله المؤرخون، ولما سكتوا عنه.

ومن الواضح، أنّ طارقاً نفزاويّ من البربر ومن إفريقية، كما ذكرنا ذلك من قبل، ولم يدّع أنه عربي، ولكنّ مَن جاء بعده من ولده ادّعى ذلك.

وقد ولد مسلماً، إذ كان أبوه وجدّه مسلمين، فهو من أسرة اشتهرت بسبقها إلى اعتناق الإسلام، إذ أسلم والد طارق أيام عُقبة بن نافع، والتحق طارق بعد وفاة والده بخدمة المسلمين، وكان إذ ذاك صغير السن، ولكنه كان يتمتع بقدر كبير من الحماسة والغيرة على الدين الإسلامي، جعله من أشد المقربين إلى موسى ابن نُصير(١٧٦). ولانعلم بالضبط متى تم اتصال طارق بموسى ولا بمكانه،

(١٧٤) نفح الطيب (١/٢٥٤) برواية الرازي.
(١٧٥) انظر: نفح الطيب (١/٢٥٤) برواية الرازي و (١/٢٣٩) واخبار مجموعة (٦).
(١٧٦) الشيخ محمد ابو زيد طنطاوي ـ فتح العرب للاندلس ـ مجلة الجامعة الأسلامية بالمدينة المنورة (٤٣ ـ ٤٤) ـ العدد الثاني ـ السنة العاشرة رمضان ١٣٩٧هـ ـ مؤسسة مكة للطباعة والأعلام.

ولكننا نعلم أنه ولاّه مقدمته في فتح مدينة طنْجَة ، فلما فتحت هذه المدينة ولاّه موسى على إدارة وقيادة هذه المدينة ، وكان ذلك في حدود سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) وأبقى معه عدداً قليلاً من العرب لنشر الإسلام بين البربر (١٧٧) .

وقد ظهر اسم طارق لأول مرة ، بعد خروج موسى من القيروان لفتح مدينة طنجة ، فولاّه موسى مقدّمته ، مما يدلّ على تبادل الثقة بين موسى وطارق ، ولا تكون هذه الثقة إلاّ نتيجة لتجربة عملية طويلة ، نجح فيها طارق بالنسبة لموسى ، فحصل على ثقة موسى الكاملة به ، فولاّه قيادة مقدّمته ، فهل كانت هذه التجربة التي نجح فيها طارق في إفريقية والغرب حسب ، وقد مكث موسى فيها سنوات قليلة ، أم أنّ هذه التجربة سبقت قدوم موسى إفريقية والمغرب ، واستمرّت بعد ذلك في إفريقية والمغرب ؟؟

والجواب على ذلك صعب ، لأنّ المصادر المعتمدة لا تيسّر الجواب الواضح . إذ لا نصوص تدل عليه أو تشير إليه ، فمثل هذه الثقة لا تتكون بسهولة وسرعة ، فمن المحتمل أنّ طارقاً اتصل بموسى في مصر قبل توليه إفريقية والمغرب ، وليس ذلك ببعيد الاحتمال ، ولكن لا دليل عليه من النصوص المتيسرة في المصادر المعتمدة .

على كلّ حال ، نجح طارق إدارياً في ولايته على طنجة ، فقد أصبح موثوقاً به من البربر بخاصة ومن أهل المدينة بعامة ، وأصبح موضع حبهم وولائهم . وقد تخطت شعبية طارق حدود ولايته إلى ما جاورها من الولايات ، فكان سبباً من أسباب استمالة يليان إلى المسلمين ، مهما تكن الأسباب الأخرى ، فاتصل يليان بطارق ، وكان طارق صلة ارتباط يليان بموسى

(١٧٧) ابن حبيب (٢٢٢) وفتح مصر والمغرب (٢٠٤ ــ ٢٠٥) وابن الاثير (٥٤٠/٤) ووفيات الأعيان (٣٢٠/٥) .

ابن نصير ، وسبباً من أسباب تسليم سَبْتَة للمسلمين سلماً بدون قتال ، ومعاونة يليان وتعاونه مع المسلمين في فتح الأندلس ، كما ذكرنا ذلك .

ولا مجال للشك ، في أنّ إتصال يليان بطارق وموسى ، وتسليم سبتة للمسلمين سلماً ، بعد أن استعصى عليهم فتحها بالقتال ، وتعاون يليان مع المسلمين ومعاونته لهم في فتح الأندلس ، كان حسنة من حسنات طارق ، تُعرف له وتُذكر بالشكر والعرفان .

كما كان التفاف البربر حول قيادته في طنجة أولاً ، وفي الأندلس ثانيا ، دليلاً على تمتعه بالخلق الكريم .

ولا أحد يدري أين ولد طارق ، ولا أيامه الأولى قبل اتصاله بموسى ابن نصير ، ولا أيامه بعد رحيل موسى عن هذه الدنيا إلى جوار ربه . ولا يعرف أحد عن عدد اولاده وأسمائهم ،و متى جرى رحيل بعضهم أو رحيلهم إلى الأندلس ، ولا يدري أحد هل رحل أولاد طارق إلى الأندلس ، أم رحل أعقابهم ، كلّ ذلك غير معروف . كما لا يدري أحد متى مات وأين مات ، وكم كان عمره يوم تُوفي .

وقد ذكرنا نص خطبة طارق في رجاله ، قبل أن يخوضوا المعركة الحاسمة ، معركة وادي لَكّهْ ، وتروى لطارق كذلك أبيات من الشعر ، لا بأس من ذكرها هنا ، وهي :

ركبنا سَفِيْناً بالمجاز مُقَيَّراً
عسى أن يكون اللهُ مِنّا قد اشترى
نُفُوْساً وأموالاً وأهلاً بِجَنَّةٍ
إذا ما اشْتَهَيْنَا الشَّيءَ منها تَيَسَّرَا

ولسنا نُبالي كيف سالَتْ نفُوسُنا
إذا نحن أدركنا الذي كان أجْدَرا

وهذه الأبيات مما يُكتب لمراعاة قائلها ومكانته ، لا لعلوّ طبقتها(١٧٨) . وهي ليست من الشعر البليغ ، ولكنّها من النّظم الموزون المقفّي ، وهي إن دلّت على شيء ، فإنما تدلّ على إيمان طارق العميق بالإسلام ، ومبلغ حبّه للجهاد في سبيل الله واستعداده للتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله بالمال والنفس والأهل ، ومن الواضح أنّ هذه الحماسة الدينيّة لطارق ، كانت وراء اندفاعه الشديد في طريق الفتح .

وهذه الأبيات . في معانيها مقتبسة من قوله تعالى : (إنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ المؤْمنينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ بأنَّ لَهُمْ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ في سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُوْنَ ويُقْتَلُوْنَ ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً في التَّوْراةِ والانجيلِ والقُرْآنِ ، ومَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ من اللهِ ، فاسْتَبْشِروا بِبَيْعِكُمْ الذي بايَعْتُمْ به . وذلك هوَ الفَوْزُ العَظِيْم) (١٧٩) .

« وكان طارق حسن الكلام . ينظم ما يجوز كتبه »(١٨٠) ، إنّه كان بليغ العبارة في نثره . قوي الأسلوب . متين التراكيب ، كما يشهد على ذلك خطابه التاريخي ، وإنّه كان ينظم الشعر ، ومهما قيل في ضعف شعره وقلّته . فإنّ نثره وشعره يدلان على معايشة العرب معايشة طويلة ، فلا يُستبعد أن يكون قد رحل إلى مصر أو بلاد الشّام أو كان مع موسى في البصرة يوم كان هناك . ولكن لا دليل يثبت تلك المعايشة إلاّ نثره ونظمه ، وقد

---

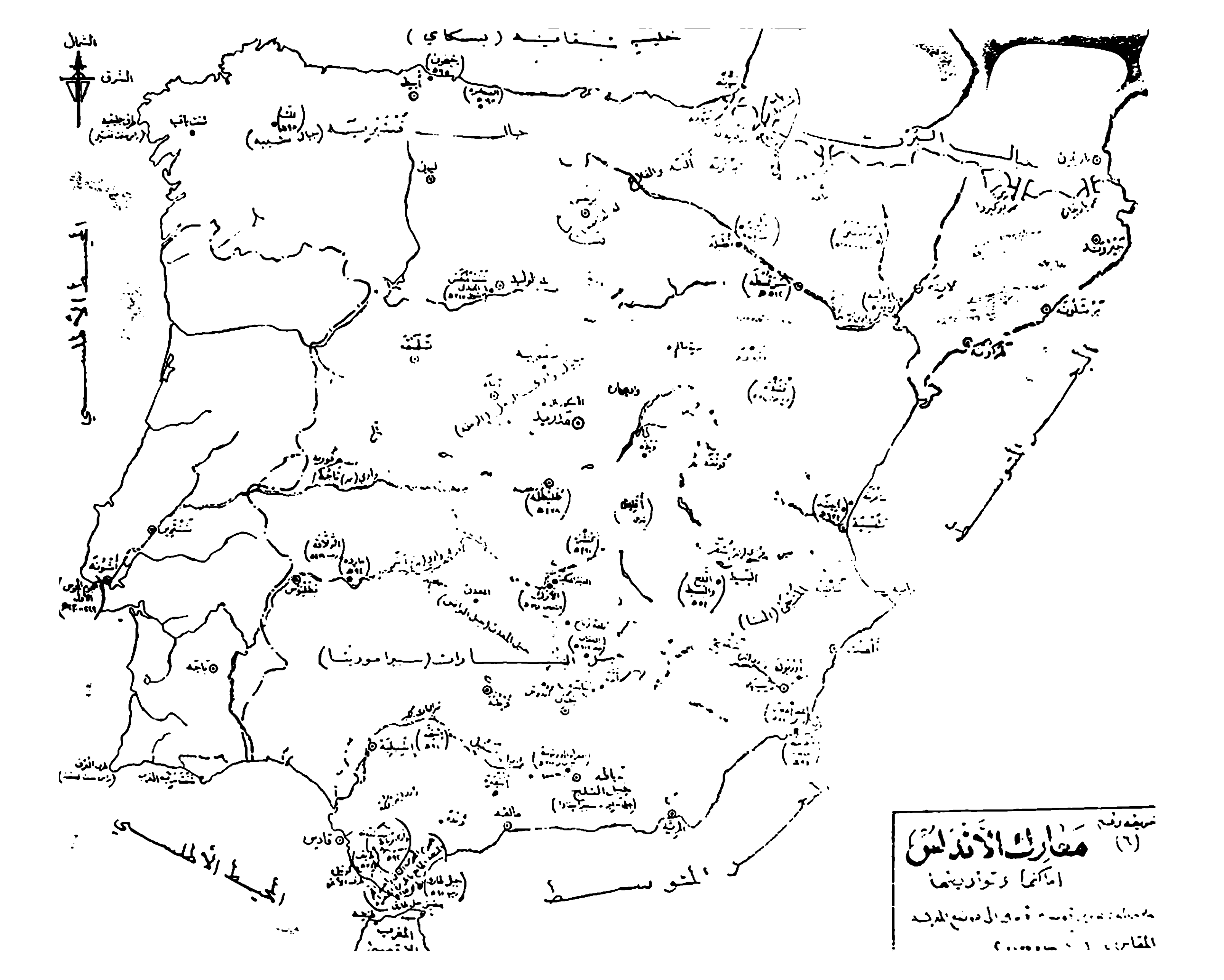
(١٧٨) انشد في المسهب وابن اليسع في المعرب لطارق من قصيدة قالها في الفتح ، انظر نفح الطيب (١/٢٦٥) .
(١٧٩) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١١١) .
(١٨٠) نفح الطيب (١/٢٣١) برواية ابن بشكوال .

تكون تلك المعايشة تمّتْ في إفريقية مثلا (تُونس) في إحد حواضرها كالقيروان ، التي كانت يومذاك تعج بالعرب الفاتحين وأبنائهم وذويهم ومواليهم.

ومن ثقة موسى به قائداً وإنسانا ، وثقة البربر به ومحبتهم له واعتمادهم عليه : « لو أمر أهلها بالصّلاة إلى أي قبلة شاءها لتبعوه ، ولم يروا أنّهم كفروا » (١٨١) ، وعدم اتهامه بنزاهته ، يمكن أن نستنتج ، أنّه كان مسلماً حقّاً ، قويّ الإيمان ، راسخ العقيدة ، مجاهدا صادقاً ، قويّاً أميناً ، نزيهاً لم يتلوّث بمال حرام ، ولم يخلّف درهماً ولا ديناراً ، ولا داراً ولا عقارا ، دمث الأخلاق ، حليماً كريماً سخيّاً ، محبّاً للناس محبوباً منهم ، شهماً غيورا .

ولا أعرف قائداً فاتحاً ، له في تاريخ الفتوح ما لطارق في تاريخ الفتوح ، بخل عليه التاريخ إنساناً كما بخل على طارق الإنسان ، فاقتصر تاريخه على مجده في الفتح ، وهو مجد عظيم ، دون أن يشمل تاريخه إنسانا ، وقد عوّض عليه مجده في الفتح ما فاته إنسانا ، وحسبه ما فتح عوضا مجزيا .

(١٨١) نفح الطيب (١٢/٤) .



خريطة رقم (٦)
معارك الأندلس
أماكنها وتواريخها
الشمال
الشرق
المحيط الأطلسي
جبال البرت
البحر المتوسط
جبال الشارات (سيرا مورينا)
مدريد
طليطلة
قرطبة
إشبيلية
غرناطة
سرقسطة
برشلونة
بلنسية
مالقة
قادس
باجه
طرطوشة
لاردة
المغرب

موجز في تطور الارقام

الدكتور جميل الملائكة
استاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد
(عضو المجمع)

تمهيد

حصل منذ أوائل هذا القرن تغيرٌ هائل – ومفاجئ تقريباً – في المعلومات التي كانت شائعة عن تأريخ العلوم ، ولا سيما الرياضيات ، في العصور القديمة . فلم يكن علماء الآثار قبل ذلك يعيرون الاهتمام الكافي للحسابات والأرقام المنحوتة على ألواح الطين القديمة التي كانت تكتشف في أرض الرافدين . وكانوا يحسبون ان الكثير منها سجلاتٌ للماشية والحبوب والنسيج والمعادن النفيسة والميراث وتوزيع الأراضي وحسابات الواردات والمصروفات والتجارة ، أو جداولُ للعمليات الحسابية البسيطة(١) . غير إن الدراسة المنتظمة التي اجريت للكتابات المسمارية على كثير من تلك الألواح منذ أواخر عشرينيات هذا القرن ، دلّت على مستوى رفيع بلغه العراقيون القدماء في الرياضيات ، مما لم يكن معروفا لدى مؤرخي العلوم .

وتُعَدّ مؤلفات نويكباور (٢) (٣) (٤) وثورو – دانجان (٥) التي

---

(١) انظر مثلاً : ج. فوربس و ا.ج.د ديكسترهوز – تاريخ العلم والتكنولوجيا، ترجمة د. اسامة أمين الخولي ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

(2) O. Neugebauer — Mathematische Keilschrift-Texte, (3 Vols. Berlin. 1935-1937).

(3) O. Neugebauer — Vorlesungen : über Geschichte der Antiken Wissenschaften (vol. 1, Berlin, 1934).

(4) O. Nugebauer and A.J. Sachs _ Mathematical Cuneiforn Texts, New Haven, 1945.

(5) F. Thureau-Dangin — Textes mathematiques babyloniens, Leiden, 1939.

أصدراها في ثلاثينيات هذا القرن ، كما يؤكد جورج سارتون (٦) ، وطه باقر (٧) (٨) ، وغيرهما ، المصادر الأساسية لأحدث المعلومات في هذا الشأن . إذ يعود لهذين العالمين الآثاريين اكبر الفضل في الكشف عن العبقرية الرياضية العظيمة لدى البابليين ، بما قاما به من جهود مضنية في دراسة المدوّنات على أعداد كبيرة من هذه الألواح .

وقد اعتمد أغلب من أرخوا لعلوم البابليين بين ثلاثينيات وخمسينيات هذا القرن ، في كثير من مادتهم ، على كتابات هذين العالمين الجليلين . وقد اصدر نويكباور كتابا جديدا عام ١٩٥١ ضمّنه المعلومات الكثيرة التي جدّت بعد مؤلفاته السابقة ، ثمّ أصدر في عام ١٩٥٧ طبعة ثانية من هذا الكتاب أضاف اليها ما استجدّ من مكتشفات بعد الطبعة الأولى (٩) ، ومن ضمنها الكشوف التي قام بها طه باقر (١٠) وما كتبه في هذا الشأن . ويمكن القول بانه لاغنىً لمن يكتب الآن في رياضيات البابليين عن هذا الكتاب .

لقد كانت الاكتشافات الحديثة مما غيّر معالم تاريخ العلوم ولاسيما الرياضيات التي كان كثيرون يُصرّون على عزوها الى اليونانيين (١١) . وتكفي الاشارة

(٦) جورج سارتون ـ تاريخ العلم ، جـ١ ، ترجمة ابراهيم بيومي مدكور واخرين ، ص ١٦٣ وص ٢١٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ (مترجم عن الطبعة الانكليزية الصادرة ١٩٥٢) .

(٧) طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، القسم الاول ، حاشية ص ٣٣٣ ، الطبعة الثانية المنقحة ، ١٩٥٥ (صدرت الطبعة الاولى ١٩٥١) .

(٨) طه باقر ـ موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة بغداد ، ص ١٧ ـ ١٨ ، بغداد ١٩٨٠ .

(9) O. Neugebauer — The Exact Sciences in Antiquity, 2 nd. Ed., Dover Publications, New York, 1969.

(١٠) انظر مثلاً : نويكباور ـ العلوم المضبوطة ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(١١) جورج سارتون ـ المصدر السابق ، ص ١٧١ .

مثلا الى ما اتضح من أنّ ما كان يعزى الى فيثاغورس من مساواة مربع وتر المثلث القائم الزاوية لمجموع مربعي ضلعيه القائمين كان البابليون قد عرفوه قبل فيثاغورس بنحو ألف وسبعمائة سنة (١٢) . ومما يدعو الى الاستغراب أن اليونانيين لم يستوعبوا رياضيات البابليين . ولم يستطيعوا الاحتفاظ بأحسن خصائصها . فهم ورثوا عن البابليين مثلاً النظام الستونيّ في الأرقام والقياسات ولكنهم خلطوه بالنظام العَشَريّ، فاستعملوا الستونيّ للكسر والعَشَريّ للصحيح، فأفسدوا النظامين معاً (١٣) . وليلاحظ أنّ حالاً فوضى من الخلط بين النظامين مازالت قائمةً في بعض قياسات هذا العصر . فالناس تستعمل النظام الستوني البابلي مثلاً في تقسيم الساعة ٦٠ دقيقة ، والدقيقة ٦٠ ثانية ، ولكنها تقيس أجزاء الثانية بالنظام العَشَريّ .

وقد عرف البابليون طرائق دقيقة في حساب الجذور التربيعية والتكعيبية . ومن ذلك أنهم حسبوا جذر ٢ بدقة كبيرة بالنظام الستوني ، إذ هو بحسابهم يكافئ بالنظام العشري ١٫٤١٤٢١٣ . وهذا لايختلف عن الصواب الاّ في المرتبة السابعة حيث ان الصواب ١٫٤١٤٢١٤ (١٤) (١٥) . وهذه دقة عظيمة في تلك الأزمنة السحيقة . وارتقت رياضياتهم الى التفكير التجريدي ، فاتبعوا طرائق جبرية في حلّ مسائل تدلّ طبيعة كثير منها على أنها لاتحلّ الاّ بعمليات تكافئ استعمال معادلات الدرجة الثانية (١٦) . أو حتى الثالثة في بعض

(١٢) طه باقر ــ مجلة سومر ، المجلد السادس ، ص ٣٩ ــ ٥٤ ، بغداد ، ١٩٥٠ .

(١٣) جورج سارتون ــ المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

(١٤) نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ٣٥ .

(15) The Encyclopaedia Brittanica — Macropaedia, vol 11. p. 640, 15 th. Ed., New York, 1974.

(16) انظر مثلاً : George Roux — Ancient Iraq, The Chaucer Press, p. 330, Suffolk, 1966.

الأحوال (١٧) . وعرفوا المعادلات الآنيّة ، وحتى انهم استعملوا المجاهيل المساعدة . والمجهول المساعد parameter كمية متغيرة يُفترض لها قيمة ثابتة في حالة معينة لتسهيل حساب الكميات المجهولة في معادلة . وتشير الدلائل الى ان حساباتهم كثيرا ما تضمنت علائق متسلسلة ، أو أسيّة ، أو حتى لوغارتمية . وكان اهتمامهم للجبر أكثر منه للهندسة ، فكانوا ، على خلاف اليونانيين من بعدهم . أقل اهتماماً للخطوط والسطوح والحجوم ، وأكثر عناية بالحسابات المعقّدة التي تخصّ العلائق المتبادلة بين هذه الأشياء (١٨) . وهكذا انحرف اليونان بمسار الرياضيات من الجبر الى الهندسة ، إذ كانوا ينظرون الى العدد من زواية فلسفية ميتافيزيقية غير عملية ، فتأخرت بذلك مسيرة الجبر كثيرا ، الى ان أعادها الهنود والعرب الى مسارها الصحيح بعد أن خسرت زُهاء ألف عام (١٩) .

وعالج البابليون الاعداد السالبة . وتجدر ملاحظة أن فكرة الكميات السالبة لم تدخل في الرياضيات الأوربية حتى زمن ليوناردو البيزاني في مطالع القرن الثالث عشر . ولم يكتمل عند الغربيين تطورها الى الوجه الملائم ، كضرب عدد سالب بآخر سالب مثلاً ، إلاّ بعد عدة قرون (٢٠) .

هذا غيض من فيض مما بلغه العراقيون القدماء من مستوى رفيع في الرياضيات ، مما لم يكن أكثره ليتحقق لولا إنجازهم العظيم في ابتكارهم نظام القيمة الموقعية ، للأرقام ، أي نظام المرتبة العددية . كما سنتكلم عليه فيما يأتي :

---

(١٧) طه باقر ــ موجز ، ص ٢٠ ، وص ٣٨ ، وص ٧٢ ــ ٧٣ .
(١٨) جورج رو ــ المصدر السابق ، ص ٣٣٠ ــ ٣٣١ .
وانظر : طه باقر ــ موجز ، ص ٣٩ ــ ٤١ ، وص ٦٦ ــ ٦٧ .
(١٩) طه باقر ــ موجز ، ص ٢٥ .
(٢٠) جورج سارتون ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

كانت العشرة ، وهي عدد أصابع اليدين ، الوحدةَ الأساسية في العَدّ والحساب عند العراقيين منذ عصورٍ موغلة في القدم كما كانت كذلك عند اكثر الشعوب في الأزمنة السحيقة (٢١) . وكان العراقيون يكتبون رقم الواحد بهيئة إسفين رأسي يشبه بعض الشيء رقم الواحد الذي نكتبه الآن ، ويكتبون العشرة بهيئة إسفين أفقي يشبه رأس السهم . غير إنهم لم يضعوا رموزاً للأرقام التي بين والواحد والعشرة . أي من الإثنين حتى التسعة . فكان لزاماً عليهم ان يتّبعوا في كتابة الأرقام الطريقة (التّكراريّة) repetitive . فكانوا يكتبون الرقم ٥ مثلاً بتكرار رمز الواحد ثلاث مرات في صفّ واحد ومرتين في صفّ فوقه ؛ والرقم ٩ بتكرار رمز الواحد ثلاث مرات في كلّ من ثلاثة صفوف ، والرقم ٥٣ بتكرار رمزِ العشرة خمس مرات ورقمِ الواحد ثلاث مرات . وكل ذلك من اليسار إلى اليمين (٢٢) .

وقد اتبع البابليون في العصور الباكرة طريقة الطرح لتسهيل كتابة بعض الأرقام . فكانوا يكتبون الرقم ١٩ مثلاً بصيغة ٢٠ ناقصا ١ ، وذلك بأن يرسموا رمز العشرة مرتين . تليه من جهة اليمين بالخط المسماري لفظة (لال) البابلية . ومعناها (ناقص) . فرمز الواحد (٢٣) . وقد عدلوا عن ذلك فيما بعد ، فالتزموا الطريقة التكرارية التي مرّ ذكرها .

ولم تكن العشرة هي الوحدة الأساسية في العدّ والحساب عند كلّ الشعوب . فقد كان أقوام بدائيون يستعملون نظاما ثنائيا كالمستعمل الآن في الحسابة ، واعتمد اكثر الشعوب في اختيار وحدة الحساب الاساسية على عدد

(٢١) توبياز دانتزك ــ العدد لغة العلم . ترجمة د. أحمد ابي العباس ، ص ١٨ . القاهرة . بلا تاريخ .

(٢٢) انظر مثلاً : نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ١٥ . وص ١٩ . وانظر طه باقر ــ موجز ، ص ٣١ .

(٢٣) انظر : D.E. Smith — History of Mathematics, vol. 2, p. 37, Dover Edition, New York, 1938.

وكذلك : نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ٥ . وص ٦٤ .

الأصابع ، فكانت الوَحدة عند بعضهم الخمسة ، وعند آخرين العشرة كما عند البابليين ، وعند غيرهم العشرين لمساواتها عدد أصابع اليدين والرجلين ، واختار آخرون للوَحدة رقمَ الاثني عشَرَ ، ولا سيما في القياسات ، لتعدُّد قواسمه ، واستعمل آخرون غيرَ ذلك (٢٤) .

غير ان جميع الشعوب كانوا يتّبعون الطريقة التكرارية في كتابة الأرقام (٢٥). ومنهم المصريون الذين كتبوا بالخطّ الهيروغليفي ، والفينيقيون،والرومان الذين بقوا يستعملون هذه الطريقة القديمة حتى عصور قريبة ، كما سيأتي بيانه .

ويبدو أن البابليين كانوا قد برموا باستعمال النظام التكراري في كتاباتهم وحساباتهم . فقد جابهوا فيه الصعوبات عندما تكبر الأرقام ، إذ يكثر عندئذ تكرار الرموز ، ويطول الرقم المكتوب . فالرقم ٩٧ مثلا ، على صغره نسبيا ، يتكرر في كتابته رمز العشرة تسع مرات ورمز الواحد سبع مرات . ولتسهيل الأمر بعض الشيء اتخذوا في بادئ الأمر رمزاً للمائة ، واختاروا الستين من بعد ذلك وحدة اساسية إضافة الى وحدة العشرة واتخذوا لها رمزاً(٢٦) . فبات لديهم سلسلة عددية يتناوب فيها الضرب بالعامل ١٠ والعامل ٦ كالآتي : ١ و ١٠ و ٦٠ و ٦٠٠ و ٣٦٠٠ و ٣٦٠٠٠ ، الخ . ولكنّ مشكلة كتابة الأرقام الكبيرة بقيت قائمة عندهم في الحساب والرياضيات والفلك (٢٧) .

وما لبث رياضيوهم أن اهتدوا الى كشف علمي عظيم مازال مدعاة لدهشة العلماء والدارسين . ذلك أنهم اكتشفوا في مطالع العصر البابلي القديم ، أي منذ قُرابة أربعة آلاف سنة ، طريقة القيمة (المرتبية) في كتابة الأرقام

(٢٤) انظر مثلاً : دي . اي . سميث ـ المصدر السابق ، ج١ ، ص ٨ ـ ١٤ .
(٢٥) راجع : جورج رو ـ المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .
(٢٦) نويكباور ـ العلوم المضبوطة ، ص ١٩ .
(٢٧) انظر مثلاً : جورج سارتون ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

place-value notation ، فكان هذا الاكتشـاف ذا أثر باقٍ على العـلم والحضارات بوجه عام (٢٨) . وبهذه الطريقة ، كما هو معروف الآن ، تعرف قيمة الرقم من موقعه في الكتابة . اذ يكون فيها لكل رقم منفرد دلالتان : احداهما في قيمة الرقم نفسه ، والأخرى بحسب موقعه ، اي المرتبة التي يقع فيها .

وكان البابليون قد طبقوا هذه الطريقة الموقعية على نظـام (ســتوني) sexagesimal يعتمد على رقم الستين وقوى الستين ، على غرار ما يعتمد نظامنا (العشري) decimal الآن على العشرة وقوى العشرة ، أو نظام الحسّابة الثنائي binary على الاثنين وقوى الاثنين .

ويبدو أنهم اختاروا رقم الستين أساسا لهذا النظام لمرونته ومرونة قواه في قابليتها للتحليل الى عدد كبير من العوامل ، ومن ثمّ اتساعها للتعبير بدقّـة عن الكثير من الكسور من دون حاجة للجوء إلى التقريب من كسر دوري غير منتهٍ ؛ إذ يمكن بهذا النظام التعبير بدقة مثلاً عن ١/٢ و ١/٣ و ١/٤ و ١/٥ و ١/٦ و ١/٨ و ١/٩ و ١/١٠ و ١/١٢ و ١/١٥ و ١/١٦ و ١/١٨ و ١/٢٠ و ١/٢٤ و ١/٢٥ و ١/٢٧ و ١/٣٠ . . . . والى آخره مما لايتسع لكله النظام العشري .

وكان هذا الكشف العظيم الذي قام به البابليون دون سواهم في تلك

---

(٢٨) انظر مثلا : Stephen F. Mason — A History of the Sciences, Collier Books, p. 17, New York, 1962.

وكذلك : جورج سارتون ــ المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

و : طه باقر ــ موجز ، ص ٢٩ .

و : نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ١٨ ــ ٢٠ .

و : طه باقر ــ مقدمة ، ص ٣٢٤ .

الأزمنة السحيقة قد يسرّ عليهم كتابة الأرقام وقراءتها فجعلها أقصر بعد أن كانت تكتب بالطــريقة التكرارية الطويلة ، يضاف الى ذلك انه سهّل العمليات الحسابية التي كانت من قبله عويصة جدا ومعقدة ولاسيما في الرياضيات والفلك .

ولا شك ان الاهتداء الى التعبير عن (الكسور) بالطريقة الموقعية ايضا منذ ذلك الزمن البعيد يُعَدّ هو بحدّ ذاته كشفا جبّارا ، وان كانت هي آنئذ بالنظام الستوني الموقعي لا بالنظام العَشري الموقعي ، الذي كان العرب أوّل من كتب به الكسور فيما بعد ، كما سوف يأتي بيانه .

غير ان البابليين القدماء ظلّوا بعد اكتشافهم الطريقة الموقعية يستعملون نظاما هو خليط من النظام (الستوني الموقعي) ، للستين وقوى الستين ، و (نظام العشَرة التّكراري) لما هو دون الستين (٢٩) . ولم يكن في وسعهم آنذاك غير ذلك ، إذ كان استعمال نظام ستوني لما هو دون الستين يستلزم ان يتخذوا رموزا مبسّطة لجميع الارقام من ٢ الى ٥٩ ، وهو ما لم يفعلوه . أما سبب استمرارهم في استعمال الطريقة التكرارية بنظام العشرة فيعود الى انهم لم يكونوا قد وضعوا آنئذ رموزا للأرقام المنفردة من ٢ الى ٩ ، كما سبق بيانه .

وهكذا كانوا يكتبون الرقم ٧٦ مثلا بالصيغة ١٦ ــ ١ لأن : ١٦ + ١ × (٦٠) = ٧٦ فيرمزون للستين بالرقم ١ ولكنهم يكتبون الرقم ١٦ بالطريقة التكرارية كما مرّ شرحه . ومثلَ ذلك يكتبون الرقم ١٢٥٨٥ مثلا بالصيغة ٥ ــ ١٣ ــ ٣ لأن :٥ + ١٣ (٦٠) + ٣ (٦٠)^{٢} = ٥ + ٧٨٠ + ١٠٨٠٠ =

(٢٩) راجع : نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ١٩ .
و طه باقر ــ موجز ، ص ٢٩ .
وجورج رو ــ المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .

١٢٥٨٥ وهذا يشبه ما نتبعه الآن في نظامنا العشري الموقعي ، فنكتب الرقم نفسه بصيغته لأن : ٥ + ٨ (١٠) + ٥ (١٠)^{٢} + ٢ (١٠)^{٣} + ١ × (١٠)^{٤} = ٥ + ٨٠ + ٥٠٠ + ٢٠٠٠ + ١٠٠٠٠ = ١٢٥٨٥

غير انّ البابليين القدماء لم يكونوا في زمن اكتشافهم النظامَ الموقعي ، اي منذ نحو ٤٠٠٠ سنة ، قد اكتشفوا الصفر . ولذا كانوا يتركون فراغا ليقوم مقامه . فهم يكتبون الرقم ٣٦١٤ مثلا بالصيغة ١٤ — — ١ لأن :
١٤ + صفر (٦٠) + ١ (٦٠)^{٢} = ١٤ + صفر + ٣٦٠٠ = ٣٦١٤

ولكن عدم ضبط مسافة الفراغ كان كثيرا مايدعو الى الالتباس فضلا عن أنه لم يكن ثمة طريقة سهلة لإظهاره في أول العدد . وكذلك لم يتقيض للبابليين اكتشاف الفارزة للدلالة على موقع الكسر في نظامهم الستوني . ولذا كانت مرتبة العدد تُعرَف بالنسبة الى المرتبة التي تليها فقط ، أما القيمة المطلقة للعدد فلم تكن معرفتها تتحقق الاّ من السياق والقرينة (٣٠) . فالرقم ٦ — ١ مثلا قد يعني عندهم ٠—٦ — ١ (أي ٣٩٦٠) ، وقد يعني ٦٦ ، وقد يعني أيضاً ١$\frac{٦}{٦٠}$ (أي ١و١) ، وهكذا .

ومن ثمّ كان الإنجاز الخطير الثاني الذي قدّمه العراقيون القدماء اهتداءهم في العصر البابليّ المتأخر الى اكتشاف الصفر ، للدلالة على المرتبة الخالية ، فكانت طفرةٌ هائلة في الرياضيات امتدّ أثرها على تطوّر جميع العلوم ومختلف شؤون الحضارة . ويقدِّر الآثاريون زمن اكتشاف البابليين للصفر نحو ٧٠٠ قبل الميلاد . اي منذ نحو ٢٧٠٠ سنة . وقد وُجِد استعمال الصفر في ألواح طينية في كيش شرقيَّ بابل يعود تأريخها الى ٥٠٠ ق.م. ثمّ صار البابليون

(٣٠) نويكباور — العلوم المضبوطة ، ص ٢٧ .
وانظر : جورج سارتون — المصدر السابق ، ص ١٦٤ — ١٦٥ .
وطه باقر — موجز ، ص ٣٠ — ٣١ .

يستعملونه بصورة منتظمة في العصر البابلي الهلنستي (السلوقي) نحو ٣٠٠ ق. م.، ولا سيما في الحسابات الفلكية (٣١) . وكانوا يتخذون له رمزا يشبه صورة الحرف B بعض الشيء (٣٢) . غير انهم استعملوه في داخل العدد ولم يستعملوه في أوله ، فبقيت عندهم طريقة معرفة القيمة المطلقة للعدد من السياق (٣٣) .

ويبدو أن أرقام الآحاد من ٢ الى ٩ ، التي كان البابليون يكتبونها بالطريقة التكرارية ، قد تطورت أشكالها بكثرة الاستعمال ، فتلاحمت اجزاؤها بالكتابة السريعة المتصلة cursive writing حتى أصبح لكل منها في العصر البابلي السلوقي (من ٣٠٠ الى صفر ق . م .) رمز اقلُّ تعقيداً مختصّ به .

وقد انتقل في العصر الهليني النظام الستوني والصفر من البابليين الى اليونانيين، الذين ظلّوا يستعملون هذا النظام حقبة طويلة من الزمن ، ولا سيما في الحسابات الفلكية (٣٤) . وطوّر اليونان النظام باستعمال الصفر في أول العدد أيضا (٣٥) ، فمكّنوا بذلك من معرفة القيمة المطلقة للعدد الصحيح المكتوب من غير حاجة لوجود القرينة .

---

(٣١) راجع نويكباور ــ العلوم المضبوطة ص ٢٠ وص ٢٧ .
وانظر ايضا :
The New Encyclopaedia Britanica — Macropaedia, vol. 11, p. 640, 15 th. Ed., New York, 1974.

(٣٢) طه باقر ــ مقدمة ، القسم الاول ، ص ٣٣٥ .
وانظر ايضا : طه باقر ــ مجلة سومر ، المجلد السادس ، ج١ ، « لوح رياضي على نظرية قليدس من تل حرمل » ، ص ٢١ ، بغداد ، ١٩٥٠ .

(٣٣) نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ٢٠ .

(٣٤) طه باقر ــ موجز ، حاشية ص ٣٠ .
وانظر : نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ١٠ ــ ١٣ .
وكذلك : دائرة المعارف البريطانية الجديدة ، المصدر السابق ، ص ٦٤١ .

(٣٥) انظر مثلا : مرغريت روتن ــ علوم البابليين ، ترجمة د. يوسف حبي ، ص ١١٩ ، بغداد ، ١٩٨٠ (مترجم عن الطبعة الفرنسية الصادرة عام ١٩٧٠) .
او : طه باقر ــ موجز ، ص ٣١ .

غير ان اليونانيين شوّهوا النظام الستوني الذي ورثوه عن البابليين . فقد استعملوه في نظام هجين كان كسر العدد فيه بالنظام الستوني وجزؤه الصحيح بالنظام شبهِ العَشري الذي استعملوه آنئذ واعتمدوا فيه على الحروف في الرمز الى كل من الآحاد والعشرات والمئات والألف ، على غرار حساب الجُمَّل ، كما سيأتي بيانه . وبذلك « أفسدوا النظامين معاً » على حدّ قول سارتون (٣٦) . وممن اتبع هذه الطريقة المختلطة في كتابة الصحاح والكسور بطلميوس الاسكندري Ptolemaeus (نحو ٨٥ – ١٦٥ م) صاحب المجسطي ، والرياضي ثيون الاسكندري (٣٧) Theon (عاش في القرن الرابع م) . وقد ظل اليونان زمناً طويلا يتبعون هذه الطريقة في اقتصار استعمال النظام الستوني على كسور الأعداد دون صحاحها . وأخذ شكل الصفر عندهم اطوارا مختلفة كان آخرُها دائرة فوقها خط افقي قصير بهذه الصورة : هَ (٣٨) .

وكان الهنود ايضا يتخذون من العشرة في الأزمنة القديمة وحدة أساسية في العدّ والحساب بطريقة التكرار . واتبعوا منذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد نظام الرمز الى الأرقام بالحروف بطريقة حساب الجُمَّل ايضاً . غير إنهم اقتبسوا من بعد ذلك النظام الموقعي الستونيَّ البابليّ . ويرى بعض المؤرخين أن هذا النظام انتقل اليهم بعد فتح الاسكندر ، في حين يرجح آخرون أنه انتقل اليهم من فلكيي اليونان مثل بطلميوس . وقد ظهر في مؤلفاتهم الرياضية

(٣٦) جورج سارتون – المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

(٣٧) انظر : احمد سعيد الدمرداش ود. محمد حمدي الحفني الشيخ – مفتاح الحساب تأليف جمشيد غياث الدين الكاشي، ص ٢٨٩ (حاشية ٥١)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة (بلا تاريخ) .

(٣٨) نويكباور – العلوم المضبوطة ، ص ١٤ .

والفلكية المعروفة بالسِّدهانتا Sidhantas التي دونت منها نسخة في حدود القرن الرابع الميلادي بالنظام الستوني (٣٩) .

وقد اهتدى الهنود الى النظام الموقعي العَشري في زمن متأخِّر ، مستفيدين من مبدأ النظام الموقعي الستوني البابلي (٤٠) ومن رموز الأرقام التي كانوا يستعملونها من ١ الى ٩ . والمرجح أنهم استعملوا النظام العشري في اواخر القرن السادس الميلادي (٤١) . وكان لدى الهنود عدة سلاسل من صور أرقام الآحاد ، عدا صورَ رسمها بالحروف ، ومنها سلسلتان قديمتان كتب في احداهما هذه الأرقام في القــرن الثالث ق . م . بخطوط رأسية على غرار الأسافين الرأسية التي رسمها البابليون القدماء ، ويبدو أن الاخرى التي كتبت في القرن الأول أو الثاني ب . م . تطورت من خطوط افقية كالتي استعملها السومريون . ويرجح المؤرخون أن اصول هاتين السلسلتين كانتا في ارض سومر وبابل . ولا يعلم أحد أكانت صور السلاسل المتأخرة قد تطورت من هاتين السلستين القديمتين أم أنها الحروف الأولى من أسماء تلك الارقام ، فان كثيرا من تلك الأطوار مازال مجهولا لأن الموادّ التي دونت عليها تلك المعارف الرياضية كانت من لحاء الشجر وأعواد الخيزران (٤٢) . ولكن يبدو في الأقلّ أنّ صور أول ثلاثة ارقام من السلسلة التي انتقلت الينا من الهند وهي التي اتخذت الاشكال ١ و٢ و٣ هي في الاساس من رموز الطريقة التكرارية البابلية للأســافين الرأســية تطوّرت بالكتابة السريعة المتصــلة

(٣٩) انظر : طه باقر ــ موجز ، ص ١١٤ ــ ١١٥ .
و : دي . اي . سميث ــ المصدر السابق ، جا ، ص ١٤٤ .
و : دائرة المعارف البريطانية الجديدة ، المصدر السابق ، ص ٦٤٠ .
(٤٠) نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ١٨٩ .
(٤١) طه باقر ــ موجز ، ص ١١٣ ، وص ١١٥ ، وص ١٩٩ .
(٤٢) دي.اي . سميث ــ المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٥ ــ ٦٨ .

cursive writing بعد أن كان أصلها ١ و١١ و١١١ فوصلت أجزاؤها بعضها ببعض . ومثل ذلك يقال في الأرقام الثلاثة المغربية الأولى 1 و 2 و 3 التي تطورت من صور الخطوط الأفقية السومرية – و = و ≡ .

وطوّر الهنود رسم الصفر الذي أخذوه من اليونان فرسموه في بعض سلاسلهم بصورة دائرة هكذا (٥) كالمستعملة الآن في الأرقام المغربية ، وفي غيرها بهيئة دائرة مطموسة أي نقطة (.) كالمستعملة الآن في الأرقام المشرقية . وقد تأخّر استعمال الصفر عند الهنود عن النظام العَشري الموقعيّ وكان أوّلُ ظهوره في مدوناتهم في القرن الثامن الميلادي (٤٣) .

وفي القرن الثامن الميلادي انتقل الصفر والنظام العَشري الموقعي من الهنود الى العرب (٤٤) . عندما ترجم محمد بن ابراهيم الفزاري (ت : ٧٩٦ م) كتاب الحساب والفلك الهندي المسمى « سِدهانتا » بأمر الخليفة العباسي المنصور نحو ٧٧٣ م . وهكذا عادت الطريقة الموقعية – ولكن بالنظام العشري – ثم عاد الصفر أيضاً ، الى هذه المنطقة ، التي كانت في الأساس موطن اكتشافهما قبل ذلك بآلاف السنين . ومنها انتقل النظام ، بعد تطويره ، الى اوربا وبقية ارجاء العالم .

وكان العرب قبل الاسلام يكتبون الأرقام بنظام العَشَرة التَّكْراري القديم منذ عصور سبقت الميلاد ، على غرار ما كان يفعل الفينيقيون والمصريون والرومان وغيرهم . وكانوا يرمزون للواحد بخطّ رأسي ، وللخمسة بحرف الخاء ، والعشرة بالعين ، والمائة بالميم ، والألْف بالألِف (٤٥) .

---

(٤٣) انظر : طه باقر – موجز ، ص ١١٣ ، وص ١١٥ ، وص ١٩٩ .
(٤٤) طه باقر – المصدر السابق ، حاشية ص ٣٠ ، وص ١٩٩ .
(٤٥) انظر : الدكتور جواد علي – تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء السابع ، ص ٤٤ – ٥٢ ، وص ٢٦٥ – ٢٧٠ ، بغداد ، ١٩٥٧ .

ثم أخذوا إبّان الفتح الإسلامي يرمزون الى الأرقام بالحروف بالنظام شبه العشري على نحو ما شاع آنئذ لدى كثير من الأقوام مثل الآراميين و الفينيقيين واليونان والسلافيين وغيرهم . وفي هذا النظام ، الذي يُدعى حساب الجُمَّل ، ترمز الحروف الابجدية في « أبجد ، هَوَّز ، حُطّي ، كَلَمَن . . الخ » وعددها ثمانية وعشرون حرفا ، الى الأرقام كالاتي :

أ ـ ١	ي ـ ١٠	ق ـ ١٠٠	غ ـ ١٠٠٠
ب ـ ٢	ك ـ ٢٠	ر ـ ٢٠٠	
ج ـ ٣	ل ـ ٣٠	ش ـ ٣٠٠	
د ـ ٤	م ـ ٤٠	ت ـ ٤٠٠	
هـ ـ ٥	ن ـ ٥٠	ث ـ ٥٠٠	
و ـ ٦	س ـ ٦٠	خ ـ ٦٠٠	
ز ـ ٧	ع ـ ٧٠	ذ ـ ٧٠٠	
ح ـ ٨	ف ـ ٨٠	ض ـ ٨٠٠	
ط ـ ٩	ص ـ ٩٠	ظ ـ ٩٠٠	

وكانوا يقدّمون المرتبة العشرية الكبرى على الصغرى ، على خلاف المتبع عندالهنود (٤٦) . فالارقام ١١ و١٢ و١٣ هي (يا) و(يب) و(يج) ، والرقم ٣٧٦ مثلا كان يُكتب (شعو) ، وكتابة السنة ١٩٨٨ مثلا تكون (غظفح) ، وهكذا . أما اذا تعددت الألوف فيوضع عددها قبل حرف الغـين (٤٧) ، كما في (بـغ = ٢٠٠٠) و (تنـبغ = ٤٥٢٠٠٠) . وغير خافٍ أنّ حساب الجمّل يسهّل النظام الستونيّ كثيرا اذ يُكتب فيه كل رقم من ٢ الى ٥٩ بحرف واحد اوَ حرفين فقط فيغني بذلك عن الطريقة

(٤٦) انظر مثلا : احمد سعيد الدمرداش ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ، وص ٢٨٩ .
(٤٧) الدمرداش ـ المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

التكرارية لما هو دون الستين ، وهو أمر استفاد منه اليونانيون كثيراً عندما طبقوا مبدأ الحروف على النظام الستوني البابلي .

ومازال شيء مأخوذ من هذا النظام ، مع بعض التحوير ، يستعمل في حساب برج الشخص وطالعه من حروف اسمه ، حيث تجمع القيم المطلقة لحروف الاسم بغضّ النظر عن تقدمها وتأخرها . وهم يستعملونه ايضاً في التاريخ الشعري ، كأن يقال في التاريخ لمولد طفل اسمه (علي) كانت ولادته في سنة ١٩٦٨ :

قرّت الأعينُ في مـولـده
وأتانـا بالسـرور الأمثـلِ
وعـلى هـذا أتى تـأريخه
« تضحك العين سروراً بعـلي »
١٢٨٨ ١٦١ ٤٦٧ ١١٢
١٩٦٨

فان مجموع حروف الشطر الأخير هو ١٩٦٨ .

ولا يخفى أن إجراء العمليات الحسابية بهذا النظام لم يكن سهلا . ولكنه لم يكن على أية حال بأصعبَ من نظام العَشَرة التكراري الروماني البدائي ، الذي استمرّ استعماله عند الأوربيين الى عهد قريب قبل ان ينتقل اليهم من العرب النظام العشري الموقعي ، إذ لم يكن النظام الروماني هذا ليختلف عن نظام العشرة التكراري الذي استعمله السومريون القدماء قبل ظهور النظام الستوني الموقعي منذ اكثر من ٤٠٠٠ سنة فيما عدا إضافة رموز للخمسة والخمسين والخمسمائة والألف . وهكذا رمزوا للواحد بالحرف I ، واتخذوا للخمسة الرمز V ، والعشرة X ، والخمسين L ، والمائة C ، والخمسمائة D ، والألف M . وكرروا الواحد ، والعشرة ، والمائة في كتابة الأرقام . واتبعوا ايضاً أسلوب الطرح على غرار ما فعل البابليون . فالرقم ٩ مثلا يكتب عندهم IX ،

أي عشرة ناقصاً واحدا.وهكذا تكتب السنة ١٩٨٨ مثلا بالصيغة MCMXXCVIII ولا تخفى الصعوبات والتعقيدات التي يمكن أن تجابَه في إجراء العمليات الأربع الحسابية بمثل هذه الأرقام ، ولاسيما عمليات الضرب والقسمة التي تكاد تقرب من الاستحالة ، فضلا عن الحيّز الذي تَشغَلُه كتابة هذه الأرقام الطويلة .

ومازالت آثار استعمال الأرقام الرومانية باقية حتى يومنا هذا في عالم الغرب ، كما في كتابتها على طرّة بعض الساعات ، وفي ترقيم فصول بعض الكتب ، وسنة طبعها ، وارقام المجلدات ، الخ ..

وكان الإسلام قد جاء بثورته الحضارية العظيمة بعد حقبة من الضمور الحضاري وتحلّل الامبراطوريات ، فازدهرت العلوم العربية وانتعشت الحضارة ثانية على وجه منقطع النظير . ونشِطت في مستهَلّ تلك النهضة العلمية حركة ترجمة العلوم ونقلها ، ولاسيّما علومِ اليونان والهند .

وكان من حكمة العرب في صدر الإسلام ابقاؤهم على المدارس القديمة في الإسكندرية ، وبيروت ، وأنطاكية ، ونصيبين ، وجند يسابور ، من غير أن يمَسُّوها بأذى . فاحتفظت هذه المدارس بأمهات كتب العلوم ، ومعظمها في ترجمته السُّريانية . ومالبثت أن ظهرت ترجماتها الى العربية بتشجيع من الأمويين والعباسيين . حتى إنّ المنصور ، والمأمون ، والمتوكل ، كانوا يبعثون برسلهم الى المدن اليونانية والى أباطرة الروم في طلب كتب الطب والعلوم . وكان بيت الحكمة الذي انشأه الخليفة المأمون ببغداد سنة ٨٣٠ م مجمعا علمياً ، ومرصدا فلكيا ، ومكتبة عامة . وكان فيه طائفة من المترجمين تُجرى عليهم الأرزاق من بيت المال ، حتى قيل في هذا المعهد العلمي إنه كان الممهِّدَ لنهضة علمية وفكرية تشبه في أسبابها وطرائقها ونتائجها

النهضة الأوربية الحديثة (٤٨) .

وقد اطلع العرب على حساب الهنود ، فأخذوا عنهم النظام العَشريّ الموقعيّ على نحو ماذكرنا . ويعود الفضل الأكبر في توطيد هذا النظام وانتشاره الى الرياضي الشهير محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في زمن المأمون وتُوفِّي نحو ٨٥٠م . وكان من بين مؤلفاته الجليلة كتاب في الحساب الهندي شرح فيه الحساب بهذا النظام العَشري الموقعي وصور الأرقام المستعملة له . وسرعان ما انتشر استعمال هذا النظام في البلاد العربية وحلّ محلّ نظام الجُمَّل الذي كان متَّبعا قبله .

وكان لدى الهنود في القَرن الثامن الميلادي عِدّة سلاسل من صور الأرقام هذّب منها العرب سلسلتين : إحداهما كانت تدعى بالارقام (الهندية)(*) وهي التي شاع استعمالها في المشرق العربي وفي مصر

(٤٨) انظر : ول دورانت ـ قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ج١٣ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، (مترجم عن الاصل الانكليزي الصادر سنة ١٩٣٥) ، الطبعة الثانية . القاهرة ، ١٩٦٤ .

* وضع العرب بعد كتاب الخوارزمي كتبا كثيرة في حساب الهند شرحوا فيها طرق الحساب بهذا النظام العشري الموقعي الذي اخذوه عن الهنود . واشتهر منها كتاب (الفصول في الحساب الهندي) للاقليدسي ، وقد طبع في عمان سنة ١٩٧٣ . اما صور الارقام فقد هذبها العرب بعد أخذها عن الهنود ، وحوروها كثيرا . ولكنهم ظلوا ينسبونها الى (الهند) . فكان البيروني يسميها « الارقام الهندية » (انظر : قدري طوقان ، تراث العرب العلمي ، حاشية ص ٤٨) ، ودعاها غياث‌الدين الكاشي تارة « الرقوم الهندية » ، وطورا « الارقام الهندية » (انظر : مفتاح الحساب للكاشي ، تحقيق الدمرداش ومحمد حمدي الشيخ ، ص ١٢١) ويسميها الاقليدسي في كتاب الفصول « أحرف الهند » ، وغير أولاء كثير . وقد اخذ اكثر المتأخرين أيضا بهذه التسمية ، ومنهم : عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٣٧ و ٣٣٥ ؛ وطوقان تراث العرب العلمي ، ص ٤٧ ـ ٥٠ ؛ وطوقان ، العلوم عند العرب ، ص ٥٩؛ وهاشم

وما جاورها . وقد تطوّرت الى الارقام المستعملة الآن بالأشكال : ١ — ٢ — ٣ — .. الخ ، وهي التي ندعوها الأرقام (المشرقية) . والاخرى دُعيت بالارقام (الغبارية) ؛ قيل إنها سميت كذلك لأنهم كانوا ينثرون الغبار على لوح ويرسمون عليه الأرقام بإصبعهِم . وقد شاع استعمال هذه في اقطار المغرب العربي وانتقلت الى الأندلس واوربا . وتطوّرت الى صور الأرقام 1 — 2 — 3 — .. الخ ، وتدعى الآن في اوربا (الأرقام العربية) Arabic numerals ، وهي التي شـاع اسـتعمالها في المغرب العربي واوربا وبقية أقطار العالم، وندعوها الآن الأرقام (المغربية) (٤٩) .

= احمد الطيار ويحيى عبد سعيد ، موجز تاريخ الرياضيات، ص٢٨و٣٠؛ وحكمت نجيب عبدالرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٨٦ ؛ واحمد شـوكة الشطي ، مجموعـة ابحاث عن تاريخ العلوم الرياضية ، الرياضيات عند العرب ، ص ١ ؛ واحمد فهمي ابو الخير ، علوم العرب الرياضية وانتقالها الى اوربا ، ص ٣٣ ؛ ومحمد السراج ، مجلة اللسان العربي ، جـ٣ ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٦٤ ؛ وغيرهم كثيرون . وقد أخذ يشيع في العقود الاخيرة من هذا القرن اطلاق اسم « الارقام المشرقية » على صور هذه الارقام ، و « الارقام المغربية « على صور الارقام الغبارية المستعملة في بعض اقطار المغرب العربي وغيرها من اقطار العالم . وممن استعمل هذه التسمية مثلا : محمد السراج ، الطابع العربي في الارقام الرياضية ، مجلة اللسان العربي ، جـ٣ ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٦٤ ؛ وغيرهم كثيرون .

وقد اخـذ يشيع في العقود الاخيرة من هذا القرن اطلاق اسـم « الارقام المشرقية » على صور هذه الارقام ، و « الارقام المغربية » على صور الارقام الغبارية المستعملة في بعض اقطار المغرب العربي وغيرها من اقطار العالم . وممن استعمل هذه التسمية مثلا : محمد السراج : الطابع العربي في الارقام الرياضية ، مجلة اللسان العربي ، جـ٣ ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٦٤ .

(٤٩) انظر مثلا : قدري حافظ طوقان ــ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، ط ٣ ــ مزيدة ومنقحة ــ ص ١٠ ، وص ٤٧ ــ ٥٠ ، وص ١٦٠ ــ ١٦١ ، القاهرة ، ١٩٦٣ (صدرت الطبعة الاولى ١٩٤١ والثانية ١٩٥٤) .
وانظر : الدمرداش ــ المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

واستعمل العرب الصفر مع النظام العَشريّ الذي انتقل اليهم من الهنود . وكان الهنود يُطلقون على الصفر لفظ (سُونيا) Sunya ومعناه الفَراغ . والمشهور أنّ الخُوارزميّ هو الذي سمّاه بالعربية (الصفر) (٥٠) ، الذي يعني أيضاً الخُلُوّ والفَراغ . قال حاتِم الطائيّ (ت : ٥٧٨ م) :

أماويّ إنْ يُصبِحْ صداي بقفرةٍ
من الأرضِ لا ماءٌ هناك ولا خَمْـرُ
تَرَيْ أنّ ما أهلكتُ لم يكُ ضَرّني
وأنّ يدِي مما بَخِلْتُ به (صِفْرُ) (٥١)

(صداي = جُثّتي ، وأهلكتُ = أنفقتُ) .

وقد كتب العَرَب الصفر ، كما كتبه الهنود ، بهيئتيه الدائرة والنقطة ، في أزمنة وأمكنة مختلفة . يقول محمد بن أحمد الخُوارزمي (ت : ٩٩٧م) كتابه المشهور (مفاتيح العلوم) الذي وضعه سنة ٩٧٦ م : « .. وهذه الدوائر الصغار تُسمىّ الأصفارَ توضع لحفظ المراتب في المواضع التي ليس فيها أعداد .. » (٥٢) . وقد استقرّ في الآخر استعمال النقطة في الأرقام المشرقية . والدائرة في الأرقام المغربية .

ومن المهم الإشارة الى أن النظام العَشَريَّ الموقعي الذي استعمله الهنود وأخذه العرب عنهم كان مقصوراً على الصِّحاح ولم يكن فيه كسور عُشريّة على غرار النظام الستوني البابلي الذي كان فيه الصحاح والكسور الستونّية . ومن ثَمّ كان الإنجازُ الخطيرُ الذي قدّمه العرب فيما يتعلّق بالأرقام هو ابتكارهم طريقة الكسور العُشريّة . فسهّلوا بذلك التعبيرَ عن أي كسرٍ

(٥٠) طه باقر ـ مقدمة ، جا ، ص ٣٣٦ .
وانظر : طه باقر ـ موجز ، حاشية ص ١٩٩ .
(٥١) ابراهيم الجزيني ـ شرح ديوان حاتم الطائي ، دار الكاتب العربي ، ص ٥١ ، بيروت ، ١٩٦٨ .
(٥٢) محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي ـ مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية ، ص ١١٣ ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ (١٩٢٣ ـ ١٩٢٤م) .

بالنظام العَشري الى أي قدر مطلوب من الدِّقّة. وهكذا أحلّوا الكسور العُشريّة محلّ الكسور الاعتيادية في أغلب الأعمال الرياضية . وتشير الدلائل الى أنهم لابدّ أن يكونوا قد أتمّوا اكتشاف الكسور العُشريّة ووطّدوها قبل مطالع القَرن الخامس عشرَ الميلادي في الأغلب . فقد حَسِب مثلاً غياثُ الدين الكاشي (ت : ١٤٢٩) النسبة الثابتة (ط) بين محيط الدائرة وقطرها ، بالنظام العَشَري ، بدرجة من الدِّقّة فاق بها كلّ سابقيه . وقدّمها في كتابه المسمّى (الرسالة المحيطية) مُثبِتاً قيمة الكسر الى ستّ عَشَرَة مرتبةً عشريةً دقيقةً مضبوطة ، فضلاً عن تقديمها ايضا بما يكافئها بالنظام الستوني . وقد كتب الكاشي لفظة (صِحاح) فوق العدد الصحيح ، ووضع خطاً رأسيا على يمينه ، ويلي ذلك الكسرُ العُشريّ ، كالآتي : (٥٣)

صحاح
٣ | ١٤١ ٥٩٢ ٦٥٣ ٥٨٩ ٨٧٣ ٢

ومع ذلك مازال بعض مؤرخي العلوم الأوربيين يتجاهلون كل ذلك ، فيَعزُون الفضلَ في توطُّد طريقة الكسور العُشريّة الى الرياضي البلجيكي سيمون ستيفن (٥٤) Simon Stevinus (١٥٤٨ — ١٦٢٠) الذي نشر سنة ١٥٨٥ ، أي بعد وفاة الكاشي بمائة وستة وخمسين عاما ، كُرّاساً بسبع صفحات بعنوان (العُشْر) ، وآخرَ بعنوان (الكسر العُشري) ، يعرض فيهما هذه الطريقة ويدعو الى اتباعها (٥٥) .

---

(٥٣) انظر مثلا : دي.اي.سميث — المصدر السابق ، جـ ٢ ، ٢٣٨ — ٢٤٠ .
و : احمد سعيد الدمرداش — المصدر السابق ، ص ١٢١ ، وص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٥٤) انظر مثلا : مرغريت روتن — المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(55) The Encyclopaedia Britannica — Eleventh Edition, vol. xxv, p. 910, New York 1911.
وانظر : دائرة المعارف البريطانية الجديدة — المصدر السابق ، ط ١٤ ، مجلد ١١ ، ص ٦٧٣ .

ويعود الى العرب ايضا فضل السبق في اكتشاف الفارزة التي تستعمل في كتابة الكسور العُشرية ، إذ يُعَدّ ذِكرُ غياث الدين لفظةَ (الصِّحاح) قبل الكسر ، ورسمُه خطّاً رأسياً بين العدد الصحيح والكسر ، بمثابة أوّلِ استعمال (للفارزة) التي تفصِل بين صحيح الرقم العَشَريّ وكسره (٥٦) . وهي تُستعمل الآن بهيئة حرف الواو الصغير (و) في البلاد العربية وفي بعض أقطار أوربا والعالم ، كما في فرنسا مثلا ، في حين يستعمل آخرون النقطة (.) لهذا الغرض ، كما في اوربا وامريكا .

وكان العرب يُسَمُّون اجزاء العَشَرة ، والمائة ، والألف ، .. الخ ، بالأعشار ، وثاني الأعشار ، وثالثِ الأعشار ، وهكذا (٥٧) .

ويجدر هنا التنويه بأنّ طريقة الكسور العُشريّة التي اكتشفها العرب هي مستوحاة من طريقة الكسور الستونية التي اخترعها العراقيون القدماء منذ قرابة اربعة آلاف سنة ، وهي تستند الى مبدأ تلك نفسه ، كما مرّ وصفه . فقد كان البابليون منذئذ يعبّرون مثلا عن الساعة الحاديةِ والربع بالصيغة ١٥ و١ أي ساعة وخمسة عشرَ جزءا من ستين جزءا من الساعة . ويعبَّر الآن عن ذلك بالنظام العَشري ، بطريقة مماثلة ، بالصيغة ١٫٢٥ اي ساعة وخمسة وعشرون جزءا من مائة جزء من الساعة .

وقد ظلّ العرب يستعملون النظام الستوني الى جانب النظام العَشَريّ زمنا طويلا ، ولكنهم اقتصروا في استعماله على الحسابات الفلكية (٥٨) . غير ان الفضل يعود اليهم في كونهم أوّل من اتّبع طريقةً ستونية موحَّدة

---

(٥٦) انظر مثلا : احمد سعيد الدمرداش ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

(٥٧) الدمرداش ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

(٥٨) دائرة المعارف البريطانية الجديدة ـ المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٦٤٠ و : الدمرداش ـ المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

بعد ان كان اليونانيون قد انحرفوا بالنظام فكتبوا كسور العدد فقط بنظام أساسه الستون وكتبوا صحاحه بنظام أساسه العَشَرة ، كما سلف بيانه . فقد استعمل اليونانيون حساب الجمّل شبه العَشريّ كاملا للصحاح فرمزوا الى الآحاد والعشرات والمئات والألف بالحروف ، ولكنهم استعملوا للكسور حروفَ هذا النظام لأجزاء الستينَ فقط من١ الى ٥٩ . وقد أصلح العرب ذلك فكان اتباعهم النظام الستونيّ كاملا في الكسور والصحاح . وقد اقتصروا في كليهما على استعمال حروف الجمّل من ١ الى ٥٩ فقط (٥٩) .

وقد كتب قُشيار بن لَبّان الجيلي (نحو ٩٧١ – ١٠٤٢ م) أول وصف للنظام الستوني الموحَّد الذي استعمله العرب ، في رسالته الصغيرة المسمّاة (أصول الحساب الهندي) (٥٩) . وكانت الوحدة الأساسية عندهم في النظام الستوني هي الدرجة وتساوي الواحد . وفي الكسور سمّوا كلّ جزء من ستينَ جزءا من الدرجة الدقيقة ، ثم الثانية ، فالثالثة ، فالرابعة .. وهكذا . اما للصحاح فكانوا يذكرون القوة التي تُرفع اليها الستون . وكانوا يكتبون المراتب التصاعدية في هذا النظام من اليمين الى اليسار ، على النقيض مما هو متبع في النظام العشري . فالرقم ٣٣–٧–١٦–٨–٢٥ ثانيــة مثلا ، مكتوباً بالحروف ، يُقرأ ٣٣ مرفوعاً مرتين ، و٧ مرفوعا (مرّة) ، وستَّ عشَرةَ دَرَجة ، وثماني دقائق ، وخمسٌ وعشرون ثانية . وقد يسمّون الصحاح : الدرجة ، والمرفوع ، والمثاني ،والمثالث ، والمرابع ، .. الخ (٦٠) . وقد تضاءل عند العرب استعمال النظام الستونيّ شيئاً فشيئا عندما اكتمل لهم تطور نظام الترقيم العَشَري للصحاح والكسور .

(٥٩) ينظر : احمد سعيد الدمرداش ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
(٦٠) انظر : الدمرداش ـ المصدر السابق ، ص ٧٩ ، وص ١٠٣ ـ ١٠٤ ، وص ٢٨٩ .

هكذا توطّد وانتشر النظام العَشَريّ عند العرب منذ مطالع القَرن التاسع الميلادي ، وتعهدوه بالتطوير والتحسين حتى تمّ لهم في أوائل القرن الخامس عشر كتابةالكسور العُشْرية واكتشاف الفارزة بين الصحاح والكسور . وطوّروا النظام السِّتونيّ الذي استعملوه للحسابات الفلكية فكان عندهم منه بعد نهاية القرن العاشر الميلادي نظام سِتونيّ موحَّد بالحروف للصحاح والكسور .

ومن الغريب أنه مع كون ارقام العرب العَشَريّة دخلت اوربا منذ القَرن الثاني عشر (٦١) . ظلّ الأوربيون بعدها يستعملون نظامَ الترقيم الرومانيّ التكراريّ العقيم في اكثر حساباتهم ومعاملاتهم التجاريّة واليومية اكثر من اربعة قرون قبل ان يقتنعوا بأفضلية نظام الارقام العربية ، التي فرضت نفسها شيئا فشيئاً بعد ذلك . لسهولتها وطواعيتها لمختلِف الأعمال الحسابية (٦٢) .

ويُنسب الى كل من أديلارد اوف باث Adelard of Bath (كان حيّا : ١١٢٥) ، والى روبرت أوف جستر Robert of Chester (كان حيّا : ١١٤١) . والى يوحنا الإشبيلي John of Seville (ت : ١١٥٨) ، عملُ أول ترجمة لكتاب الخوارزمي في الحساب الهندي الى اللاتينية . وقد استُعمِلت تلك الترجمة كتابا دراسيّا ومرجعاً زمناً طويلا في اوربا ، وأصلها العربيّ مفقود . وقد نشر بونكومبا نيي Boncompagni (ت : نحو ١٨٧٠) طبعة للترجمة في روما سنة ١٨٥٧ (٦٣) .

وكان من تأثير كتاب الخوارزمي أن أطلق الأوربيون على علم الحساب اسمَ الكورِزْم algorism الذي أخذوه من اسـم الخوارزمي . وظلّوا

---

(٦١) انظر : نويكباور ــ العلوم المضبوطة ، ص ٤ .
(٦٢) انظر : طه باقر ــ مقدمة ، جـ١ ، ص ٣٣٦ .
و : جورج سارتون ــ المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٦٨ .
(٦٣) انظر : احمد سعيد الدمرداش ــ المصدر السابق ، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ .
و : دي.اي . سميث ــ المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٧٠ ، وص ٢٠٩ .

يستعملون هذه التسمية عدة قرون ، قبل ان يَحِل محلّها مصطلح أَرِثْمَتِكْ arithmetic أي مواءمة الأرقـــام . وكان يُطلَق في اوربا على الحاســبين بالأرقام العربية اســـمُ الخوارزميين algorists ، اما الحاســبون بالأرقام الرومانية ، وهم المحافظون الذين كانوا يستعملون المعداد ، فكانوا يُسَمَّوْن المِعداديين abacists ، وكان النصــر في الآخر للمجدِّدين الخوارزميين ، على نحو ما مرّ بيانه(٦٤) . ويستعمل الغربيون الآن مصطلح الكورِذم algorithm أي الخوارزمية للدلالة على طريقة في حلّ المسائل بعدد محدود من الخطوات .

وأخذ الأوربيون مصطلح (الصفر) من العرب بلفظه ، مع تحوير بسيط . فقد أصبح اسمه في اللاتينية المتوسطة ــ حتى القرن الخامس عشر ــ (زَفِرُم) zephirum ، وتحول بالايطالية والفرنسية والانكليزية الى (زيرو) zero بمعنى الصفر نفسه . وسمي أيضاً باللاتينية المتوسطة (صِفرا) cifra ، الذي اصبح في الفرنسية المتوسطة cifre وفي الانكليزية الحديثة (صِفَر) cipher بمعنى الصفر ايضاً . وقد اتخذ لفظ (صِفرا) cifra في الايطالية الحديثة معنى الرقم عموما ، وكذلك لفظ (شِفْر) chiffre الفرنسي ، و (تْصِفَر) ziffer الألماني ، المأخوذان منه (٦٥) .

---

(٦٤) انظر : د. جميل الملائكة ــ حالة اوربا العلمية قبل انتقال علوم العرب الرياضية والفيزيائية اليها ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٦ ، ص ٣٥ ــ ٥٩ .
وانظر :
George Sarton — Introduction to the History of Science, vol. 2., p.4, Baltimore, 1931.
وكذلك : زيگريدهونكة ــ شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ص ٧٥ ، بيروت ١٩٦٤ .

(٦٥) انظر : Webster's Ninth New Collegiate Dictionary — Springfield, Mass., U.S.A., 1983.
و : Langenscheidt's German-English-English German Dictionary, New York, 1959.

وقد انتقل من العرب الى الأوربيين النظام الستونيُّ الموَّحد ، كما انتقل اليهم النظام العَشَريُّ المطوَّر ، واستمرّ استعماله عند بعض فلكييهم ورياضيِّيهم حتى القَرن السادسَ عشر . ومن بين هؤلاء فرانسوا فييته Francois Viete (ت : نحو ١٥٨٠) ، الذي استعمل الستينيّ الموحَّد في بعض ما كتبه سنة ١٥٥٥م (٦٦) . وقد زال استعماله ايضاً بعد أن شاع النظامُ العَشَريُّ المطوَّر .

كانت هذه خلاصةً لأحدث المعلومات عن نشأة نظام الأرقام ، والإسهام العظيم الذي قدّمه العراقيون والعرب في تطويرها وإبلاغها حالَها الراهنة التي قُدِّمت بها الى العالم منذ أكثرَ من خمسة قرون ، والتي كانت وما زالت من أهمّ دعائم التقدم العلمي والرقيّ الحضاري بوجه عـام .

و :

Det Vries — French — English Science Dictionary, New York, 1940.

و : رياض جيد ـ القاموس الفريد : ايطالي ـ عربي ، بيروت ، ١٩٧٥ .

(٦٦) احمد سعيد الدمرداش ـ المصدر السـابق ، ص ٢٨٧ ، وص ٢٩٠ .

أبو المظفر الأبيوردي

شاعر العروبة في القرن الخامس الهجري

الدكتور جميل سعيد
(عضو المجمع)

مقدمـة

مات الأبيوردى ، العالم والأديب الشاعر ، بإصبهان سنة ٥٠٧ هـ . قال العماد الأصفهاني (١) : « الابيوردي تولى آخر عمره اشراف مملكة السلطان مكلشاه بتناوله السمّ ، وهو واقف عند سرير السلطان ، فخانته رجلاه ، فسقط ، وحمـل الى منزله » .

وقد سكت الذين تحدثوا عنه من القدماء ، عن تأريخ ولادته (٢) ، وفي الجزء الذي وصلنا من ديوانه ، وسمّاه « بالعراقيات » مدائح للخليفتين العباسيين اللذين عاصرهما ، وهما : المقتدى بأمر الله ، وقد توفي سنة ٤٨٧ هـ وولده المستظهر بالله ، وقد توفي سنة ٥١٢ هـ . وفيه مدائح لنظام الملك وزير السلاجقة المشهور ، ومديح لولديه الوزيرين عبد الله وأحمد ، ومديح لصدقة بن منصور بن دبيس ؛ امير الحلة ، ومديح للسطلان السلجوقي ملكشاه ولابنه السلطان محمد ، ومديح لبعض رجال العرب .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت ؛ ٢٣٨/٧ ، ومقدمة ديوانه ؛ ٢١/١ .

(٢) حدد ميلاده ناشر ديوانه ومحققه بسنة ٤٥٧هـ . وحددها ممدوح حقى بسنة ٤٣٩ في كتابه : الابيوردى ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي ط : اليقظة العربية بدمشق .

ونحن نرى من هذا أن الأبيوردي عاش شطر حياته الهامّ في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، واوائل القرن السادس ، وربما كانت ولادته في اواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري .

وسنتحدث بايجاز عن بعض ملامح عصره هذا .

عصـــره :

مات الأبيوردي مسموماً بإصبهان سنة ٥٠٧ ه بعد ان عاش نحواً من ستين عاماً .

وفي هذا العصر كانت البلادُ الاسلامية مضطربةً سياسياً واجتماعيا لقد وفد السلاجقة البدوُ من اواسط آسيا في اوائل القرن الخامس الهجري ، واستولوا على بلدان الخلافة العباسيّة في خراسان وفارس ، والعراق . وتأسست سلطنة السلاجقة العظام في بغداد في نحو منتصف القرن الخامس الهجري (سنة ٤٤٧) . وبلغت اوجَها في عهد السلطان الب ارسلان (٤٥٥ ـ٤٩٥هـ) وعهد ابنه ملكشاه (٤٦٥ـ٤٨٥هـ) وفي هذا العهد كان الابيوردي قد جاوز شبابَه الى كهولته . واختلف السلاجقة بينهم واقتتلوا ، وتفتّت دولتهم وتكونت منها دويلات كان اشهرها « سلاجقة الشام » .

اما الخليفة العباسي فلم تجاوزْ املاكه بغداد ، وسوادَ العراق وخوزستان . وكان حتى في رقعته الضيقة هذه مسلوب السلطان . اما مصرُ ، فكان فيها الفاطميون ، وكانت المنافسة بينهم وبين الخلفاء العباسيين شديدة .

كان الخلفاء العباسيون من مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ ه قد اصبح امرهم بيد الاتراك المتسلطين عليهم ؛ يبايعونهم ويعزلونهم ، وقد يسملون اعينهم او يقتلونهم اذا شاءوا .

يقول السيوطي (١) في احداث سنة ٤٨٤ هـ : « وفيها قدم السلطان ملكشاه بغداد ... ثم رَجَع الى اصبهان ، وعاد الى بغداد سنة خمس وثمانين عازماً على الشر ، فأرسل الى الخليفة المقتدي بأمر الله يقول : لابدّ ان تترك بغداد ، وتذهب الى أي بلد شئت فانزعج الخليفة وقال : أمهلني ولو شهراً ، قال : ولا ساعة واحدة . فأرسل الخايفة الى وزير السلطان يطلب المهلة الى عشرة ايام . فاتفق مرضُ السلطان وموتهُ » ويقول السيوطي : « وعُدّ ذلك كرامة للخليفة » ويقول : « وقيل إن الخليفة جعَل يصوم فإذا أفطر جلس على الرماد ، ودعا على ملكشاه فاستجاب الله دعاءه ، وذهب الى حيث ألقت .... » (٣) .

ويقول السيوطي عن ملكشاه هذا (٤) : « ولما مات كتمتْ زوجته تركان خاتون موته ، وارسلت الى الأمراء سِرّاً فاستحلفتهم لولده محمود ، وهو ابنُ خمس سنين ، فحلفوا له ، وأرسلت الى المقتدى أن يُسلْطِنَه فأجاب ، ولقّبه : ناصرَ الدنيا والدين » .

هذا هو الخليفة المقتدى بأمر الله ، الذي عاش الأبيوردي في ايامه وامتدحه بقصائد كثيرة يطلب من السلطان مهلة عشرة ايام يرحل بها عن بغداد فيجاب بهذا الجواب الفظ . ولا يجد الخليفةُ وسيلةً غير ان يصوم ويجلس على الرماد ويدعو عليه . ويموت السلطان وتبعث اليه زوجته تطلب سلطنة ابنها وله خمس سنين من العمر ، فيجيبها ، ويلقّبه « ناصر الدنيا والدين » .

وطبيعيٌ الا يصفوَ الملكُ لناصر الدنيا والدين هذا . لقد خرج عليه اخوه بركياروق بن ملكشاه ، وحارب أنصاره وغلبهم ، فقلّده الخليفة ايضاً ، ولقّبه « ركن الدين » (٥) .

(٣) تاريخ الخلفاء ، ص ٤٢٥ .
(٤) المصدر نفسه ؛ ص ٤٢٥ .
(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٤٢٦ .

وفي سنة ٤٩٢ هـ « خرج محمد بن ملكشاه ، وهو السلطان الذي سُقيَ الأبيوردي السمَّ في مجلسه ، على اخيه السلطان بركيا روق ، وكانت الحرب بينهما وانتصر محمد على اخيه ، فقلّده الخليفة ايضاً ، ولقّبه : « غياث الدنيا والدين » وخَطب له ببغداد . ثم جرت بينهما عدة وقعات . وقال : « وفي سنة ٤٩٧ وقع الصلح بين السلطان محمد وبركيا روق ، فأرسل الخليفة خلع السلطنة الى بركياروق ، واقيمت له الخطبة ببغداد » (٦) .

وفي سنة ٤٩٨ مات السلطان بركياروق فأقام الأمراء بعده ولده جلال الدولة ملكشاه ، وقلّده الخليفة وخطب له ببغداد وله دون الخمس سنين . قالوا : « فخرج عليه محمد واجتمعت الكلمة عليه ، فقلّده الخليفة وعاد الى اصبهان سلطاناً متمكنا ، كثير الجيوش » (٧) .

هذه هي حالة البلاد الإسلامية في المشرق ، حروب بين السلاطين لا تهدأ ولا تنقطع ، وليس للخليفة غير ان يُقرَّ المنتصرَ فيها ويلقبَه ويخلعَ عليه ، ويُخطب له (٨) .

وقد يعجب المرء ان يرى الخليفة ، وهو على حاله هذه من هوان السلاطين والأمراء تظـل له حرمتُه وقدسيّتُه . يقولون : إن يوسفَ بن تاشفين ؛ صاحبَ سبتة ومراكش ، أرسل الى الخليفة المقتدي بأمر الله يطلب ان يُسلطِنه وان يقلّده ما بيده من البلاد ، فبعث اليه الخليفةُ الخِلع والأعلامَ والتقليدَ ، ولقبّه بأمير المسلمين ، ففرح بذلك ، وسُرَّ به فقهاء المغرب .

وطبيعيٌّ ان يتبع هذه الحروب التي لا تهدأ ، والتي تتقلّب بين النصر والهزيمة حاجة الحكام الى المال . وقد يجرّهم هذا الى بيع الوظائف أو

(٦) المصدر نفسه ص ٤٢٩ .
(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٨) المصدر نفسه ص ٤٢٥ .

إسنادها بالرشوة لغير الأكفاء . وطبيعيٌّ الاّ يسير العمالُ والحكام السيرة العادلة مع الناس لأنهم يريدون ، استردادَ ما دفعوه رشوةً ثمناً للوظيفة ، يقول الأبيوردي (٩) في هذا :

ألكنى الى هذا الوزير وقـلْ لـه
لقـد صرعتْنا خِلفَةُ الدهر فانعَشِ
وراعِ – رعاكَ الله – احوالَ كوُفَنٍ
ونقِّر – هداكَ الله – عنّا وفتِّش
فعاملُنا يَزني ويَجنى ويَعتْـدى
وحاكمُنا يعلو ويُعـلى ويرْتِشـي

وقد تسند الوظيفة الى غير الأكفاء ، بسلوك طريق الواسطة ، والأبيوردي يشير ايضاً الى انه حُرِمَ الحصول على ما يريد ، لأنه يأنف سلوك هذه الطرق ، يقول (١٠) .

ولكنني أغضيتُ جَفني على القـذى
ولـم ارضَ إدراكَ العُلى بالوسائط

ويتبع هذا عادةً تغيّرٌ سريع في الوظائف الكبيرة ؛ كالوزارة مثلاً ، ومن هنا يعمد الوزيرُ الى سلب غايةِ ما يستطيع بأقصر ما يستطيع من الوقت ؛ لأنه لا يضمن البقاءَ الطويلَ . يقول ابن الأثير (١١) في احداث سنة ٤٩٣ : « في هذه السنة بيعَ رَحلُ بني جُهير ، ودورُهم بباب العامة ، ووصل ثمنُ ذلك الى مؤيد الملك » ومؤيد الملك هذا هو الوزير الذي كان الأبيوردي يلجأ اليه ويحتمي به . ويقول ابن الأثير : « ثم قُتلَ في سنة اربع وتسعين

(٩) ديوان الأبيوردي ٢/١٣٧ .
(١٠) الديوان نفسه ؛ ٢/٢٧ .
(١١) الكامل لابن الأثير ١٠/٣٣٧ .

مؤيدُ الملك وبيعَ مالُه وتركتُه ، وأخذَ الجميع الى الوزير الأعزّ » ويقول : « وقتل الوزيرُ الأعزُ هذه السنة . وبيع رحلُه . واقتُسمتْ اموالُه . وأخَذَ السلطان ومَن ولي بعده اكثرها ، وتفرّقت ايدي سبأ » ويقول في احداث(١٢) سنة ٥٠٠ هـ « وفي هذه السنة عُزِل الوزيرُ ابو القاسم عليُّ بنُ جُهير ، وزيرُ الخليفة ، فقَصَدَ دارَ سيفِ الدولة صدقةَ ببغــداد ملتجئاً اليها ، وكانت ملجأً لكل ملهوف .. » ويقول : « وامر الخليفةُ بنقض داره التي كانت بباب العامة » ويعقّب على هذا بقوله : « وفيها عبرةٌ ؛ لأن أبا نصر بنِ جُهيْر ، بناها بأنقاض املاك الناس ، وأَخَذَ بسببها اكثرَ ما دخل فيها ، فخرِبتْ عن قريب .. »

وفي هذه الحالة السياسية المضطربة ، اضطربت الحياة الإجتماعية ، فكثُرت السرقات ، وكثر تعدّي الناس على بعضهم البعض ، وفي ديوان الأبيوردي شكوى للوزير نظام الملك (١٣) يطلب فيها استعادة قُراه التي اغتصبها المغتصبون منه ، وهو يكرر هذا ؛ لأن الوزير لم يستعجل في اغاثته او اجابة طلبه . وزاد الحــالة الإجتماعية ســوءً ظهورُ دعــوة الباطنية . يقول السيوطي في احداث سنة (١٤) ٤٩٢ هـ : « انتشرت دعوة الباطنية باصبهان » ويقول في احداث سنة ٤٩٤ : « كثر امرُ الباطنية في العراق وقتلُهم الناس » ويقول : « واشتد الخطبُ بهم حتى كانت الأمراءُ يلبسون الدروع تحت ثيابهم » . ويقول ابن الإثير في احداث السنة نفسها(١٥) : « ثم إن الباطنية قتلوا نظام الملك . وهي اولُ قتلة مشهورةٍ كانت لهم ، وقالوا :

---

(١٢) المصدر نفسه ٤٣٨/١٠ .

(١٣) ديوان الابيوردى ٣٥٤/١ .

(١٤) تاريخ الخلفاء ؛ ص ٤٢٨ .

(١٥) الكامل لابن الأثير ٣١٣/١٠ .

قَتَلَ نجاراً فقتلناه به » ويقول (١٦) : « وفي هذه السنة امر السلطان بركياروق بقتل الباطنية ، وهم الذين كانوا قديماً يسمون قرامطة » .

★ ★ ★

هذه هذه حالة الخلافة في المشرق ، وزاد في هذا أنّ الخلفاءَ العباسيين كانوا على غير وفاق مع الفاطميين بمصر . يقول السيوطي في احداث سنة ٤٩٠ : «(١٧) قيل إن صاحب مصر ، لما رأى السلاجقة واستيلاءهم على الشام ، كاتَبَ الفِرنج يدعوهم الى المجيىء الى الشام ليملكوها ... » ويقول : « جاءت الفرنج فأخذوا نيقية ؛ وهي اول بلد اخذوه ، ووصلوا الى كفرطاب واستباحوا تلك النواحي ، فكان هذا اول الفرنج في الشام ..» ويقول ؛ في احداث سنة ٤٩٢ : « وفيها اخذ الفِرنج بيتَ المقدس ، بعد حصار شهر ونصف ، وقتلوا به اكثر من سبعين الفاً ، منهم جماعةٌ من العلماء والعبّاد والزهّاد ، وهدموا المشاهد ... وورد المستنفِرون الى بغداد فأوردوا كلاماً ابكى العيون ... وللأبيوردي في ذلك ... » ويذكر قصيدة للأبيوردي يحث بها الناسَ على نجدة إخوانهم المسلمين ، منها (١٨) :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم
فلم يبق منّا عَرْصَةٌ للمراحم

وشرُّ سلاح المرء دمعٌ يُفيضه
إذا الحرب شُبّت نارُها بالصوارم

فإيهاً بني الإسلام إن وراءَكم
وقائعَ يُلحقْن الذُرى بالمناسم

(١٦) الصفحة نفسها والمصدر نفسه .

(١٧) تاريخ الخلفاء ؛ ص ٤٢٧ وما بعدها .

(١٨) الديوان ١٥٦/٢ ، والقصيدة في اكثر من عشرين بيتاً .

وكيــف تنام العيــنُ ملءَ جفونها
على هَنَوات ٍ ايقظت كــلَّ نــائم
واخوانكــم بالشام يُضحى مَقيلُهم
ظهورَ المــذاكي أو بطــونَ القَشاعم

ويقول :

دعوناكم والحربُ ترنو مُلحَّةً
إلينا بألحاظ النُســور القَشــاعـــم
تُراقِبُ فينا غــارةً عربيّــةً
تُطيل عليهــا الرومُ عضَّ الأَباهم

في هذا العصر المضطرب عاش الأبيوردي ، ورأى الدولة الإسلامية في المشرق تعيش في فوضى . ورأى العربَ انسحبوا من ميدان الحكم والسياسة . وعندنا ان الأبيوردي كان يرى هذا كلَّه فيتحسَّر على الأيام التي حكم فيها العربُ هذه البلادَ ؛ في عهد اسلافه بني امية ، وكان يتوهـَم ويطمح ، وهو ابنهـُم ووريثـُهم . أن يـُعيد ايامـَهم . وهيهات هيهات !

وسنعني بحديثنا عنه بناحية واحدة ، هي تعلـّقه الشديد بالعرب والعروبة .

لقبه ونسبه :

كتب الأبيوردي نسبه في صدر ديوانه بقوله (١٩) : « قال فخرُ الرؤساء . جمالُ العرب . افضلُ الدولة ، اوحدُ العصر ، تاجُ خراسان ، ابو المظفـّر محمدُ بنُ ابي العبّاس ، احمدَ بنِ اسحاق بن ابي العباس الإمام ، وهو محمدُ بنُ اسحاق بنِ حسن ، وهو ابو الفتيان بنُ ابي مرفوعة ، واسمـُه منصورُ بن معاوية الأصغر ابنُ محمد بن ابي العباس . وهو عثمانُ بنُ عنبسة

(١٩) ديوان الأبيوردى ؛ ١/٩٧ .

ابنِ عتبة بنِ عثمان بنِ عنبسة بن ابي سفيان ... » وتحدّث ياقوت (٢٠) عن « محمد بن احمد الأبيوردي الكُوفَني » ونقل سلسلة نسبه هذه ، مع بعض « إضافات فيها ، واكمل نسبه بـ : صخرِ بنِ حرب بن اميّة بنِ عبدشمس بن عبد مناف ، وقال : نقلتُ هذه النسبةَ من تاريخ جمعه منوجهر بنُ اسفر سيان بنِ منو جهر ... فقال فيه : « حُكى أنه كان من أبيورد ، ولم يُعرف له هذا النسب ، وأنه كان ببغداد في خدمةِ مؤيد الملك ابن نظام الملك ، فلما عادى مؤيد الملك عميدَ الدولة بنَ جُهير الزمه ان يهجوَه ففعل . فسعى عميدُ الدولة الى الخليفة ، بأنه قد هجاك ومدح صاحبَ مصر ، فأبيحَ دمُه ، فهربَ الى همذان ، واختلَق هذا النسب حتى ذهب عنه ماعُرِف به ... »

ويذكر ياقوت هذا ولا يعلّق عليه . ولكننا لا نرى في ديوان الشاعر ما يشير الى مديحه لصاحب مصر . على حين نرى فيه قصيدةً يكتبها لبعض بني امية في الأندلس (٢١) ، يستحثه فيها على استردادِ دولتِهم الأموية في المشرق . ولا نرى في ديوانه اشارةً الى هذه التهمة التي نسبها اليه مُنو جهر بنُ اسفر سيان . والذي رأيناه في ديوانه : ان الخليفة يكتب اليه يطلُبُ عودتَه الى بغداد (٢٢) ، وانه ردّ برسالة (٢٣) طويلة بيّن فيها : أنه إنما ترك بغداد خوفاً من السعايات به . ولا نراه حين يمتدح خلفاء بني العبّاس يُشير الى اصحاب مصر من قريب أو بعيد كذلك .

وعندنا ان لو شاء الأبيوردي أو الكوفَني أن يختلقَ لنفسه نسباً ، وهو العالم النّسابة ، لاختلقه في غير النسبة الى معاوية او الى بني اميّة .

---

(٢٠) معجم الأدباء ؛ ٢٣٧/١٧ .
(٢١) ديوان الأبيوردى ؛ ٤٥٧/١ .
(٢٢) الديوان ٣٣٩/١ .
(٢٣) معجم الأدباء ـ لياقوت ؛ ٢٣٦/١٧ .

إنه يعرف كُره أهلِ خراسان لبني امية ، وكُره بني العبّاس لبني أميّة ايضاً . ويعرف ، وهو العالم الأديب ، ان الشاعر ابا نواس ، وهو من اوجع الشعراء هجاءً ، أذ يعرف كيف « يضع الهِناءَ مواضع النُقَب » كما تقول العرب ، يهجو كاتب الأمين الخليفةِ ، اسماعيل بن صُبيح ، فلا يرى اوجَع له من أن يتهمه بالولاء لبني أميّة . ويقول فيه . وكأنه يخاطبه :

وإن ذُكر الجعديُّ أَذْريتَ عَبرةً
وقلتَ : أدال اللهُ من كلّ ظالم (٢٤)

ويقول ياقوت عن الأبيوردي (٢٥) : « وكتب مرة قصة الى الخليفة وكتب على رأسها : الخادمَ المعاويّ » وهو اللقبُ الذي يُلَقِّب به الأبيوردي نفسه . قال ياقوت : « فكره الخليفة النسبة الى معاوية ، واستبشعها . فأمر بكشط الميم وردّ القِصة فبقيت : الخادمَ العاوي » .

وبعد ، أترانا نأخذ بقول ابنِ اسفر سيان في أن الأبيوردي قد اختلق هذا النسبَ الذي يصلُ به الى معاوية وعبدِ شمس ، مع أن الكثير من مدائحه كانت في الخليفتين العباسيين : المقتدى بأمر الله والمستظهرِ بالله . وهما الخليفتان اللذان عاصرهما في حياته . وهو النسّابة العارف بوقع الأمويين من نفوس العباسيين ! ؟

إن الأبيوردي يكرّر نسبته ونسبةَ ذويه الى معاوية . والى عبد شمس . يقول مفتخراً :

انا المعاويّ أعمامي خلائفُ مِن
أبناءِ عدنانَ والأخوالُ مِن سبأ

(٢٤) ديوان ابى نواس ؛ ص ١٤٠ .
ط : الحلبى بمصر سنة ١٣٢٢هـ .
(٢٥) معجم البلدان ؛ ٣٤٢/٦

فما لجـدّيّ ولا لي في العُـلى شبهٌ
وأين شِبهُ أبي سُفيان فـي المـلأ

ويقول :

فكم أَغُضّ ناظـري على قـذىً
وتنطوي ترائبـي عـلى جـَوى
في عُصَبٍ يُضني الكريـمَ قربُهم
وشـرٌ ادوائك مـافيـه الضنـى
وقد رما نـي نكَـدُ الدهـرِ بهم
ومـا درى ايَّ معـاويٍّ رمـى

ويقول :

يـامن يسـاجلني وليس بمـدركٍ
شأويَ ، وأين له جـلالةُ منصبي !؟
المجـدُ يعلـم ايُّـنـا خيرٌ أباً
فـاسألْـه تعلـمْ ايَّ ذي حسبٍ أبي
جَـدّي معاويّـة الأغرُّ سمتْ بـه
جُرثومـةٌ من طينهـا خُـلِـقَ النبـي
وورثتُـه شرفاً رفعتُ منـارَه
فبنـو اميَّـة يفخرون بـه وبي

ويمدح اسرته ، فيقول :

ونحن معاويّـون يرضـى بنـا الورى
ملـوكاً ، وفينـا مِن لؤيٍّ لواؤهـا
ومـا بلغت إلاّ بنـا العربُ العُـلى
وقد كان منـا عزُّهـا وثراؤهـا

اسرته وموطنه وثقافته :

مرَّ بنا حديث ياقوت عن محمد بنِ أحمد الأبيوردي الكُوفَني» ومعلومٌ أن الشاعر محمدَ بنَ احمد هذا ، قد شُهر بالأبيوردي . والأبيوردي : نسبة الى ابيورد من أعمال خراسان . ويقول السمعاني : إنه وُلد بقرية كوُفَن ، القريبة من ابيورد ، وإنه لهذا السبب يُعرف بالكُوفَني (٢٦) . وكوُفَن هذه كما يقول ياقوت : « (٢٧) بليدة صغيرة بخراسان على ستة فراسخ من أبيورد . وقد قال ياقوت في حديثه عنها : ومنها ابو المظفّر محمد بن احمد الأبيوردي . . . . » وذهب الى أن اولَ من بناها عبدُالله بن طاهر في أيام المأمون .

ومع شُهرة الشاعر بالأبيوردي ، فإننا لا نراه يذكر هذه النسبة لنفسه في شعره ، ولا نراه يذكر « اباورد » أو « باورد » ولا يشير اليها ، في شعره ايضاً . على حين نراه يذكر « كوُفَن » هذه ويتشوّق اليها ، كلما حزبته الغربة في أسفاره . يقول (٢٨) :

سقياً لكوُفَنَ من أرض إذا ذُكرتْ
هاجتْ على عُدَواءِ الدارِ أشواقا
يطيب عِرقُ الثرى فيها بكل فتىً
من أُسرتي طابَ أعراقاً وأخلاقا
لوى معاويةُ ابنُ الأكرمين أباً
منهم الى المجد أبصاراً وأعناقا

نشأ الأبيوردي في كُوفَن من اسرة عربية امويّة محترمة . يقول ياقوت :

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية ؛ ١/٤٢٢ .
(٢٧) معجم البلدان ؛ ٦/٣٤٢ .
(٢٨) ديوانه ؛ ٢/٧٥ وانظر ص ٧٩ ، ٨٤ .

« إنّ معاويةَ الأصغرَ – وهو الذي ينتسب اليه الشاعرُ الأبيوردي ، اوّلُ مَنْ تديَّر كُوفَن . وان أولَ من نصب المنبرَ فيها عبدُالله بنُ الحسين ابن ِ معاوية ، وانّ عمّ الأبيوردي ، ابا علي الحسنَ بنَ محمد بن ِ احمد بن ِ اسحاق كانت له الخطابةُ فيه . يستنيب فيها من يختاره ؛ قال : « وربّما تولاّها بنفسه في الأعياد والأشهر الحرم » . ولا يخفى ما للخطابة عند المسلمين من اهميّة اذ فيها الإشارةُ الشرعيّةُ لتولى اولى الأمر مقاليد الرئاسة في الحكم ، واقرار الناس لهم فيها بدعاء الخطيب . ومعلومٌ ان الخليفة كان هو الذي يأمر بهذا .

اما ابوه ابو العباس احمد ، فكان سيّداً كريماً مهيباً ، يملك الضياع والقرى (٢٩) . ويصفه الأبيوردي بأنه ربُّ قلم وسيف ، ومثوى وفود ، ومقرّ ضُيوف ، وان الرياسةَ جاءته بعد انقسام بين أهل البلد ، وأن المتخاصمين ارتضوه رئيساً ، فأقرّ نافرة القلوب ، كما يقول الأبيوردي وضمن العدل والطمأنينة للضعفاء ، اذ رأى فيه الأقوياء ما يكبح جماحَهم . يقول من قصيدة (٣٠) .

مدّتْ هواديها الرياسةُ نحوه
في حادث يلدُ الشقاق مخوف ِ
فاقرّ نافرةَ القلوب فلم يبتْ
اسدٌ يُجيل الطرفَ نحو غريف
ضمن الحياة لمعتفيه يراعُه
ورمى العداةَ حُسامُه بحتوف

(٢٩) في ديوان الأبيوردى قصيدة يمدحه فيها ، وفي ديباجتها : يستبطئه ما كان وعده باستخلاص ضياعه بكوفن ، وقريته بنسا ١/٦٠٦ . وفي الديوان : يمدح نظام الملك ... وكان وعده باستخلاص قريته المدعوة جاورس من اعمال نسا ، وردّها اليه ؛ ١/٣٥٤ .

(٣٠) الديوان ؛ ١/٦٥١ .

أمّا امه فكانت من اشراف العجم ، يقول مفتخراً (*)

ولي دوحةٌ فـوق السماوات فرعـُها
وتحتَ قرارِ الأرض من عِرقها شُعَبْ

فخالي رفيع السَّمْكِ في العُجم بيتُه
وعمي له جُرثومةُ المجـد في العَرَبْ

وفي ديوانه قصيدة طويلة (٣١) بعنوان : « وكتب الى بعض اخواله من سروات العجم » .

ومع ان حياة الأبيوردي لم تكن بالقصيرة ، وتجوالَه وتنقّلَه في البلدان ليس بالقليل ، وصلتَه بالخلفاءِ والوزراء والسلاطين والأمراء ، وغيرهم من كبار رجال الدولة في عصره ، ليست بالقليلة ولا بالمجهولة ؛ مع هذا فإنَّ ما وصلنا مما دوّنه المؤرخون عنه ، لايكاد يسعف بالتفصيل لنواح كثيرة من ترجمته . فنحن مثلا لا نعرف عن اسرته اكثر مما بينا عن ابيه .

لعلَّ اوسعَ ترجمةٍ له تلك التي اوردها ياقوتُ في معجمه ، معجم(٣٢) الأدباء وقد كتب فيها الكثير من اشعار الأبيوردي ، ونقل فيها مما كتبه عنه السابقون ؛ نقل عن منوجهر بنِ اسفرسيان ، وابنِ منْده ، والسمعاني ، والعمادِ الأصفهاني وابنِ طاهر المقدسي ، وابنِ التعاويذي ، وابن الخشّاب ، وغيرهم ....

وكان اهم من هذه الترجمة عندنا ما أورده الأبيوردي عن نفسه في ديوانه (٣٣) الذي جمعه بنفسه . والذي وصلنا نسخٌ منه ، وهو عمدتنا الأولى في الحديث عن الأبيوردي .

(*) الديوان ؛ ١٢٦/٢ .

(٣١) الديوان ؛ ٦٢٩/١ .

(٣٢) معجم الأدباء ؛ ٣٤١/٦ ــ ٣٥٨ .

(٣٣) حقّق الديوان ، على نسخ خطية كثيرة ، تحقيقاً جيداً ، ونشره بجزءين كبيرين الدكتور عمر الأسعد ، وطبعه بدمشق سنة ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م .

ثقافتـه :

مرَّبنا ان الأبيوردي من اسرة لها مكانتُها الإجتماعية ، إذ كان احدُ حدودِه هو اولَ من تديَّر القصبة ؛ كوفَن ، واحدُهُم اولَ من بنى فيها المنبرَ ، وعمُّه كانت اليه الخطابة ، وابوه سيدٌ كريمٌ مهيب ، له الرياسةُ والفضلُ ، ويَملك الضياعَ والقُرى .. وعندنا ألاَّعجبَ بعد هذا ان يوجَّه الأبيوردي من صِغره الى الدراسة والتعلُّم . وقد ذكرتْ المراجعُ التي تحدَّثت عنه طائفةٌ غيرَ قليلةٍ من الشيوخ الأعلام ، الذين درس عليهم ، ولعلَّ اهمَهم ؛ مما يتصل بموضوعنا الذي سنتحدث عنه : الشيخُ ابو بكر عبدُالقاهر الجرجاني النحويّ ؛ صاحب كتابي : « دلائل الإعجاز » «واسرار البلاغة» . وأَهميةُ الرجل عندنا في أنه كان فريداً في ذوْقِه للأدب ونقده له . وكان من الذاهبين الى التعمّقِ بدراسةِ اللغة العربية ، الى الدرجة التي توصِلُ بذوق الدارس الى إدراكِ الإعجاز في القرآن الكريم . وقد ذهب برأيه هذا الى القول بأن ايمانَ المسلم لا يكون كاملاً إلا اذا وَصَلَ الى هذه الغاية ، وإلاّ فإنه يكون مُسلماً بالتقليد ، وفي هذا لا يكون ايمانُه عميقاً عمق الذي الذي يُدركُ الإعجازَ بنفسه . وكان يرى ان دراسةَ الشعر العربي ، والتنبّهَ الى مواطن الجمال فيه ، تكون الوسيلةَ الأولى لإيصال صاحبها الى ادراك الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم . ويبدو لنا أنّ الشاعر الأبيوردي قد تأثر في مقدّمته لديوان شعره ، فيما كتبه عن الشعر بما قاله عبدُالقاهر الجرجانيُّ عن الشعر في كتابه دلائل الإعجاز . وأنَّه استفاد من توجيهات الجرجاني فيما نراه في ديوانه من تعمّق في اللغة ، واطّلاع على اساليب الشعراء ومعانيهم .



كان الأبيوردي متعدّدَ نواحي الثقافة ، وربما ، كان الشعرُ آخرَ ما التفتَ اليه مترجموه . يبدأ ياقوتُ الحديثَ عنه ، بقوله : « هو احدُ قرّاء ابيورد » ويقول عنه : كان إماماً في كل فَن من العلوم ، عارفاً باللغة والنحو ، والنسب والأخبار ، ويدُه باسطةٌ في البلاغة والإنشاء ، وله تصانيفُ في جميع ذلك . وقال : « وله في اللغة مصنّفات ما سُبق اليها » وقال : وشعرُه سائرٌ مشهور . وكان راويةٌ للحديث ؛ نَقلَ عنه الحُفّاظ الأثبات الثِقات . ويقول في علمه : « أوحدُ عصره ، وفريدُ دهره في معرفةِ اللغة ، والأنساب ، وغير ذلك » ويقول : وكأنه يَضيق بتعداد ما للأبيوردي مما يتصل بالعلم والثقافة ؛ يقول : واليقُ ما وُصِفَ به بيتُ ابي العلاء المعرّي :

وإني وإنْ كنت الأخيرَ زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وذكر له ياقوت ثلاثة عشر كتاباً (٣٤) ، واوصلها غيرُه الى ثمانية عشر . ونأسف أن نقول : إن كتبَه هذه ضاعت ، ولم تصلنا الا اسماؤها ، باستثناء كتابين هما : المختلف والمؤتلف . وزادُ الرفاق .

وهكذا نرى الأبيورديَ يتحدَّث عنه الأقدمون : قارئاً ، عالماً ، باللغة والأنساب . وفي كتاب مختصر التأريخ لابن الكازروني ؛ من رجال القرن السابع الهجري (٣٥) . يتحدَّث الكاتب عن الخليفتين العباسيين : المقتدى بأمر الله ، والمستظهر بالله . وهما اللذان عاصرهما ومدحهما الأبيوردي ، فيختم حديثه عن الأول بقوله (٣٦) : « وشاعراه : ابن الهبّارية وابن

(٣٤) تنظر اسماء هذه الكتب في مقدمة ديوان الأبيوردى ؛ ١٧/١ وقد تفضل محقق الديوان فكتب له مقدمة وجيزة ، من ص ٩ — ٢١ ، وهى على ايجازها مما لا يستغنى عن الاطلاع عليها لدراسة الابيوردى .

(٣٥) نشره المرحوم الاستاذ الدكتور مصطفى جواد .

(٣٦) انظر ص ٢١٤ وما بعدها .

صُرَّدر » ويختم حديثه عن الثاني ، بقوله : « وشعراؤه : ابنُ افلح وابنُ النقاش ، وزيدان » ولا تراه يشير الى الأبيوردي مع هذا ، ولا مع هذا .

وعلى هذا ، فلوقلنا : إن اقلّ بضاعة الأبيوردي عندهم هي الشعر لما بعدنا .

وقد نعلّل اغفالهم في الإشارة اليه بين الشعراء ، مع ان ياقوت قال : وشعره سائر مشهور ، بأن الشعراء كانوا يتخذون الشعر مهنةً او حرفةً يتكسّبون بها ، بمدحهم لرجال الدولة وعليةِ القوم . وهم ينشئون هذا المديح ، ويتقاضون عليه الأجر ، الذي يكون وسيلة عيشهم ، والأبيوردي لم يكن كذلك . فنحن لا نراه يشير في ديوانه الذي جمعه بنفسه ، ولا نرى مؤرخيه يُشيرون الى انه اعطي على القصيدة الفلانية كذا من المال مثلاً ، او كذا من الضِّياع او الخِلَع ... كما نرى هذا عند الكثير من الشعراء .

شعره :

يقع ديوان الأبيوردي الذي وصلنا ، وكان كتبه بنفسه ، في ستة الاف بيت ، في قسمين ! سمّى احدَهما : « العراقيات » وهو يحتوي على خمسة آلاف بيت ، وسمّى الثاني : « النجديات » وهو يحتوي على الف بيت .

وقسمُ « العراقيات » يشتمل على حياة الأبيوردي ؛ فيه مدائحهُ للخلفاء والأمراءِ والوزراءِ والسلاطين ، وللأصدقاءِ من رجال العرب وغيرهِم .
« اما النجديات » فكان له حنين الى نجد والحجاز ، وما يتعلق بهما من النساء ، والبلدان والنبات والرياح ... وكلّ شيء فيهما . فيه الغزلُ الذي يُشبه غزل الشريف الرضيّ في حجازياته ، وفيه ذكرياتٌ وحنينٌ لما في الحجاز ونجد يشبه حنينَ الشعراء الصوفيّة ،في شوقهم الى الحجاز ، والى اماكنَ خاصةٍ فيه .

ومع أنه قال عن عراقياته انها : « تهيـّأ نظمـُها بأقطار الجيل والعراق » فإنه لـم يشر الى مكانِ نظم نجدياته . قال – بعـد حديثه عن العراقيات – : « واما ما سمح به الخاطر حين ولـّتني الأربعون اذنابها ، او بـَدَرَ به إذا متحت الخمسة الأعقدَ ، واظـّلتني واضحةُ القتيرِ ، وعلتني ابـّههُ الكبير (٣٧) ..» فتراه يبين انه نظمها بعد أن جاوز الأربعـَينَ او جاوزَ الخمسين . وقال : « (٣٨) إن صاحبيَّ ابا حـَنـَشٍ هـُذَيماً العـُليميّ ، من كلبِ بنِ وبرة ، وابا المغوارِ سعداً المضريَّ ؛ من كنانة بنِ خزيمة ، كانا يرتاحان للنسيب الرقيق .... فسألاني – ان أنظـِمَ في ذلك ما أنتهجُ به هذه المسالك ... ولم اجدْ بـُداً من تحقيق آمالهمـا .. وهـذه الفُ بيتٍ في النسـيب وسـَمـْناها « بالنجديات . وهما اوّل من نشرها من الرواة ... »

ومع انه قال عن نجدياته هذه إنه نـَظـَمها بعد أن جاوز الأربعين ، فإننا نرى فيها حرارةَ الشبابِ وقوةَ العاطفة ، ونراها مما ينظـِمـُه الشعراءُ قبلَ أن يكونوا في هذه السن من العـُمر التي اشار اليها ، ينظـِمونها حين تكون عاطفةُ الحب والعشق حادّة قويّة .. ونقول : لعلـّه جمـَع نجديـّاته هذه استجابةً لصديقيه اللذين قال إنهما اولُ من اذاعها ؛ ونحن نذهب الى هذا ؛ لأننا نرى الأبيوردي قد تعلـّق بنجد في اشعاره التي سمـّاها بالعراقيات ، والتي كانت اسبقَ من النجديات في نظمها كما قال . إننا نراه يستهلُ غزله بالمديح في الحديث عن نجدٍ وعن اهله ، وعن ذكرياته وشوقـه ، ونرى هذا يكون في الكثير مما دوّنه في « العراقيات » . أتراه يجعلُ حديثه في مقدّمة قصائدهِ عن نجدٍ وعن حبـّه لأهلها ، ليستثيرَ به عواطفـَه ، وليكون هذا معيناً له على نظمِ الشعر والتجويد فيه ؟ وإلاّ ما شأنُ نجدٍ ونـَعمانَ ، وحـَضَن ، في الحديث عن استخلاص ضيعة مغصوبة

(٣٧) الديوان ؛ ٩٦/١ .
(٣٨) الديوان ؛ ص ١٧٠/٢ وما بعدها .

في جاورس بخراسان ، بقصيدة يقولها للوزير نظام الملك ؟! إننا نذهب الى أنه عاش بنجد واحبّها واحب اهلها ، وسنتحدّث هذا فيما يأتي من الصفحات إن شاء الله .

وكما قال عن « نجدياته » إنه جمعها استجابةً لصاحبيه ، فإنه كذلك قال عن عراقياته : « ثم إنَّ بعضَ الطارئين من بلادِ المغربِ ، أنشدني :

وفتيان صِدقٍ يصــدُرون عــن الوغى
وايدي المنايــا داميات الأَظــافــر
وحاجتُهم احــدى اثنتين مــن العُلا
صدورُ العَوالي أو فروعُ المنابــر

وسألني عن قائلهما ، فأعلمتُه أنهما لي من قصيدةٍ يكثر عددُ ابياتِها ، وهي موجودةٌ عند رواتها ، فكلّفني الإخوانُ أن أَجمعَ شُذانه .. »

وقدَّم الأبيوردي لديوانه مقدَّمةً حسنةً في الشعر ، وفي قوله ، وهي عندنا قريبةٌ مما قاله استاذُه عبدُالقاهر الجرجاني في حديثه عن الشعر في كتابه دلائل الإعجاز ، ذكر فيها حديثَ الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلم : إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكما ، وقال : قال الشعبي كان ابو بكر شاعراً وكان عمرُ شاعراً وكان عليٌّ اشعرَ الثلاثة رضي الله عنهم .. وذكر اقوالاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في نقد الشعر ، وذكر قول معاوية لعبدالرحمن بن الحكم في وصّيته بالمديح والهجاء .. ويبدو أن الأبيوردي كان في اوّلِ مقدمته يريد أن ألا بأس عليه ــ وهو العالم ــ بنظم الشعر وفي آخرها ، أراد ان يُشيدَ بمعاوية بنِ ابي سفيان ، ويبينَ أَنه آخذٌ بوصيته في شعره .

اسفاره :

اشار الأبيوردي الى أنه نظَم شعرَه ، الذي سمّاه العراقيات في اقطار

الجبل والعراق . أمّا ما وَسَمَه « بالنجديات » فلم يشر الى أماكن نظمه . وننظر في النجديات هذه ، فنراها كلّها حديثاً عن الحب ، وعن كلٍّ ما يتعلّق ببلادِ العرب . ونحن نرجّح أن الأبيوردي امضى فترةً من شبابه في بلاد العرب ، ايام كانت عواطفها في ثورتها وتهيؤها للحب والعشق .

والأبيوردي – كما يعرض حياته في ديوانه ، كان جوّابة آفاق ، كثير التنقّل من بلد الى بلد ، ومن اقليم الى اقليم ، يقول عن نفسه في قصيدة يكتبها لبعض بني جمح في الحجاز (٣٩) :

أما وحبّيكِ هذا منتهى حَلَفي
ليظهرَنَّ الذي اخفيه من شغفي
وفي الجوانح حبٌ لايُغيّره
صدُّ الملوك وبُعد النيّة القَذَف
وما الحبيب – وما اعني سواكِ به –
ممن يقِلُّ عليه في النوى أسفي

ومنها :

ووقفةٍ لم اقلْ فيها على وجل
للدمع من حذري عينَ الرقيب قِفِ
والعامرية تسقي الوردَ مُجهشةً
بنرجس من سِجال الدمع مغترِف
تقول : حتّام لاتَلوي على وطن
وكم تعذّب جسماً بادي التَّرف
وكم تَشيم بروقاً غيرَ صادقة
والآلُ ليس بما يُروي صداكَ يفي

(٣٩) الديوان ؛ ٦٦٤/١ .

فاستبق نفسك لايودِ السفار بهـا
فهي الحُشاشة من مجد ومن شرف

ويقول : وكأنه يردّ عليها :

يا اختَ سعدٍ ، وسعدٌ خيرُ من جذبت
الى العلا ضَبعَه الأَشياخُ من حَذَف
كُفّي وَغاكِ فما عـودي بمُهتصر
وإن أرابك ما تَلْقين من عَجَفي
وإن تغرّبت لـم افزع الى وَكِلٍ
ولم يكن من صَرى الأمواه مُرتَشَفي

ويقول في اسفاره التي انهكت إبله لطولها ، ولكثْرتها : (٤٠)

خليليَّ مَسَّ المطايا لَغَبْ
وألوى بأشياحهنَّ الدأبْ
وإني وإن انكرتني البـلا
دُ وشيبَ رضى اهلِها بالغَضَبْ
لكالضَّيغم الوردِ كاد الهوا
نُ يدِبُّ الى غابه فاغتربْ

ويقول راداً على من عيَّره غربته بأرضهم ، بأنه سيظلّ دائباً على الترحال مادام عليه رداءُ شبابِه القشيبُ ، وهمتهُ التي لاترضى بالبقاء على الهوان ، يقول (٤١) :

نأى عامِرٌ ، لاقـرَّب الله دارَه
وآواه رَبـعٌ بالغُميْرِ جَديب

(٤٠) الديوان ؛ ٢/٥ .
(٤١) الديوان ؛ ٢/٨ .

يُعيّرني أَني غريب بأرضه
أجَلْ انا في هذا الأنام غريب
سأطلب عزّ الدهر مادام ضافياً
عليّ رداءٌ للشباب قشيب
ولي همة تأبى مقامي على الأذى
ضجيعَ الهَوينى ما أَقام عسيب

ويقول ، وكأنه يهدّد اعداءه اللؤماء ، الذين لايعلمون له إقامة في مكان ، ولا يدرون من ايّ مكان سيصولُ عليهم (٤٢) .

انا مَن عرفتِ ، وبعد يومهم غدٌ
وعليّ بِزّةُ أَجدلٍ غِطريف
لايعلم اللؤماء اين معرّسي
وبأي وادٍ مَرْبَعي ومَصيفي

ويعاتبه عمرو صاحبه على السير والسُرى ، فيردّ عليه ، بأنه انما يروم المعالي بتطوافه ، ويفخر بأنه حَسَنُ الهداية في السير ، وانه لايحتاج لضوء النهار ليجد طريقَه في السير ، ولايحتاج الى النجم ليهتدي به في السُرى ، يقول (٤٣) :

وعاتبني عمرو على السير والسُرى
ولم يدر أني للمعالي اطوّف
وما الصقر يستذكي الطَوى لحَظَاته
بأصدق منيّ نظرةً حين يخطِفُ
واهزأ بالأنوار والصبحُ طالعٌ
ولا أَهتدي بالنجم والليل مُسدِفُ

(٤٢) الديوان ؛ ١/٦٥١ .

(٤٣) الديوان ؛ ١/٤٣٤ .

وقد تحزبُه الغربة في اسفـاره فيتشوّق الى بلده كُـوفَن ، ويدعو لها ، على نحو ما يدعو العرب لأوطانهم ، بالسُقيا ، يقول (٤٤)

سقى الله رملي كُوفَـنٍ صيِّبَ الحَيَا
ولا برحـا مُستَـنَّ راعٍ ورائـد
ولي أدمـعٌ إن أمسكَ المزنُ درَّه
كفلـن بصـوبِ البارقـات الرواعد
فقـد أَوْطنتهـَا من أُميـة عصبـةٌ
غُـذوا بالمعـالي في حجـور المحامد

ويقول : (٤٥)

سقياً لكُـوفَـن من ارضٍ اذا ذُكرتْ
هاجتْ على عُـدواء الدار أشـواقا
يطيب عـرقُ الثرى منهـا بكلّ فتىً
من أُسرتي طـاب أعراقـاً وأَخلاقا

وقد يتشوق الى امه ، ويتذكر قلقها عليه ، وسؤالها عنه في غربته بعد ان عاد المسافرون من العراق ، ولم يعد معهم الى بلده ، يقول (٤٦)

ومُشبلةٍ شَمطاءَ تبكي من النَّـوى
وقد غيَّبت عن غابهـا أَسَـداً وَردا
وتحت حبـاب الدمع عينٌ رويَّــة
من الدمّ ، والأحشاءُ مُضمرةٌ وجدا

---

(٤٤) الديوان ؛ ٢/١١٠ .
(٤٥) الديوان ؛ ٢/٧٥ .
(٤٦) الديوان ؛ ٢/١١ .

إذا طرق الركبُ العراقيُّ ارضَهــا
بحيث تُظِـلُّ السُّمرُ مُقرَبَـةً جُردا
ويحمِـي ذِمارَ الجـار كلُّ ابنِ حُـرَّةٍ
يكاد من الإكرام يوطِئُـه خـدا
تولتْ بقلب يســتطير شــرارُه
إذا قدحتْ ايدي الهموم به زَنْدا
وقالت نساءُ الحيّ : أَين ابن أُختنا
الا خبِّرونا عنـه ، حُيِيتمُ وفـدا
رعاهُ ضمانُ الله ، هـل في بلادكم
اخو كرمٍ يرعى لذي حَسَبٍ عهدا
فإن الذي خلَّفتموه بأرضـكم
فتىً ، مَن رأى آباءه ذكر المجـدا

وفي ديوانه كثير من الابيات التي يشير فيها الى اسفاره ، ولا سيما ما يتعلق منها بنجد والحجاز . وعجب عندنا الايشير مترجمو حياتِه الى شيءٍ ، من اسفاره فيما اطلعنا عليه من مراجع لدراسته .

الابيوردى في بغــداد :

قال الأبيوردي . في مقدمة ديوانه « العراقيات » في حديثه عن الشعر : « وقد كنت اعبث به في عُنفوان الصبّا والذرع خليْ والبال (٤٧) رخيّ ، وعندي عُفافة ثروةٍ اسأرتها الأيام (٤٨) ، وأورثنيها الآباء والأعمام ، فما حداني الطمع على تقريـظ أحد ولا دعاني الى امتراء (٤٩) النُعمى من يد »

(٤٧) خالى الذرع : قلبه خال من الحزن .
(٤٨) العفافة : بقية اللبن في الضرع ، وهى هنا بقية المال . اسأرتها : أبقتها .
(٤٩) امتراء النعمى : استدرارها .

وقال : « ولكن الخلفاء رعوا فيَّ حرمةَ النسب ، وتوفَّر الوزراء على ايجاب حقي ، محاماة على ذِمام الأدب ولم اعتضد بهم إلا في استخلاص ضيعةٍ مغصوبة ، ولا قرعتُ ابوابَهم لاستفادة عارفة (٥٠) مطلوبة ، فأزرتهم مِدحاً مستنيرة ، واهديت اليهم كلماً حبيرة (٥١) ، ولم اسألهم نوالاً ، ولا رزأتُهم مالاً . . . » ويقول : « قال معاويةُ لعبد الرحمن بن الحكم : المِدَحُ طُعمة الوَقاح . . . والهجاء يستيثر عليك اللئيم ، وقد لهجتَ بالشعر فانشرْبه مناقبَ قومِك ، وإن اجئتَ الى المدح فقلْه ، كما قال الكنديّ(*) .

وحططتُ رحَلي في بني ثُعَلٍ
ان الكِرام للكريم محلُّ »

★ ★ ★

ونرى من مقدمته هذه أَن اباءَه خلَّفوا له مايكفيه من ان يحتاج الى احد ، وأَنه إِنما قال الشعرَ ؛ لأنه كلف به ، وأنَّه لم يتخذه حرفةً يكتسب العيش بها ، شأن غيره من الشعراء ، وانه أَخذ بتوصية معاوية بن ابي سفيان في شعره ، فلم يتخذ المديح طعمة ؛ وانما سار به سير الكنديّ امرئ القيس ابن حُجرْ ، ولم يعمد الى هجاء يستيثر به اللئيم عليه ، وأنه اتخذ الشعر وسيلة لنشر مناقب قومه ، يقول : (٥٢)

ولم أَنظِم الشعرَ عُجْباً بــه
ولم امــتدح احــداً عــن أرَبْ
ولا هــزّني طمــعٌ للقريــ
ـضِ ولكنــه تَــرجمــانُ الأدبْ

---

(٥٠) العارفة : العطية .
(٥١) من حبّر الكلام : زيّنه . الكندىّ : يعنى امرأ القيس .
(٥٢) الديوان ؛ ٢/٦ .

وللفخر أُعْنى به لا الغنى
فعن كِسرْ بيتيَ جيبَ (٥٣) العربُ

وعندنا ، أنِ أظهرَ ما في حديث الأبيوردي في شعره ، هو مديحه لنفسه ولقومه . إنه لا يغفَل عن هذا في كلّ ما يقوله من شعره ، وفي ايّة مناسبةٍ يقوله فيها . بل نراه في مقدّمته هذه وضع اسمَ معاوية بن ابي سفيان وبيّن أنه اخذ بوصيّته ، ولعلَّ هذا كان من باب الإطراء لمعاوية لصلته به .

لقد مدح الأبيوردي الخلفاءَ والوزراءَ والسلاطينَ واكابرَ الناس . ومن الحقّ ان نقول : إننا لانراه يَسِفّ في مديحه ، ولا نراه يُشير ، كما لا نرى مؤرخيه يشيرون الى جريه وراءَ أُعطيةٍ ، ولعلَّه اخذ بقولِ معاوية لعبدالرحمن بن الحكم في هذا .

اما الهجاء . فإنه عندنا — على قلّته — في ديوانه ، وفي ثنايا شعره ، فإنه من اوجع الهجاء . ولكنه هجاء مهذّبٌ ايضاً ، انظره يستنجد بمؤيد الملك بن نظام الملك الوزير على الإنتصار من الوزير الذي اساءَ اليه بالعراق ، يقول من قصيدة طويلة (٥٤) :

وما أنسَ لا أنس العراقَ وربّه
يخادعه اشياعُه عن أناتِه
ويُغرونَه بي ، والإباءُ سجيّتي
إذا خوّفوني ضَلّةً سَطَواته

(٥٣) عن كسر بيتى جيب العرب ؛ يريد انهم اصل العرب . قال ابو بكر رضى الله عنه : انما جيبَ العرب عنا ، كما جيبت الرحى عن قطبها .

(٥٤) الديوان ؛ ٦٦١/١ .

ولي همّـــة تهفــو الى كلّ سؤددٍ
تفــرّع آبائي ذُرا هضبــاتِــه
وتبغي لديك الإنتصــارَ مــن امرئٍ
اذا عُدّ مجدٌ كان في أخريــاتـــه
وآباؤه مَن تعرفون مــن الورى
ولولا التُّقى عرّفتكــم امّهاتِـــه

نقول : أرأيتَ الى انه لا ينسى فخره باباته ، حتى في حالته هذه ، التي يستنجد فيها ! ؟ وتراه في بيتين اثنين بلغ في هجائه الموجع مالا يستطيعه غيره في ابيات كثيرة .

نقول : كان الأبيوردى شاعراً ، مقتدراً متمكناً في المديح وفي الهجاء . ويبدو أنمُقامَه في اشتغاله بالعلم ، قد قَلَقَ به ، وأنّ همته حفزته أنْ يلتمسَ امراً في الدولة ، ولاسيّما وقد رآها على تلك الحالة من الاضطراب والتفكك التي أَشرنا اليها في حديثنا عن عصره يقول : (٥٥)

تقول ابنةُ السّعديِّ وهي تلومنــي
أَما لك عــن دار الهــوان رحيلُ ؟
فإن عَنــاءَ المستنيم الى الأذى
بحيث يَــذِلُ الأكرمــون ، طويل
وما في الورى إلاّ لكَ البدرُ والدٌ
ولا لســواكَ النّيــراتُ قبيل (٥٦)
وعندك محبوكُ السّراةِ مُطهّمٌ
وفي الكفِّ مطــرورُ الشّباة صقيــل

---

(٥٥) الديوان ؛ ١٠٣/٢ .
(٥٦) محبوك السراة : قوى الظهر ؛ يريد حصانه . ومطرور : محدّد .

فثبْ وثبةً فيهــا المنايا أو المنى
فكــلٌ محــبٍّ للحيــاة ذليـــلُ
وإن لــم تُطقْها فاعتصمْ بابن حرّةٍ
لهمَّتــه فوقَ السِّماكِ مَقيـــل

ويبدو ان الأبيوردي اخذ بالرأي الثاني ، وهو الإستعانة بمن يوصله الى بغداد .

لقد سبق له أن مدحَ نظامَ الملك . ومرَّ بنا انه تشفَّع به في استرداد ضِياعٍ وقرى كان قد ورثها من ابيه . وكان أنْ اغتصَبها بعضُ النــاس وكان بينه وبين آل اسحاق . وهم اسرة نظام الملك الوزير ، وولديه الوزيرين احمد وعبيدالله ما يربُي على وشائج القُربى كما يقول (٥٧) في ديوانه .

ويبدو لنا انه وجَد الطريقَ بواسطة هذه الأسرة رحبةً في الوصول الى بغداد . ونراه . وقد تعلَّق بُـمثُلِ العرب وقيمهم .ورأى في نفسه الوريث لبني اميَّة . في كلً مقامهم الضخم الذي سادوا الدنيا شرقَها وغربَها فيه ، ولعلَّه كان يطمع بوزارةٍ او بأكثر من وزارة حين جاء الى بغداد . ولم لا ، لقد كان قارئاً . عالماً . نسَّابةً . اديباً ، كاتباً ، شاعراً . ولقد وصل الى الوزارة . وفي ايام عزّ الخلافة واوج سلطانها من هم دونَه في نسبه وفي علمه، وفي شاعريته : كان وزراء الخليفة المأمون كتّاباً وشعراء ، وكان ابنُ الزّيات . وقد وزر للخلفاء العباسيين الثلاثة : المعتصم والواثق والمتوكل . كاتباً شاعراً ،والأبيوردي يفضُلُه في علمه وفي شعره ، ويزيد عليه بإن يفضُلَه في نسبه ايضاً . نقول : جاء بغداد . وفي وهمه ان يكون شيئاً كبيراً

(٥٧) الديوان ؛ ١/٥٩٨ .
(٥٨) الديوان ؛ ١/٤٤٣ .

في الدولة – ومدحَ الخليفةَ الإمامَ المقتدي بأمر الله (٥٨) . فطلب ذلك في مديحه ، قال :

وعاذلةٍ نَهنَهتُ من غُلَـوائها
وكنت ابيّاً لا اطيع المفنّدا (٥٩)

أأسحبُ ذيلي في الهوان وأسرتي
تجرُّ الى العِزّ الدّلاصَ المسرّدا (٦٠)

ولي من امير المؤمنين إيالةٌ
ستُرغِمُ أعداءً وتُكمِدُ حُسَّدا

هو الغاية القُصوى إذا اعتلقَتْ بها
مآرب طلاّب العُلا بلغوا المدى

والقصيدة طويلة ختمها بقوله :

ورثتَ عُبيد الله عمَّك جودَه
وأشبهتَ عبدَالله جدّك سؤددا (٦١)

ويبدو ان الأبيوردي لم يحصل على شيء مما تمنّاه من الإمام المقتدي، هذا مع انه مدحه بقصائد عدَّة . وتُوفي الخليفة المقتدي سنة ٤٨٧ هـ وولي الخلافةَ بعده ابنُه المستظهر ، وفي ديوان الأبيوردي عدّةُ قصائد في مديحه ايضاً ، ومات الأبيوردي مسموماً بإصبهان سنة ٥٠٧ ، والمستظهرُ ما يزال خليفةً ببغداد . وهكذا ترى ان الأبيوردي قضى سنين كثيرة قد تصل الى نحو العشرين يمدح الخليفتين ولم يحصل على ما أمّل . وتراه حين يمدحُ الخليفة لا يَغْفلُ عن إطراء الوزير ، يمدح الخليفة بقصيدة طويلة فلاينسى ان يختمَها بقوله :

---

(٥٩) غلا في الامر : جاوز الحدّ . المفنّد : المكذّب او المضعّف .
(٦٠) الدلاص : الدرع اللينة البراقة . المسرّد : المنسوج .
(٦١) في الهامش : كان للعباس ابناء منهم عبيدالله ، وكان مشهوراً بالجود والسخاء وهو عمّ الخليفة الممدوح ، لأنه كان من اولاد عبدالله بن عباس .

ونضا وزيرك دونَ مُلكك عزمةٌ
تكفيه نهضةَ فيلقٍ شهباءِ (٦٢)
وتردُّ من قَلِقتْ به اضغانُه
حيَّ المخافةِ ميِّتَ الأعضاء
وتصيبُ شاكلَةَ الرميّ إذا بدَت
ريَبٌ تُهيبُ بمقلةٍ شوْساء (٦٣)
يسعى ويدأب في رضاك وإن غلَتْ
مُهَجُ النفوس عليه بالشحناء

الى ان يقول . ويختم مديحه للخليفة في قوله :

وإصابةُ الخلفاء فيما حاولوا
مقرونةٌ بكفاية الوزراء
لازلتما متوشّحَين بدولةٍ
مُرخىً ذوائبُها على النّعْماء

ويظلُّ في هذا . يمدح الخليفةَ ، ولا ينسى الوزيرَ ، ولا ينال شيئاً . ويتجه لمدح الوزراء . وفي ديوانه : « وقال يمدحُ بعضَ وزراء العصر ، بقصيدة طويلة ، جاء فيها (٦٤) :

وها انا ارجو من زمانك رتبةً
لها غاربٌ في المجد لم يُتَسَنَّم

وما الذي عندَ الأبيوردي في هذه الرتبة ! ؟ يقول :

(٦٢) شهباء : لشهبة الحديد ، والمراد بالفيلق : الكتيبة .
(٦٣) اصاب مشاكلة الرمى : اى اصاب المقتل . والشاكلة : الخاصرة . الشوس : النظر بمؤخر العين .
(٦٤) الديوان ؛ ٢٣٨/١ .

وعندي ثناءٌ — وهـو أرجى وسيلةٍ
اليكَ — كتفصيـل الجُمـان المنُظَّم

ويزيد الأبيوردي في إغراء الوزير : بأنه ليس كغيره من الشعراء في مديحه ، يقول ·

وكم مـن لسانٍ ينظِم الشعرَ فلَّه
شبا كَلِمي ، والصارُم العَضْب في فمي

ثم يستعطف ، فيقول :

وقـد مرَّ عصرٌ لم افزْ فيه بالمنى
فماليَ إلا زفرةُ المتنـدِّم
وليس لآمالي سواكَ فإنهـا
تُهيب بأقـوام عـن المجد نُوَّم

ويظل الأبيوردي ، يمدح الخليفة ويمدح الوزير ، ولا ينال ما أمَّل من رتبة . ومع اننا لا نجد في ديوانه أهاجيَ يذكر فيها اسماء الوزراء ، فإننا نذهب الى انه ربما فعل هذا ، ولكنه لم يضعه في ديوانه الذي كتبه . وفي ديوانه (٦٥) : « وقال في صديق له من بني شيبان ، وهو يعرّض ببعض الوزراء » والقصيدة طويلةٌ في مدح الشيباني صديقه ، وفيها :

ألم آتِه والدهـر في غُلـوائـه
قليلَ غِـرارِ النوم منتشـرَ الأمر (٦٦)
فأعذبَ من شِربي بما مدّ من يدي
وآمن من سِربي بما شدَّ من أَزري (٦٧)

(٦٥) الديوان ؛ ١/٣٤٧ .
(٦٦) يريد انه جاء صاحبه ، وهو لا ينام ذعراً . وكان امره منتشراً : يريد انه كان فقيراً .
(٦٧) اعذب شِربَه : نزع ما فيه من القذى .

وفي ديوانه : « ولما استوحش من وزير الخليفة ، أنفذ الأميرُ ابو الشدّاد ثروانُ بنُ وُهَيبُ العُقيلي مَن يحملُه الى حِلتّه للصداقة التي كانت بينهما ،فقال يشكرة(٦٨) والقصيدة طويلة يستجير فيها بأبي الشداد هذا ، ويستعديه على الوزير .

وظلّ الأبيوردي.وحاله ليست بذاك مع الوزراء ، وفي ديوانه (٦٩) : « وقال يعاتب اميرَ المؤمنين ... ويعرِّض بوزيره ، وكان يقصده بالأذيّة ، ويُصغي الى الساعين به » والقصيدة طويلةُ فيها :

سعى بي اليه لا هدى الله سعيَه
ولو نال عندي ما ابتغاه لما سعى
ولمّا رأى أَني تبَّنيتُ غدرَه
وادركتُ حزمَ الرأي فيه وضيَّعا
أَزاد يديه ناجذيْه تندّماً
يبوّنه في باحةِ الموت مصرعا

وفي الديوان ايضاً(٧٠) : « ولما رقى ابنُ جُهير عنه الى امير المؤمنين ما افضى الى استجارته بعماد الدين ابي بكرٍ عبيدِ الله بنِ الحسن بنِ علي بنِ اسحاق فتقدم بإيوائه وتوفّر على ارعائه ، فقال يمدح المحسنَ ويعرِّض بالمسيء »

ويهرب الأبيوردي من بغداد . يقول (٧١) ياقوت : « ولما عادى مؤيدُ الملك وزيرُ الخليفة عميدَ الدولة الزمه ان يهجوَه ، ففعل ، فسعى عميدُ

(٦٨) الديوان ؛ ٤٦٨/١ .
(٦٩) الديوان ؛ ٣٣٣/١ .
(٧٠) الديوان ؛ ٣٧٢/١ .
(٧١) معجم الأدباء ٢٣٤/١٧ .

الدولة الى الخليفة بأنه قد هجاك ، ومدح صاحب مصر ، فأبيحَ دمُه فهرب الى همذان » وبقي بعيداً عن العراق ، ثم صدرت اليه من الديوان العزيز كتب عُوتب فيها على مفارقة بغداد رغبةً في عودته اليها » فأجاب بقصيدة طويلةٍ في نحو الستين بيتاً يمدح فيها الخليفة ، ويذُمُّ الذين سَعوا به ويشير الى ان بعضهم قد مات وبعضهم مايزال . يقول بعد حديثه عن بغداد (٧٢) :

فصددت عنها إذ نبا بي معشري
وبغى عليَّ من الأراذل معشر
من كلّ ملتحفٍ بما يصم الفتى
يؤذي ويظلم أو يخونُ ويغدُر
فنفضت منه يدي مخافةَ كيده
إن الكريم على الأذى لا يصبر

ويقول :

قابلتُ سيّئ ما اتوا بجميلِ ما
آتى ، فإني بالمكارم اجدر
واباد بعضَهم المنونُ وبعضهم
في القِدِّ ، وهو بما جناه أبصَر

يريد ان بعضهم مقتول ، وبعضهم مَشدودٌ بالقِدِّ ؛ وهو السير ، ويريد انهم مغضوبٌ عليهم او مسجونون .

★ ★ ★

(٧٢) الديوان ؛ ١/٣٤٦ .

وعاد الأبيوردي الى بغداد ، ولسنا ندري كم غاب عنها ، ويبدو لنا انه لم يكن احسنَ حالاً في عودته . إن الذي نراه في ديوانه أنه يشتكي من سوء معاملة كتاب الأمراء الأتراك له ، يقول في قصيدة باكية ، ولكنه لا ينسى فَخْرَه بنفسه ، وآبائه فيها ، يقول : ٦٤٣/١ (٧٣) .

فلا تعذليني يا ابنةَ القوم إنَّني
وإن همَّ دهري بالسَّفاه حليم
أَضُمُّ جفوني دونَ بارقة المنى
وأحْمَدُ مرَّ العيش وهو ذميم
واستفّ ترب الأرض إن عضَّني الطوى
ويُجزىء عن لسٍّ الغمير هيشم
ولا اشتكي الأيام إن اعتداءَها
على عبد شمس — يا أميم — قديم
وتقطعُ عن حيي نِزارٍ علائقي
صروفُ الليالي ، والخطوبُ تُضيم
وألوي الى الأتراك جيدي فلا الندى
قليلٌ ولا امُّ الوفاء عقيم
وقد دبَّ في كتّابهم نشوةُ الغِنى
وكلُّهم جعدُ اليدينِ لئيمُ
اذا زارهم خِلٌّ مُقِلٌّ لووا به
مناخِرَ لم يعطِسْ بهنَّ كريم

ثم ماذا سيفعل الأبيوردي ! ؟ يقول :

(٧٣) الديوان ؛ ٦٤٣/١ .

سأرحل عنهم ، والمحيّا بمائه
وعرضيَ من مسّ الهوان سليمُ
فإن جهلوا فضلي عليهم فإنني
بتمزيق أعراض اللئام عليم

ويقول ياقوت : إنه تولى خزانة دار الكتب النظامية ، بعد القاضي ابي يوسف يعقوبَ بن سليمانَ الإسفرايني ، المتوفى سنة ٤٩٨ هـ ، وليس لدينا ما يسعف بمعرفة مدة بقائه فيها .

وينظر الأبيوردي الى حاله مع مجده الطارف والتليد ، ونسبه المرفوع على هامة العيُّوق ، كما يقول ، والى سؤدده ، ويرى نفسَه مع هذا ليس له الا الفقر والجوع ، فيقول مفتخراً وهو يتحسر (٧٤) :

مجدٌ على هامة العيّوق مرفوع
راقَ الورى منه مرئيٌ ومسموعُ
وسؤددٌ لم يجبّ الدهر غاربَه
وغيرُه في نديِّ الحيّ مدفوع
وقد وَرِثناهما غُرّاً جحاجحة
أَريبُهم في الندى بالحمد مخدوع

ثم يقول :

لكننا في زمان ليت دابرَه
بما يشقّ على الأوغاد مقطوع
وما لهم نسبٌ لكن لهم نشبٌ
وكلُّ لؤم به في الناس مرفوع

(٧٤) الديوان ؛ ٢/٢٤ .

وهل يضُرهم ان ليس عمُّهم
عمرو العُلا هاشم والخال يربوع
وهم شِباع رواءٌ في الغنى ولنا
أحسابُ آلِ ابي سفيانَ والجوع

ويظهر ان الأبيوردي ضاقت به بغداد ، ولم يعد يدري ما يفعل ، فراح يكتب الى بعض بني عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان في الأندلس ، يحرّضه على استعادة دولتهم وخلافتهم في المشرق يمدحه بأنه سرحانُ رَدْهةٍ ، وارقمٌ ناكزٌ في شجاعته ، وانه عربيٌّ لم تحتضنه الإماء ، وكأنه بهذاً يعرّض بغيره من الذين احتضنتهم الإماء بأنهم دون العرب ، ويُهيب به ان يعود فيذودَ العِدا عن دولتهم ؛ دولةِ بني امية ، التي نزا عليها خالدٌ الذهلي ، وابنُ وشيكة ، وهو ابو مسلم الخراساني ، وهؤلاء العربُ الذين يُعَدّدُهم ، ويزيد في حماسِه في دعوته الى أنَّ هؤلاء العِداة . ما قعدوا عنه ، اي عن ابن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام ، إلا بعد ان يئسوا ، فردّوا سيوفهم الى اغمادها ، وألقوا رماحهم على الأرض ، يقول (٧٥)

أثِرْها ! فمادونَ الصرائم حاجزُ
ولا فوقها واهي العزائم عاجز

هذا هو مطلع القصيدة ، ويرى القارىء ايَّ دعوة فيه الى إثارة الخيل او الإبل ، لأن الصرائم ، وهي منقطع الرمل ليس دونها من حاجز ، ويزيد : ان الذي فوق هذه الخيول ليس بالواهي العزيمة ولا بالعاجز ، ثم انظر الى قوله ، وقد تخيله أثارَها ووصل ، فيقول :

أطلَّ على الأكوار سِرحان ردهة
وارقمُ مما يوطِن القُفَّ ناكز

(٧٥) الديوان ؛ ٤٥٧/١ .

ويتوهمه وصل واطلَّ على الأكوار اي اشرف عليها . وسرحانُ الردهة ، اجرأ الذئاب عندهم ، والردهةُ : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء ، والأرقم اصعب الحيات ؛ يقولون لايعض بفيه ولكن ينكزُ بأنفه ، ولا يكاد يُعرف ذنبُه من أنفه ؛ لدقة رأسه ، فصاحبُه الأندلسيُّ هذا : ذئبُ ردهةٍ ، وارقمٌ ناكزُ ويستمر ابو المظفّر في إغراء صاحبه او امتداحه ، يقول :

فتىً لم تورّكْه الإماء وهجمةٌ
تَضُم قواصيها اليه المفاوز

وبعد ان يبين ان هجمته هذه ستضمّ اليها المفاوزُ قواصيَ ما فيها من الخيل او الإبل ، يقول :

اهبتُ به حيث الهِدان من السُرى
لهامته في غَمرة النوم راكز (٧٦)
فهبَّ كما استتلى القرينةَ شامسٌ
به وجلٌ منَ روُعة السوط حافز
خذي قَصَباتِ السبق منيّ فما لها
من الحيِّ غيرَ ابن المعاويّ حائز

ويقول :

نذود العِدا عن دولةٍ أَرعدتْ لها
فرائصُ تستشري عليها الهزاهز
نزا خالدٌ فيهن وابنُ وشِيكة
وآلُ كثيرٍ وابن كعبٍ ولاهِز

---

(٧٦) فهب : انتبه من نومته . والقرينة : الجنيبة . وحافز : دافع اى نبهته وحرّكته فنشط الى السير والسرى ، كما يحرك الفرسَ الجموحَ تابعه وجنيبه .

فردٌ الى الغِمـدِ السُريجيِّ مُنتضٍ
والقى على الأرض الردينيِّ راكز

ويختمها بقوله :

وكلُّ امرئٍ ينوي خلافَـكَ خائبٌ
ومَن هو يسعى في وِفاقك فائزُ

ويظل الأبيوردي ينفخ في الرماد ، ولا مجيب ، وليس له من عمل في بغداد . ويعـَرِض عليه بعض الوزراء الكتابة (٧٧) فيرفض . وكيف يرضى لنفسه وقد تقدَّمت به السن . وهو على مانراه من فخر بنفسه ونسبه ، ان يتوِّجَ مجدَّه المرفوعَ على هامة العيُـّوق ، بأن يكون من كتّاب الوزير ، يقول :

خليليَّ إن العمر ودَّعتُ شرخَـه
وما في مشيبي من تَلافٍ لفـارِط

ألم تعلما أني أَنستُ بعُـطلـةٍ
مخـافَـةَ ان اُبلى بخـدمـة ساقـط

فلا تدعواني للكتابـة إنهـا
طَـمـاعـةُ راجٍ في مَخيلةِ قانط

ينافسني فيها رعاعٌ تهـادنـوا
على دَخَـنٍ من بيـن راض وساخط

لئن قدَّمتهم عُـصبةٌ خانَـها النُهى
فهل ساقطٌ لم يخط يومـاً بلاقط

ولكنني أَغضيتُ جَفني على القَـذى
ولم أَرضَ ادراك العُلى بالوسائط .

(٧٧) الديوان ؛ ٢/٦٠٢

وكتب الأبيوردي يلتمس داراً من الخليفة المستظهر بالله يسكنها ، وقد مدحه بخير صفات الخلفاء مبتدياً بالخلفاء الراشدين ثم بني العبّاس ، الى عهد ابيه المقتدي بأمر الله . قال (٧٨) : « فلما عُرضت عليه هذه القصيدة وقّع له بقطعة ارض من الأجمة ؛ نائية عن العمران ، وهي قريبة من الثريا ، فوهبها لبعض الصوفيّة من اهل بلده » .

هذه حالة الأبيوردي مع الخليفة ، ويبدو أنّ حالَه مع الوزير ، الذي سمّاه : ضياءَ الملّة ، لم تكن بأحسن منها . فالأبيوردي يعاتبه ، ويبيّن له انه مزمع على الرحيل ، وأن الوزير اسمِعَ عنه مالم يقلْه بقصيدة تزيد على الأربعين من الأبيات ، وهو ينتهز مناسبة العيد لإخبار الوزير وعتابه ، يقول فيها (٧٩) :

اتى العيدُ طلق المجتلى فتلقّه
بوجهٍ يروق الناظرَ المتأملا
وضحٍّ بمن يطوي على الحقد صدرَه
فإنك مَهْما شئتَ ولّاك مقتلا
وأرعِ عتاباً تحته الودُّ كامنٌ
مَسامعَ يملأنَ الثناء المنخّلا
ارى ملأً حيث التفتُ يُهيبُ بي
وما كنتُ أخشى أن افارقَ عن قلى
أَمِن كَذِب الواشي وتكثيرِ حاسدٍ
اذا لَّم يجد قولاً صحيحاً تقوّلا ؟

(٧٨) الديوان ؛ ٦٧٥/١ .
(٧٩) الديوان ؛ ٥٥٣/١ .

رميتَ بنا مَـرمـى الغريبة جُنّبت
على غُـلَّـةٍ تُـدْمي الجوانحَ مَنْـهلا
واطمعتَ في أَعراضنا كلَّ كاشحٍ
يجرِّعـه الغيـظُ السّـمامَ المثمَّـلا
ويقول ، وكأنه يهدّد :
وراءك إني لستُ أَغرِسُ نخلـةً
لأجنيَ منهـا حيـنُ تثمرُ حنظـلا
وهـا انا ازمعتُ الفراقَ ، وفي غدٍ
نَـميـلُ بصدر الارحبيّ الى الفـلا
ويرتحل الأبيوردي من بغداد متجهـاً الى بلاد العجم



العروبة في شعر الابيوردى

١ ـ حبّه لبلاد العرب

ويبدو ان الأبيوردي زار الحجازَ ، وحجَّ اكثرَ من مرةٍ ، ومؤرخوه لم يشيروا الى هذا،ولكننا نراه في شعره . إنه يتشوَّق الى اماكنَ في الحجاز ، وفي نجدٍ ، على نحو ما يتشوَّق اليها اهلُ التصوف ؛ يحبونها حباً ممزوجاً بعواطفهم الدينية ، فيسبغون عليها من القدسية ما يجعلهم يرون كل في فيها لايشبه مثيلَه في غيرها من اقطار الدنيا . يكتب الأبيوردي الى بعض امراء العرب ، فتأخذه الذكرياتُ وتهيج الحنينَ في نفسه ، يقول :

معاهدُها والعهد يُنسى ويُذكرُ
على عَذَبات الجزع ، تَخفىوتظهر

واشلاءُ دار بالمحصّب من مِنىً
وقفت بها والأرحبيّةُ تهدِرُ (٨١)

أسائلُها ، والعين شكرى من البُكا
وهنَّ بخيلاتُ المعالم دُثَّر (٨٢)

واستخبر الأطلال عن ساكني الحمى
فلا الدمعُ يَشفيني ، ولا الربع يخبر

ولي مقلةٌ ما تستريح الى البكا
بحُزوى ، فقد الوى بدمعي مُحَجر

---

(٨٠) الديوان ؛ ١/٥٨١ .

(٨١) الأرحبية تهدر : يريد : ناقته تهدر ؛ وهدر البعير : ردّد صوته في حنجرته .

(٨٢) شكرى : من قولهم شكرت الناقة ؛ غزر لبنها . دُثَّر : جمع داثر : اى عافيات .

وتراه في ابياته هذه يتشوّق الى اماكن في الحجاز ، في المُحَصَّب ، وهو عند الحَجون ذاهباً الى مِني ، ومِنيٌ في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار . وحُزوى هذه في اماكن كثيرة في نجدٍ واليمامة ، وقد اكثر الشعراء العربُ القدماء دورانَـها في اشعارهم .

ويتشوق الى اماكنَ في الحجاز كان حبُّـه فيها ؛ يحن الى وادي الغضا ، فيقول : (٨٣)

حننتُ الى وادي الغَـضا . سُقي الغضا

حيا كلّ غادٍ من سحابٍ ورائـح

اكُرُّ اليه نظـــرةً بعـد نظـرةٍ

بطرْفٍ الى نجـدٍ على النأي طامحِ

كأن التوائي من جَـوىً وَصبابـة

تـرَنُّحُ نَشوانٍ من السُـكْـر طافح

ويقول في حنينـه الى وادي الغـضـا (٨٤) ايضاً :

اعائدةٌ تلك الليالي بذي الغضــا

أَلا . لا ؛ وهل يُثنى من الدهر ما مضى !؟

اذا ذكرتْها النفس باتت كأنَها

على حدّ سيفٍ بين جنبيَّ يُنتَضى

فحِـنَّ رويداً أيهـا القلبُ واصطبرْ

فلا يدفعُ الأقدارَ سُـخطٌ ولا رِضى

ويقول : (٨٥)

(٨٣) الديوان ٢/٢٤٨ .
(٨٤) الديوان ؛ ٢/٢٦٣ .
(٨٥) الديوان ؛ ٢/٢٩٢ .

خليليّ ! هذا ربع ليلي بذي الغَضا
سَقى الله ليلى والغضا وسقاكما
وقد كنتما لي مُسعِديْن على البكا
فما لكما لاتُسعدان أخاكما

ويذكر نعمان الأراك ، وهو وادٍ يُنبت الأراك ، وسُمّيّ به لكثرته فيه ، يقع بين مكة والطائف ، يقول (٨٦) :

نزلنا بنَعمان الأراك وللندى
سقيط بـه ابتلّت علينا المطارف
فبت اعاني الوجد ، والركب نوَّمٌ
وقد اخذت منا السُرى والتنائف
وقفت بـه ، واالدمع اكثره دمٌ
كأني من عيني بنَعمانَ راعِفُ

ونراه يثبت في ديوانه اشعاراً ينحو بها نحو ابن ابي ربيعة في غزله ، وفي تعرّضه للنسوة الحاجّات . ولعلَّ مثل هذا يكون من الشعراء يطوفون في الحج في شبابهم . إننا ندري ان الكثير من الشعراء يقولون في الخمر ، وفي العشق ، وهم ليسوا من اهل الخمر ولا من اهل العشق ، وقد يكون الشاعرُ الأبيوردي في بعض أحاديثه من هؤلاء . إن الذين كتبوا عنه شهِدوا لـه بالعفّة والتُقى ، وان كان الرجل منظرانياً من الرجال على حدّ تعبير ياقوت ، وكان الرجل شكلهُ اوهيأتهُ ، مما يستلفت النسوةَ يقول في تعرضه للنسوة الحاجات (٨٧)

(٨٦) الديوان ؛ ٢/٢٠٣ .
(٨٧) الديوان ؛ ٢/٢٢٣ .

ثنت طرفهـا عنّي نَـوارُ وأعرضتْ
وللركب بين المأزمين ضجيـج
وما ذاك الا مِـن عتـاب نبذتُـه
اليهـا على ذُعْـرٍ ونحـن حجيـج
فقالت : معي إن زُرتَ مايوقظ العِدا
وهم كالأسود الغُلْب حين تهِـجُ
فلِلْحَلْي — لاعزَّ الدنانير — رنَّـةٌ
وللِمسك — لاعاش الظباء — أريجُ

والمأزِمان تثنية المأزِم . والمأزمان : جبلا مكة . وموضعٌ بمكـة بين المشعر الحرام . وعـرَفـة .

ويقول . وكأنه يشرح قصة حبّـه لحاجة (٨٨) :

علاقةٌ بفؤادي أعقبت كَـمَـدا
لنظرةٍ بمِـنىً أرسلتُـهـا عـرَضا
وللحجيج ضجيجٌ في جوانبـه
يَـقـضون مـا أوجب الرحمـنُ وافترضا
فاستنفض القلبَ رعباً ما جنى نظري
كالصقر ندّاه طَـلّ الليل فانتفضا
وقد رمتني غـداةَ الخَـيْـفِ غانيةٌ
بناظرٍ إن رمى لم تخطئْ الغـرَضا (٨٩)
لما رأى صاحبي ما بي بكى جزَعاً
ولم يجد بمنى عن خُلَّـتي عِـوَضا

(٨٨) الديوان ؛ ٢/١٨١ .
(٨٩) الخيف . بفتح الخاء وسكون الياء : هو المحصّب ؛ وهو بطحاء مكة .

فبتُّ اشكو هواها وهو مرتفــقٌ
يشوقه البرقُ نجديّاً إذا وَمَضا
ولم يُطق مايعانيه فغادرني
بين النّقا والمُصَلّى عندها ومضى(٩٠)

اما حبّه لنجد ، ودورانها في شعره ، فإننا لانكاد نعرف شاعراً عربياً تعلّق بوطنه تعلّقَ الأبيوردي في نجد ، ومع ان المؤرخين لايشيرون الى زيارته ، ولا الى عيشه في بلاد العرب ، فإننا حين نقرأ ديوانه يخيَّلُ الينا أنه انتُزِع من بلاد العرب انتزاعاً ، وألقيَ به ، على كُرهٍ منه ، في خراسان ، حتى لكأنَّ كلَّ شيءٍ في خراسان لايَزيدُه الا حنيناً وتعلُّقاً ببلاد العرب ، وفي نجد خاصة .

وحسبنا منه أنه قسم ديوان شعره قسمين ؛ اختصَّ احدَهما بالعراق ، وسمّاه « العراقيات » واختص الثاني بنجد ، وسمّاه « النجديات » وديوانه : « العراقيات » فيه مديحه للخلفاء والوزراء وو . . . والحديث عن الناس ، اما النجديات فليس فيه الا الحنين الى نجد ، وهو مقطّعاتٌ فيها الحب والشوق والذكرى والوجد .

إننا نعلم ان صلة الإنسان بوطنه قد لايحسها ، ولايوليها ما تستحقه مادام فيه ، إنها كالصحة ، لايعرفُ الإنسان مقدارَ قيمتها الاحين يفتقدها وقد سوّى القرآن الكريم هجرة الإنسان لوطنه بالقتل او الموت . قال تعالى (٩١) : « ولوانا كتبنا عليهم أن اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ، مافعلوه الاقليل منهم . . . . » ونحن لانعجب ان نرى الناس في ايامنا هذه يتحدثون عن مرض يسمّونه « حب الوطن » ويبيّنون ان الناس قد يحدُث

(٩٠) المصلى : موضع بالعقيق .
(٩١) سورة : النساء الآية : ٦٦ .

لهم فيه ما يحدث للعشاق يشتدّ بهم العشق فيصابون بالجنون . في مَن يحبون وعندنا ان الأبيوردي الشاعر يمثّل هذه الناحية في شوقه الى بلاد العرب .

مرَّ بنا انه نظم نجدياتـِه استجابةً لطلبٍ من صاحبه ، وانه نظمها بعد ان جاوز الأربعين او الخمسين من العمر ، وقد ذهبنا الى اننا نراها من اشعار الشباب ؛ لأننا نقرأ فيها حرارةَ العاطفة التي تكون متفتّحةً للحياة وللحب بكلّ انواعه في اطوار الشباب . ونَزيدُ على هذا بأن الأبيوردى ربما نظمها في خراسان حين اشتدَّ شوقه وحنينُه الى نجد والى بلاد العرب ، وانقلب الحنين عنده الى وجد كوجد العشّاق العذريين الغَزِلين ، ولا عجب عندنا ان تطفح اشعارُه بالعاطفة ، لأنَّ الذكرى قد تفعل في إهاجة الخيال والعاطفة ما لايفعله الواقع . انظر كيف يتحدَّث عن زيارته لأرض عامرٍ في نجد ، (٩٢) :

لحى الله دهـراً لانزال دريئـةً
لضرّاءَ يرمينا بهـا فيُصـيـبُ

ويُـنجِـدُ بي طـوراً وطوراً يغور بي
كأني على ما في البـلاد رقيـب

ولمـا أَزارتني النوى ارض عامرٍ
بكى صاحبى والحيُّ منه قَريب

فليمَ — ومعذورٌ على الهمّ والبُكا —
رميٌّ بمـا يُـقذي العيونَ كئيب

وقالوا : يمانٍ روّعَـتْـه مَـهامهٌ
أَبت ان يـَرى فيها المواردَ ذيب(٩٣)

وثاروا الى نِضوى يُفَـدّون فوقه
أُشيْعِـثَ يُـدْعى للندى فيَجيب

---

(٩٢) الديوان ؛ ٢/٢٠ .
(٩٣) يريد انها مجاهل لا موارد فيها ، وقد خلت من كل حياة .

ومَن بات مرهومَ الرداء بدمعه
فما في دموعي للخطوب نصيب (٩٤)
وقالت سُليمى اذ رأتني لتِربها
وراقهما وجْهٌ أغرُّ مَهيبُ
أظن الفتى مِن عبد شمس فإن يكن
ابوه أبا سفيانَ فهو نجيب
ارى وجهه طَلْقاً يُضيء جبينَه
وأحسَبُ أن الصدر منه رحيب
سليه يكلّمنا ، فإن اختيالَه
– على ما به من خَلّة – لعجيب
فقلت : غلامٌ من اميّة شاحبٌ
بأرضكما نائي المزارْ غريب
وليس ببدع ان يخفّض جأشَه
على عُدْمه حيث المرادُ جديب
فمن شيَم الأيام ان يُسلَب الغنى
حسيبٌ ، وان يُكسى الهوان اديبُ
فقالت : ولم تملك سوابقَ عبْرة :
أقمْ عندنا ، إن المحلَّ خَصيبُ
وحولك مِن حيّيكَ قيسٍ وخِنْدِف
كهولٌ مكاريمُ الضيوف وشيب (٩٥)
وما علمت أني لأمرٍ ارومه
اطوفُ ، وراجي الله ليس يخيبُ

(٩٤) مرهوم الرداء : اى مبلول الرداء : من الرهمة : وهى المطر القليل .
(٩٥) خنذف : ليلى امرأة الياس بن مضر .

فلا أَلِفتْ نفسي العُلا إن طويتها
على اليأس . ما حنَّت روائمُ نيبُ (٩٦)

وقد تحدَّث بقريب من هذا ، فيفتخر بنسبه ، وبأنه من قريش ، ويفتخر بفصاحته العُلْوية ، اي المنسوبة الى العالية : وهي الحجاز وما ولاها ، ويبيّن إن إنشاده للشعر بلغة العالية هذه . قد اجتذب الفتيات من عَذارى عُقَيل لرؤيته . فتزاحمن يطلعن اليه من خدورهن . ولا ينسى ان يفتخر بجمال هيئته التي ردّدن حين رأينها انفاساً تُقَدُّ من الحشى ، يقول (٩٧)

وسِرب عَذارى من عُقَيْل سمعنني
وراء بيوتِ الحيّ مرتجزاً اشدو
فسُدَّتْ خصاصاتُ الخدور بأعين
حَكتْ قُضُباً في كلّ قلب لها غِمد(٩٨)
وردّدن أنفاساً تُقَدُّ من الحشى
وتَدْمى فلم يسلم لغانية عِقدُ
وفيهن هندٌ . وهي خوْدٌ غريرةٌ
ومنية نفسي دون أترابها هندُ
فقلن لها : من اين أوضح ذا الفتى
ومنشؤه غورا تهامةَ أو نجد (١٠٠)

---

(٩٦) الروائم : جمع رائمة ؛ من رئمت الناقة ولدها ، اى عطفت عليه . والنيب : المسنّة من النوق .

(٩٧) الديوان ٢/٤٣ .

(٩٨) نظرن من خدورهن بأعين كالسيوف في حدّتها ولكن القلوب اغمادها . والخصاصات : الفتحات .

(٩٩) تقد من الحشى : اى تنتزع من اقصى منتزعها ، وجعلها دامية لمرورها على صدر جريح .

(١٠٠) من اين أوضح !؟ اى من أين طلع . ووضح الطريق : محجته . وغورا تهامة : لتهامة غوران ؛ غور الساحل وغور تهامة .

ففي لفظة عُلويّة من فصاحة
وقد كاد من أشعاره يقطر المجد
فقالت : غلام من قريش تقاذفت
به تيّةٌ يعيى بها العاجز الوغد

ثم يأخذ في الحديث عن نفسه ، فيحلف حلفة المتعجّب من فراستها فيه ؛ اذ عرفت فيه القرشيَّ تتقاذفهُ الفلواتُ التي لايصبرُ على السير فيها الا مثله ، وأنها عرفت فيه السخاوةَ والكرم ، فيقول :

لعمرُ ابيها ! إنها لخبيرةٌ
بأروع يَمْري دَرَّ نائله الحمد

ثم يشير الى شجاعة قومه ، والى كرمهم :
من القوم تستحلي المنايا نفوسَهم
ويختال تيهاً في ظلالهم الوفد

ومع ان الشارح ضبط لفظة « نفوسهم » بالفتح ، وذهب الى ان المنايا تجدُ نفوسَهم حلوةً فتعشقها او تستحليها ، وذهب فيها الى قول رسول الله صلى عليه وسلم الى قوله لعائشة رضى الله عنها : « إن قومك اسرعُ الناس فناءً ، فقالت : يارسول الله لِمَ ؟ فقال صلّى الله عليه وسلم : لأن المنايا تستحليهم » اي هم كرام . مع هذا فيبدو لنا ان تفسير البيت بالروح العربية هو الأنسب ، لماالمسناه من تعلّق الأبيوردي بالشجاعة ، التي يرى فيها الوصولَ الى المجد ، وان نفوس قومِه لاتخاف الموت ولا تنفِرُ منه ، بل هي تستحليه ، وكأنه نظر ، وهو العالم الأديب ، الى ما ينسب خطأً الى السموأل :

وإنّا لقومٌ لا نرى القتل سُبَّةً
إذا ما رأته عامرٌ وسلول

يقرّب حُبُّ المـوت آجالَنـا لنـا
وتكــرهـه آجالهُـم فتطـــول

ويقول الأبيوردي ، مفتخراً بصبره على ما ناله مما لايحب :

ومَن لانَ للخطب المسلمَ عريكةً
فإني على ما نابني حَـجَرٌ صَلْدُ

ونرى الأبيوردي يحب كلّ شيء في بادية العرب ، وفي حياة العرب فيفضّله على ما عنده في الحاضرة ؛ يفضّل نفحة العرار ورائحته على رائحة العنبر . ويفضّل الضِبابَ واليرابيعَ ، وهي التي يعيرّ الشعوبيون العربَ بأكلها ، يفضلهِا ، ويرى فيها العيش ، عل ما في الحاضرة . ويفضّل الخيمة ملفّ العزّة على اهلها العرب البدو ، وحولها الإبل تُنحر للضيوف على بيوت الحاضرة ،

ويُعجبني نفحُ العَـرار وربمّـا
شممتُ بعرنيني وقد فاح عَنبر (١٠٢)

فما العيشُ إلاّ الضبُ يحرشه الفتى
وَوِردٌ بمُستن اليرابيع اكدر (١٠٣)

بحيث يُلفّ المرءُ اطنابَ بيتـــه
على العِـزّ والكومُ المراسيلُ تنحر (١٠٤)

---

(١٠١) الديوان ؛ ١/٥٨٣ .

(١٠٢) العرار من نبات البادية المعطر الرائحة . والعنبر : من عطور الحاضرة ، فهو يفضل عطر العرار او رائحته على رائحة العنبر .

(١٠٣) اليرابيع : جمع يربوع ؛ وهى دويبّة كالجرذ الكبير . يحرشه : يصيده .

(١٠٤) الكوم : جمع كوماء ؛ الناقة المرتفعة السنام . المراسيل : جمع مرسال ؛ وهى السهلة العدو .

وقد يجنح به الخيال والشوق ، حتى ليتوهّمُ ويتعجبُ أنْ ليس وحدَه يحن الى العَرار والرند ، وهما من نباتات البوادي العربية الطيبة الرائحة ، بل يتوهّمُ أن الابل تحِنّ اليها ايضاً ، يقول (١٠٥) :

خليليّ إن الحبّ ما تعرفانه
فلا تُنكرا أن الحنينَ من الوجد
احِنُّ ، وللأنضاءِ بالغَوْر حنّةٌ
إذا ذكرت أوطانها بربا نجد
وتصبو الى رَنْد الحمى وعراره
ومن أين تدري ما العرار من الرند !؟

ويحبّ العربياتِ في خفرهن ، وفي عيونهنّ الكحيلة الشبيهة بأعين ظباء البادية ، وفي اصواتهن وحديثهنّ الذي له وقع اللؤلؤ المتناثر في السمع والبصر ، ويقول : إنهَن سمعن به فتزاحمن حتى سَدَدنَ خصاصَ الخدور ، متطلعاتٍ لرؤيته ، يقول (١٠٦)

نظرتُ وللادم النوافخ في البُرى
بشرقي نجد ياهُذيمُ حنينُ (١٠٧)
الى خَفِراتٍ من نُمير كأنها
ظباءٌ كحيلاتُ المدامع عينُ (١٠٨)
اذا ما تنازعن الحديثَ اشتفى به
من الوجد متبولُ الفؤاد حزينُ (١٠٩)

---

(١٠٥) الديوان ؛ ١٧٢/٢ . (١٠٦) الديوان ؛ ٢١٣/٢ .

(١٠٧) الأدمة في الابل : البياض الشديد ، يقال بعير آدم وناقة ادماء . البرى : جمع برة : وهى حلقة من معدن توضع في انف البعير . هذيم : اسم علم لصاحبه .

(١٠٨) عين : جمع عيناء ؛ واسعة العين .

(١٠٩) تبل الحب فلاناً : اسقمه وذهب بعقله .

كأن الذي استُودِعتُـه منه لـؤلـؤٌ
يلـوح على ايـدي التجـار ثميـن
وقـد سمعـت بي فاعترتها بشاشة
ومثلي بهـا عنـد الكرام قميـن
وسَـدّ خِصاصَ الخِـدر طَرْف ومسمعٌ
ونحرٌ وخـدٌ واضـحٌ وجبيـن (١١٠)

ويقول لصاحبه ، وهويودّع نجداً يرجوه ان يتلبَّث ، وان يتمهلَ ليملأ عينَـه ونفسَـه من ارضها ونباتها . ويحذّره في انه سيندَمُ حينَ يُعرق ، ولا يجد العيش – وإن كان رغداً في العراق – مثلَـه في نجـد ، ولا يجد رائحة العَـرار ولا الرنـد هناك ، ولا يرى في ماء الرافدين ، على عذوبته ، إلاّ ما يزيده حنيناً الى أمواه نجد ، وانه سيندم اذ لايجد في ارض الأعاجم سبيلاً الى العودة الى نجـد ، يقول (١١١)

اقول لسعْـدٍ . وهو خِـلّي بطانـةً
وأيٌّ عظيـم لم انبّـهْ لـه سعـدا (١١٢)
اذا نكبت نجـداً مطاياك لم اُبَـلْ
بعيشٍ ، وإن صادفتُـه خَضِلا رغدا(١١٣)
تلبّـث قليلاً يرم طرفي بنظـرةٍ
الى ربوات تُنبتُ النَفَل الجَعْدا (١١٤)

---

(١١٠) الخصاص : جمع خصاصة ؛ الثقب الصغير .
(١١١) الديوان ؛ ٢/٢٧٥ .
(١١٢) بطانة : اى خالصاً هنا .
(١١٣) نكبت : جاوزت .
(١١٤) النَفَل : من رياحين البادية . والجعد : الملتف .

فإنك إن أعرقْت والقلب منجدٌ
نَدِمت ، ولم تشمُم عَراراً ولا رندا
ولم ترِد الماءَ الذي زادك النوى
وقد ذقتَ ماءَ الرافدين ، به وجدا
أَترمي بنا ارضَ الأعاجم ضَلَّةً
فتزدادَ عمّا تشتهي قربَه بُعدا(١١٥)
وها انا اخشى ، والحوادث جمّةٌ
إذا زرتَها ألاّ ترى بعدها نجدا

ويبيّن ان ذكرياته بنجد ظلت تلازمه ، وظلّ يرى نجداً وطنه مع بعده عنها بعد ان وخطه الشيب ، وان اصحابه صاروا يلومونه على حنينه وتذكّره ، ويعذلونه على هذا . ويبيّن ان نشقة العرار عنده احسن تخفيفاً للوعته من الدمع المنكسب . ومعلوم ان العرب يرون ان الدمع يخفّف الحزن او يغسله ، ومن الحسَن عندي تعبير الحسين بن الضحاك عن هذا في قوله :

لا وحبّيكِ ، لاصافح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استراح وإن كان موجعا(١١٦)

نقول : إن الأبيوردي يذهب الى هذا في قوله في ابياته :

بِمنْشَط الشّيح من نجدٍ لنا وطنٌ
لم تَجر ذكراه إلا حنَّ مغترب
اذا رأى الأفقَ بالظلماء مختمراً
امسى وناظره بالدّمع مُنتقب

(١١٥) أترمي بنا ارض الأعاجم : اى اترمى الذهاب بنا الى ارض الأعاجم .
(١١٦) الديوان ؛ ٢/٢٩٠ .

ونشقةٍ من عَرارٍ هزَّ لِمَّتَه
دويحةٌ في سُراها مسَّها لَغَب
تَشفي غليلاً بصدري لايُزحزحه
دمعٌ تُهيب به الأشواق منسكب
فقال صحبي غداةَ الشِّعب من حَضَنٍ
والخدُّ يَهمي عليه واكف سَربُ (١١٧)
حتامَ يبلي دماً والشيب مبتسمٌ
والعُمر قد اخلقت اثوابُه القُشُب

وظل الأبيوردي يتشوق الى نجد . ويرى أنه ظلَّ محزوناً منذ فارقها ، وهو يمزج ذكراها بأيام الشباب ، ويرى العودة اليها بعيدةً شأن العودة الى الشباب . إنها لاتشترى ، ولا بالمهج ؛ يقول (١١٨) :

مَن لي بنجدٍ وأيام بها سلفت
ما طال عهدٌ بماضيها سوى حجج
لو بيع عصر شباب ينقضى لفتىً
لابتيع عصرُ الصِّبا واللهو بالمُهج
دع ياهُذْيمُ . . . فمذ فارقتُ جيرتها
ماكنت من بَعدها يوماً بمبتهج
ياسعدُ ! هل لي وهذا الليل يشهد لي
مما اقاسي لدى التسهيد من فرج
يا لائمي كفَّ ! إن الحب اخرس من
يلومه عن فصيحاتٍ من الحجج

(١١٧) حَضَن : جبل بأعلى نجد .
(١١٨) الديوان ؛ ٢/٢٩٥ .

العرب مثله الأعلى :

ومع ان الأبيوردي ولد ونشأ في كُوفَن ، وهي بليدةٌ في خراسان بعيدةٌ عن بلاد العرب ، وأنه نشأ وشبّ ورأى الدولةَ الاسلاميّة يُديرُها ويترأسها ويتحكّم فيها غيرُ العرب من الأعاجم . ويرى العربَ وقد انسحبوا من ميدان السياسة والحكم ، مع هذا فقد ظلّ العربُ هم المثلُ الأعلى في كل شيء ؛ يراهم وكأنهم خُلقوا من طينة غيرِ طينةِ الناس .

ولعلّ من العَجب بعد هذا كلّه ، ان تكون صورةُ العرب عنده المحاربين ، تهزهم الإحن فيغضبونَ ويستلون سيوفهم البيضَ اللامعةَ التي لا تصدأ لكثرة استعمالهم لها ، ويدعوهم الصريخ ، فيُسرعون لنَجدته ويهتزونَ طرباً لجمجمة الخيـل تتهيأ للركض في القتال . إنهم يحمون نجداً وطنَهم ، برماحهم التي تشبه النجوم في اسنّتها اللامعة . وقد لانرى هذه الصورةَ الغريبة واضحةً الاحين نقرنُها بما كان عليه العربُ في ايامه من غلبه الأعاجم لهم ، وتسلّطهم عليهم . وحسب العرب هواناً ان السلطان السلجوقي يطلب من الخليفةِ العباسيّ ان يترك بغداد .. ويستمهله الخليفة شهراً ولايرضى بامهاله ساعة واحـدة ، ولاينجي الخليفة من هذا إلا موت السلطان السلجوقي ، فيعُدُّ الناس موتَه كرامةً للخليفة العباسي نقول : اذا رأينا هذه حالة الخليفة العربي العباسي ، رأينا صورة العربي الغريبة العجيبة في نفس الأيبوردي ، يقول (١١٩)

مَن الطوالعُ من نجدٍ تُظلّـهمُ
سُمرُ القنا ، أنِزاراً يدّعون أبا !؟

ارى سيوفَـهم بيضـاً كوجههم
فما لأعنيهم محمرّةً غَضَبا !؟

(١١٩) الديوان ؛ ٢/٢٢٥ .

أجَـلْ ، همُ عـامِـرٌ هزتهـمُ إحَنٌ
واستصحبوا من سليـم غـِلمةً نُجـُبا
اذا الصرِيخ دعا حلّوا الحـُبا كرَمـاً
وجَـمجـمَ الخيـلُ فاهتزوا لها طـرَبا
يحمــون نجداً بأرماحٍ مثقَّفـة
تحكّي الأسنَّـةُ في اطرافهـا الشُهبا

ويكتب الى صاحبه ثروانِ بنِ وُهَيْب العقيلي ، فيرينا كيف تعلَّقت نفسه بالعرب ، وبكل ما هو عربي ؛ يقول (١٢٠) ؛ :

لَبيتٌ بأعلى قَلعةٍ في ظــلالــه
ملاعِـبُ خفـّاقٍ من الريـح سَجْسج
تشدُّ النزّارياتُ اطنابَـه العُــلا
بأرضٍ يلوذ الطيـر فيها بعوسج
ويمشين رَهْــواً مِشيةً قرشـيـةً
تنوء بكثبان النقـا المُتــرَجرج
وتُشرِق بالـورِد الخدودُ نواضراً
اذا ابتسمت عن اقحوان مـُفلّـج
ونغـمــةُ راعي الذود يزُجي إفاله
بـِدعـْص يـُهاديه نَدى الليـل أثبج
احبُّ الينـا من قـُوَيْق وضجعــةٍ
على زَهَــرٍ يستوقف العيـن مُبهـج

وهكذا تراه يحن الى البيت العربي . او الى الخيمة العربية . في قلعة تخفق في ظلالها الريح . وهي سجسج . وفي الحديث عن الرسول الكريم

(١٢٠) الديوان ؛ ٥٩١/١ .

صلّى الله عليه وسلم ؛ هواء الجنّة أو ظلّ الجنة ، سجسج ؛ وواضح أنّ هذا هو المعتدل الذي تشتاقه النفوس ، ولانشك في أنّ الأبيوردي لم يغب عنه هذا ، وهو المحدِّث ، حين كان يتحدّثُ عن ظلال ِ خيمة في بلاد العرب ، قد تعلّقت بها نفسه . ثم انظر من الذي يشدُّ اطنابَ هذه الخيمة القريبة الى نفسه وقلبه إنهن النِّزاريات . ولعلّ لهؤلاء النزاريات في نفس الأبيوردي غير ما لغيرهِن من الخراسانيات او غيرهن من النسوة ، وانظر كيف امتدحَ طول قاماتهن ، وهو ما يمتدحه العرب في نسائهم ! إنهن يشددنَ الأطناب العالية في الخيمة ! .

ومع ان العوسج من نبات الشوك الذي لايحبه الحضر ، فإن له في نفس الأبيوردي صورة اخرى . إن طيرَ البادية يُحبّه ويلوذ اليه . ثم انظر لهذه « المشية القرشيّة » وقد لاتعجب ان تكون للنزاريات مشية خاصة ، وهي المشية القرشية . التي يَمشينَها رهواً أي متمهّلات . ان هذه المشية لها في نفسه ايضاً ما ليس لغيرها من صور المشي . إننا نلاحظ هذا في ايامنا ، حين نتغرَّب ، ويتزاحم الناس في الغربة ، نكاد نعرف العراقي او العربيَّ من مِشيته التي يختلف بها عن سائر الناس ، ولا نشك في ان الأبيوردي كان يحس هذا وهو بخراسان ، ويرى ان مشية نسائهم غير مشية النزاريات من النساء .

ولا ينسى بعد هذا نغمة راعي الإبل ، وهو يسوق إبله . ويترفق بحيرانها ، على الرمل الذي اصابه ندى الليل ، فأصبح وهو رطبٌ ، وهو في حاله هذه احبُّ ما يكون لأهل البادية .

ويختمُ حديثه عن هذه الصور بأنها احب الى نفسه من ضجعة على نهر قويق ، في حلب ، وسطَ زَهَرٍ يستوقف العينَ ببهجته . هكذا يرى العرب ، وهكذا تتعلقُ نفسهُ بهم وبصورٍ من حياتهم في باديتهم ، .

ويرى بعد هذا ان قومه بني اميّة هم خلاصة العرب الذين انتهت اليهم صفات العرب في كل شيء نبيل ، وكلّ شيء حسن ، ويرى نفسه بعد ذلك ، هو الوريث لهذه الصفات النبيلة الحسنة كلِّها ، وأنَّه الملومُ حين يتهاون او يفرّط بها ، يقول (١٢١) :

انا ابن الأكرمين أباً وامّاً

وهم خيرُ الورى عماً وخالا

ويقول بعض شرّاح شعره : إنه عنى بابائه بني اُمية ، وعني بأخواله اهل اليمن ؛ لأن بني امية صاهروهم ؛ فهؤلاء وهولاء عنده هم العرب وهم خيار الناس . وبماذا كانوا خيارهم ! ؟ قال :

اشدُّهم اذا اجتلَدوا قِتالاً

واوثقُهم اذا عَقدوا حِبالا

وإن دُعيتْ نزَالِ مشوا سراعاً

الى الأقران ، وابتدروا القتالا

وهم عنده شجعان حين يقاتلون مجتمعين بجيش . وشجعانٌ حين يقاتلون فرادى ، فإن اشتدت الحرب وتزاحم الأقران ، ولم يجدوا السبيل الى التطاعن . وتداعوا بالنزول عن الخيل . كانوا اول النازلين عن خيولهم ، الساعينَ الى اقرانهم . المبادرين الى المنازلة والمقارعة . ويراهم — ابداً — يعودون من الحرب ومن المنازلة منتصرين . وخيولُهم تسيلُ حوافرُها بدماء الأعداء ، يقول :

وجرّوا السمر راجفةً صدوراً

وقادوا الجُرد راعِفَةً نعالا

(١٢١) الديوان ؛ ١/١٤٢ .

ويقول ، وكأنه يتحسَّر :

غُنوا في جاهليّتهم لَقاحاً
ونارُ الحرب تشتعل اشتعالا

يقال : غُنى بالمكان : إذا اقام فيه . واللقاح : الذي لايدين لأحد ولاينقاد ، وهذه حالهم في جاهليّتهم ؛ كانوا يقيمون في اماكنهم مصرّفين لأمورهم ، وكأنه يقول هذا ؛ لأنه رأى غيرهم في أيامِه يسوسُهم ويصرّفُ امورهم ، ويتحكّم بهم على النحو الذي يريد .

هكذا كانوا في جاهليّتهم ،

وفي الإسلام ساسوا الناس حتى
هُدوا للحق فاجتنبوا الضلالا

وهم فتحوا البلاد بباتراتٍ
كأن على اغرّتها نمِالا

وقومه ، او آله ، هم اهل الفضل على الناس ؛ لأنهم جنّبوهم الضلال ، وهَدَوْهم الى طريق الحق . ويقول : إن العرب انفسَهم يعرفون لقومه هذا ، ولا ينكرونه عليهم ، يقول :

وقد علم القبائل أنّ قومي
أعزُّهم وأكرمُهم فَعالا

واصرحُهم اذا انتسبوا اصولاً
واعظمهُم إذا وَهبوا سِجالا

ثم يلتفت الى نفسه ، ويقول :

وها انا منهم والعرق زاكٍ
اشدُّ لمن يَكيدهم القِبالا

والقِبال : هو سير النعل ، والعرب تقول : شدّ فلانٌ قِبالَه للأمر ؛ يعنون تأهّب ، واستعدّ له ، كما نقول الآن : شدّ حزامه او تحزّم للأمر .

ثم يأخذ في حديثه عن بني امية ، اسلافه ، فيقول

نماني من اميّة كلُّ قَرْمٍ
تردُّ البُزْلَ هَدْرتُه إفالا

ومعروف ان القَرْم : هو البعير المكرّم ، الذي لايُحمَّل ولا يُذلّل ، والبُزْل : جمع البازل . وهو البعير في سنّه الثامنة او التاسعة ، وهي السن التي يكون فيها في عنفوانه وشدّته . والإفال : صغار الإبل . فهو يريد: أن الذي نماه من اميّة هو العظيمُ الذي يهدِد يرد الكبار صغاراً ، ويردّ عظائم الأمور الى صغائرها ايضاً . ويقول بعد هذا عن نفسه وكأنهُ يردّ على من رآه قد تجاوز الحدّ في فخره بآبائه :

فإن أفخر بآبائي فإني
اراهم اشرفَ الثقلين آلا

ويتحدث عن نفسه :

اشيِّد ما بناه ابي وجدّي
واحمي العِرْض خيفة أن يُذالا

★ ★ ★

ويطغى عليه حبّه للعرب في قديمهم . وما يراهم عليه من استكانة ومذلّة في ايامه . وقد مرَّ بنا(١٢٢) انه كتب الى بعض بني عبدالرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان في الأندلس . يغريه بالعودة ليستوليَ على الدولةِ الإسلامية في المشرق . ويُعيدَها الى ما كانت عليه في عهد اسلافهم

(١٢٢) انظر ص ١٧٢ من هذا البحث .

الأمويين ايامَ عزِّهم . ويبدو انه لم يجد من يجيب نداءه او دعوته ، فتراه يتوهّم انه هو الأمويّ الذي سيقوم بهذا ؛ يقول السبكي (١٢٣) :

« . . . ثم كان رشح من كلامه نوعُ تشبّث بالخلافة . . . فاضطره الحال الى مفارقة بغداد ، ورَجَعَ الى همذان فأقام بها يدرس ، ويفيد ويصنّف مدة . . . » .

نقول : يبدو أنه صار يعمد الى التهديد في اقواله ، ولعلّ هذا هو الذي اغضب الخليفةَ العباسي عليه ، حتى قالوا : إنه أهدَرَ دمه ، يقول الأبيوردي (١٢٤) :

تأمّلت الورى جيلاً فجيلا
فكان كثيرهم عندي قليلا

الى ان يقول :

ومَن راقته ضجعتُه بدار
يُفلُّ المشرفيُّ بها صليلا

فلستُ من الهوان وليس منّي
فألبسَه وادّرعَ الخمُولا

ويقول :

إذا الأمويُّ قرَّبَ أعوَجِيّاً
وضاجع هُندوانياً صقيلا

فذرْه والمِصاعَ فسوف تؤتى
به ملكاً مهيباً او قتيلا

(١٢٣) مقدمة الديوان ؛ ١/١٧ والطبقات ٦٣/٤ .
(١٢٤) الديوان ؛ ٣٩٨/١ .

ومعروف أن المِصاعَ ، والمصْع : الضرب بالسيف ، والمماصعة : المقاتلة ، وهو يعني بهذا : الملك او الهلك .

★ ★ ★

وطغت على الأبيوردي نظرته الى العرب والعروبة في مثلهم العليا من اباء ، وشمم ، وشجاعة ، وعدل ، وما الى هذا من القيم التي ارادها الدين الإسلامي والتي ارتضاها الناس فآمنوا بالدين الحنيف ، واقروا للعرب بالسيادة ، وعنده ان بني اميّة ارتضى الناسُ سيادَتَهم ، لأنهم سادوا بهذه المثل ، ورأى نفسه وهو من افضلهم ، يقول :

جِدّي معاوية الأغرّ سمت به
جُرثومةٌ من طينها خُلق النبي

وورِثتهُ شرفاً رفعتُ منارَه
فبنو أُميّة يفخرون به وبي

رأى نفسه جديراً بأنْ يعيدَ العربَ الى ما كانوا عليه في ايام اسلافه ، وأن يعيد الدنيا الى ما كانت عليه في ايام اسلافه بني امية ، ونقرأ هذا في اخباره واشعاره حتى ليتوهمه بعض الناس إنه ينقلب الى شيء يشبه الخبل عنده ،

يقول ياقوت : « وحدّث السمعاني عن العجلي ، قال : سمعت الأبيوردي يقول في دعائه : اللهم ملّكني مشارقَ الأرض ومغاربها ، فقلتُ له : ايُّ شيءٍ هذا الدعاء ! فكتب إليّ بهذه الأبيات :

يعيّرني اخو عجل إبائي
على عُدمي وتيهي واختيالي

ويعلم أنني فَرَطٌ لحيٍّ
حموا خِططَ المعالي بالعوالي

فلستُ بحاصن إن لم ازرها
على نَهَلٍ سنا الأَسل الطِوال

وإن بلغ الرجال مداي فيما
احاوله ، فلستُ من الرجال

هكذا يرى الأبيوردي نفسه ! إنه لايدعو لنفسه بصحة ولا بثروة وراحة ، ولا بجنّة في آخرته ، كما يدعو المسلمون لأنفسهم في دعائهم ، ولا يكتفي بأن يملك مشارق الأرض ولكنه يريد مغاربَها ايضاً شأن بني امية اسلافِه . ويرى انّ ما يحاولُه تعجزُ عنه الرجالُ ، ألم يكن قد كتب لبعض بني امية في الأندلس وما سمعوا له نداءً ، يرى أنّ مايحاولُه تعجز عنه الرجال ولكنه يرى نفسه لانظير له في الرجال .

وتتغيرّ نظرة الأبيوردي للسلاطين ، وهم الحكّام المصرّفون للأمور ؛ يقول ياقوت ايضاً : « . . . وحدّث السمعاني عن احمد بن سعيد العجلي ، قال : كان السلطان نازلاً على باب همذان ، فرأيتُ الأبيوردي راجعاً من عندهم ، فقلت له : مِن اين !؟ فأنشأ يقول ارتجالاً :

ركبتُ طِرفي فأذرى دمعَه أسفاً
عندَ انصرافيَ منهم مضمرَ الباس

وقال : حتامَ تؤذيني ! ؟ فإن سنحت
سوانحٌ لكَ فاركبني الى الناس

هذا هو الأبيوردي ! يرى السلطان الذي يطلب اليه الخليفة مهلة شهر لمغادرة بغداد ، ويردّ عليه بقوله : ولا ساعة . . . يرى هذا السلطانَ فيبكي حصانهُ اسفاً حين يرى الأبيوردي راكباً اليه في رجاء او طلب ، ويراه ، في نظر حصانه ، قبل ان يكون في نظر نفسه ، ليس من الناس .

وانظر – بعد هذا في شعره ، تراه يصوِّر نفسيّة العربيّ الذي لايصبر ، ولا ينام على الضيم ، يقول (١٢٥)

بكت امُّ عمرو إذ انيخت ركائبي
بحيث الهضاب الحمر من هَمَذان

فأذرت دموعاً كالجمان تفيضها
على خدّ مِقلاق الوشاح رَزَان

وما علمت انّ السيوف تشبّثت
بأذيال شمطاء القرون عوان

فأبكت رجالاً كالأسود ولم تُبَلْ
بكاءَ نساءٍ كالظباء غوان

ثم ما الذي يقول إنه فعله ؛ يقول :

وقمتُ فقرَّطت الأغرَّ عنانَه
وفي اليد ماضي الشفرتين يمان

ثم ماذا قال لأم عمرو ؟ قال :

ولستُ إذا ما الدهر احدث نكبة
خَفيّاً بمستن الخطوب مكاني

هذا هو الأبيوردي في احساسه العربي في همذان . إنه ينذر بقيامه بحرب عوان ، ولعلّه اراد بهذا ان تكفكف ام عمرو دموعها التي اذرتها لحبيبته ، فقرَّط فرَسه الأغر عنانه ، وحمله سيفه اليماني الماضي الشفرتين بيده ، يريها عزمه على خوض الحرب العوان التي فاتها ان تتصور انه عازم على خوضها . ومؤرخوه يصفونه بأنه كان كبير النفس عالي الهمّة ، لم يسأل احداً

(١٢٥) الديوان ؛ ٢/٦٤ .

شمئاً مع الحاجة والمضايقة . واحداثه مع ممدوحيه تشهد له بهذا . مدح سيف الدولة صدقة بن دبيس امير الحلّة ، قالوا : « فرحب به . . . واظهر له من البرّ والإكرام ، مالم يعهد مثلُه في تلقيّ احد ممن كان يتلقّاه » قالوا : « . . وحمل اليه خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة اعبد . . » فوزّع الأبيوردي هذا على غلمانه ، وهمّ بالرجوع من غير ان يعلم سيف الدولة بهذا . . ولم كان هذا ! ؟ قالوا : كان الأبيوردي قد عزم على انشاد سيف الدولة قصيدة في يوم عيّنه ، واعتذر اليه سيف الدولة ووعده يوماً غير ذلك . . فاعتقد الأبيوردي ان سيف الدولة ، قد دافعه عن سماعه استكباراً ، لما يريد ان يصله به ثانياً ، وما عاد الا بعد ان علم ان سيف الدولة انما دافعه على الإنشاد ليتمهّل ويعدّ له ما يحسن ان يكون لمثله من لقاء . وطلب من الخليفة بقصيدة مدحه فيها قطعة ارض تكون له داراً ، فمنحه الخليفة قطعة أرض نائية عن العمران ، فما كان منه إلا ان تطوّع بها لبعض الصوفية من بلده .

وهكذا ترى الأبيوردي يظل محافظاً على كرامته بين الممدوحين ولايرضى الا بما يراه لائقاً بمثله من علية القوم ؛ وتراه يردّ العطيّة لمعطيها ، ولو كان المعطي اميراً او خليفة ، اذا رآها مما لا يليق بمثله . ومع كل هذا كان يحسّ بالنقص والالم حين يمدح ، ولو كان الممدوح خليفة او اميراً او سلطاناً ؛ لأنه كان يرى نفسه ، وهو يمثل بني امية الذين يمثلون خيار العرب ، لايليق بمثله ان يمدح الناس ، مهما عظم هؤلاء الناس ، يقول :

ساءت نزاراً وغمّت يعرباً مِدَحٌ
زُفّت الى ذنب اذ لم تجد راسا

(١٢٦) تنظر مقدمة الديوان ؛ ص ١٤ ، والطبقات ٤ : ٦٢ والوفيات ٤ : ٤٤٥ .

ويقول بعد هذا :

فلو رآني ابن هنـد عضّ أنملـه

غيظـاً على امويّ يمـدح النـاسا

ويقول بعد هذا ، وكأنه يعتذر لابن هنـد ؛ معاوية بن ابي سفيان عن مديحه للناس ، ويعتذر لنفسه ايضاً ، يقول :

فإن امـدح إماماً او همـامـاً

فلا جاهـاً اروم ولا نـوالا

★ ★ ★

مديحه للعرب :

وإذا كان المثل الأعلى عند الأبيوردي هم العرب ، فليس له ، وهو يمدح عربياً اكثر من ان يؤكد نسبته للعرب . وهذا هو اكبر شطر في المديح عنده ، وقد يجرّه هذا الى ان يذكر محاسن العرب ، وقد يزيد فيؤكد للممدوحين انه عربي ايضاً ، فيذكر قومه العرب . وربما تعدى به الأمر الى ان يزيد فيشيد بما لقومه العرب من شجاعة واباء وكرم ، وما الى هذا من الصفات الحسنة التي يعتز بها العرب ، وقد تعتز الإنسانية في الكثير منها .

يمـدح امير بني مزيد في الحِـلَّـة ؛ سيفَ الدوله ابا الحسن صَدَقَـة بن منصور بن دبيس الأسدي . وصدقة هذا كان شجاعاً حازماً ولي الإمارة بعد ابيه سنة ٤٨٩ ، وكان كريماً مهيباً ، حتى ان بعض وزراء الخليفة العباسي ، وجد فيه ملجأً ، حين قلق به مقامه ، وأحسّ بالخطر . ثارت في ايامه الفتن بين ابناء ملكشاه السلجوقي ، فاغتنم فرصة انشغالهم بأنفسهم واحتلّ الكوفة ، وانتظم له ملك بادية العراق .

ويمدحه الأبيوردي بقصيدة(١٢٧) طويلة تزيد على المائة من الأبيات ، يتحدث

(١٢٧) الديوان ؛ ١/١٥١ .

فيها عن شجاعته وكرمه ، وكأنه يرى اهمّ من هذا ان يؤكد نسبة صدقة ونسبة آبائه واجداده الى العرب ، وكان هذا عنده غاية المديح ، واري ان نأخذ في الحديث عن القصيدة ، يقول في مطلعها :

بدت عَقِدات الرمل والجُرَع العُفْر
فمسنا كما يَفتَنّ في المَرَح المُهرُ

فنراه من مطلع القصيدة يبين انهم عرب ، يطربون بكل ما هو متعلق بالعرب في باديتهم ، فحين بدا لهم الرمل في عَقِداته المتموّجة ، وفي جُرَعه العفر المنبسطة ، طربوا له ، ونشطوا نشاط المهر يمشي العِرضنة في مشيه او جريه . ثم انظر لقوله بعد هذا :

ودسن بأخفاف المطيّ بها ثرىً
ينمُّ على مَسْرى الغواني به العِطر

إنه يشم برائحة الثرى رائحة الغواني اللواتي سرن فيه ، فكأنه يأسف ان تدوسه ابلهم بأخفافها. ثم يأخذ في الحديث عن ديار الأحبّة ؛ عرب البادية:

كأن ديار الحي في جَنَباتها
صحائف ، والركب الوقوف بها سَطْرُ

ويبيّن انها مع انها قفر ، يستوحش الناظر عادة بها لخلوّها من اهلها ، مع هذا فإنه يظل يراها — في نفسه وخاطره — بصورتها ايام كانت آهلة بالأحبة من اهلها ، ويعجب ان يزيدها الإقواء حسناً في نفسه ، يقول :

تزيد على الإقواء حسناً كأنهم
حُلولٌ بها ، والدار من اهلها قفر

ثم يأخذ في الحديث عن هذه الديار التي كان يأوى اليها لؤي بن غالب ، وفيهم كل كميّ شجاع ، ويتحدث عن شجاعتهم ، وعن ظبائهم العفيفات ،

وعن شجاعة آل مزيد وكرمهم ورعايتهم للجار ، وان البدو والحضر يرون فيهم فوق مايرونه في الحيا . وكان من الممكن ان تقتصر قصيدة المديح على هذا وفيه كفاية ، ولكنه وهو يتحدث عن العرب يحلو له — على ما يبدو لنا — ان يفيض فيـه ، ولعلّه يحس ّ فيه ما يحسّه ابو نواس في حديثه عن الخمر ، او ما يحسّه ابو العتاهيـة في حديثه عن الزهد . ، يقول :

بني اسدٍ انتم معاقل خِـنـدف
اذا ما شحافاه لهـا حـادثٌ نـكـر

ومعروف أن خِـنـدِفَ هذه هي ليلى امرأة الياس بن مضر ، وولده يعرفون ببني خندِف ، وهم : تيـم وهذيل ، واسد ، وقريش . وكان بوسع الأبيوردي ان يكتفي بهذا ، ولكنّه يحلو له ، كما قلنا ، ان يأخذ في التفصيل ؛ يقول :

ولا خيـر إلاّ في نـزارٍ ، وخيرُها
اذا حُصِّل الأنساب ؛ دُودانُ والنَّضْر

وبعد ان بيّن ان نزاراً فيها الخير ، ولكنه زاد على ان ذهب نزارٍ أو معدنها ، هم : دودان والنضر . وراح يستمر في شرحه وتفصيله :

وفرع بني دودانَ ، سعدُ بنُ مالكٍ
وكهف بني سعد سُـواءة أو نصر

وناشرةٌ اعلى سُواءَةَ مَـحـتِـداً
اذا قيـل : أين العـزّ والعـددُ الـدثْـر

وبعـد ان بين ان سعـد بن مالك هو فـرع بني دودان ، وان كهف بني سعدٍ او ملجأهم سُـواءَةُ او نصر ، بين ان ناشرة اعلى بني سُواءَة مَحتداً ؛ واكثرهم عدداً ، وقال :

واثبتُها في حومة الحرب مالكٌ
وعَوْفٌ ، وذو الرمحين جدّكُم عمرو

فذهب الى ان اثبت هؤلاء في الحرب مالك ، وعوف وذو الرمحين ، وهو جدّ الممدوح وقيل سُميّ بهذا ؛ لأنه كان يطعن برمحين ، ثم يأخذ الأبيوردي بالتعداد :

ومن كحُييّ او كجِلْدٍ ومَرْثَد
وريانَ ، والآفاق شاحبةٌ غُبْرُ
وارحبهم باعاً عليٌ ومزيَدٌ
اذا السنوات الشهب قلّ بها القَطْرُ
ومن كدُبَيْس حين تُفترش القنا
اذا النقع ليلٌ والظبُى انجمٌ زُهْرُ
ومازال منصور يُنيفُ على الورى
به الشرف الوضّاح والحسب الغَمْرُ

وبعد هذا كلّه يقول للمدوح صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي :

فسرتَ على آثارهم متمهّلاً
ولم يختلف في السعي بينكما النَّجرُ
ومن ايّ عطفيك التفت تعطَّفت
عليك به الشمس المضيئة والبدر

وعندنا ان الأبيوردي لم يكن موفَّقاً في مديحه هذا ، من الناحية الفنيّة ؛ لأن قارئ الشعر لايصبر على قراءته . وسردُه هذا كان أنسب له النثر . وعندنا أنه ما كان ليفعل هذا ، وهو الشاعر ، لولا تعلُّقه بالعرب وأنسابهم ، وحبّه في ذكر هذه الأنساب التي يرى فيها مفخرة المفاخر . وربما كان قليل من اهل الثقافة يجارونه في هذا ؛ يقول احد شُراح ديوانه ،

وهو يضبط لفظه « كجلْـد » في قوله : « . . . او كجلد » يقول : « هكذا رأيته مضبوطاً بكسر الجيم في نسخة مقروءة على الأبيوردي وفيها الاجازة بخطـه » الديوان ١ / ١٦٣ .

ويكتب الأبيوردي الى جماعة من بني اسد ، وقد بلغه عنهم عتاب ، يكذّب ماقرفه به بعض الماحلين ، فيما نسب اليه من هجائهم ، يقول(١٢٨) :

وإني اذا ما لجلج القـول فاخرٌ
يـؤنّب في اقوالـه ويُـعنّـف

ادافـع عن احسابكـم بقـصـائد
غـدا المجـد في اثنائهـا يتصرَّف

ولم اخترعهـا رغبـة في نـوالـكم
وإن كان مشمـولاً بـه المتضيّـفُ

ولكن عُـرَيق فيَّ مـن عـربيـة
يحـامي وراء ابـنـي نـزارٍ ويأنف

وهكذا تراه يبيّن انه هو الذي يدافع عن احسابهم بقصائده ، وأن الذي يدفعه الى هذا انه فيه « عُريق من عربية » ولعلّه اراد بالتصغير هنا تصغير التعظيم ، لا التقليل ، لأننا نرى الأبيوردي لايتحدث عن نفسه وقومه الا مادحاً ، ثم يقول : إنه يجمعه بهم اللقاء بأب واحد ، وانه يرجو ان تكون النهضة او القومة الى المجد من واحد منهم ؛ يقول :

فنحن بنـو دودان فـرعُ خـُزَيمـة
يذِلّ لـنـا ذو السَّوْرِة المتغَطرِف

وانتـم ذوو المجـد القـديم يضمنَا
أبٌ خِـنـدِفيٌّ فيـه للفخـر مألف

(١٢٩) الديوان ؛ ١/٤٣١ .

فيا لَنزارٍ دعوةٌ مضريةٌ
بحيثُ الرُدينياتِ بالدمّ ترعُف
لنا في المعالي غايةٌ لايرومها
سوى اسديٍّ عرَّفتْ فيه خِنِدف

وكان الأبيوردي لاحساسه بصلة العروبة التي تربطه ببني اسد ، أمراء الحلة العرب ، يلجأ اليهم كلما حزَبه امرٌ ، وكانوا لايتوانون عن اغاثته وحمايته ؛ يستوحش من وزير الخليفة فينفُذ اليه الأمير ابو الشداد ثَروان ابن وُهيب العقيلي من يحمله الى حلّته للصداقة التي كانت بينهما ، ويقول الأبيوردي في شكره ، من قصيدة (١٢٩) :

دعا ابلي رجع الحنين بمبرك
يضيق على ذودِ الخليط المجاور
فعن كثب تشكو منا سمك الوجى
وتَطْوى الفَلا مخصوفةً بالحوافر
وتُرويك في قيسٍ حياضٌ تظلّها
ذوابلُ في ايدي ليوثٍ خوادِر

فتراه يطلب الى ابله ان تهجر هذا المبرك الذي ضاق بالمجاور لأهله ، وواضح انه يعني بأهله الوزير او الخليفة ، ويعني بالمجاور لهم نفسَه او شخصَه ، ويخاطب إبله بأن لاتكثر الحنين الى المبرك ، ويعدها بأنها عن قريب سترحل وتغذ السير وتشكو الوجى ، الذي تخصف له حوافرُها بالجلد ، ويعدها بعد هذا ، بقوله :

وتُرويك في قيسٍ حياضٌ تُظِلُّها
ذوابل في أيدي ليوث خوادر

---

(١٢٩) الديوان ؛ ٤٦٨/١ .

ثم يقول ، وكأنه يعرض بالوزير ، في ان امَّه ليست بعربية ، يقول :

بنو عربيات يحوط ذِمارها
كماةٌ ، كأنضاء السيوف البواتر

يخاطب ابله ؛ يعدها بأن ستحتمي الأجسام السمينة المترهلة . ثم يتحدث

يخاطب إبله ؛ يعدها بأن ستحتمي بكماة ضوامر ، كالسيوف في اجسامهم ؛ وهي الصفة المحببّة للعرب ؛ لأنهم لايحبون الأجسام السمينة المترهلة . ثم يتحدث عن ابي الشداد صاحبه :

فأفرخ رَوْعي اذ قمعت به العِدا
وخفَّض جأشي حين رفّع ناظري

ثم يأخذ الأبيوردي بإغرار صاحبه ابي الشدّاد بالوزير وبدولته ؛ يقول :

فإيهٍ ابا الشدّاد ! إن وراءنا
احاديثَ تُروى بعدنا في المعاشر

ثم يلتفت الى نفسه متحسراً ، وهو يخاطب صاحبه ابا الشدّاد ، ويعنيه بقوله :

فمن لي بخِرقٍ ثائرٍ فوق سابحٍ
تردّى بإعصارٍ من النقع ثائرِ

ثم يأخذ في وصف هذا الخرق الثائر المغير على فرسه وسط اعصار من النقع ، بأن يقول :

اذا حفزته هِزَّة الروْع خِلتَه
على الطرف صقراً فوق فتخاءَ كاسِرِ

فهو يصفه بأنه من عشّاق الحرب ؛ شأن العرب ، فإذا حفزته هِزَّة الروع استعجل ولم يتوان . ورأيته كالصقر ، فوق فرسه الشبيهة بالعقاب الكاسِرة في سرعتها ، حين تنقض للصيد ، ثم انظر كيف يحرك فيه الشيمة العربيـة بقوله :

أترضى وما للعرب غيرَك ملجأٌ
توسّدَهم رملي زرودٍ وحاجر
فأين الجيادُ الجردُ تخطو الى العِدا
على عَلَقٍ تَروى به الأرضُ مائر
وفتيانُ صِدقٍ يصدرون عن الوغى
وايدي المنايا داميات الأظافر

★ ★ ★

ويمدح الأبيوردي بعض الرؤساء من اسرته ، ويهنئه بعيد الأضحى ، فيجعل مديحه وتهنئته حماساً وتحريضاً ، على ترك ماهم عليه ، والنهوض الى الحرب ، ويذكّرهم بأن الأجل محتومٌ مقدَّر ، وان الشجاعة والإقدام لايغيّران وقته ، ولا يستعجلانه ، وفرحته تكون يوم يرى حرباً يخوضها ، وقد طمست أرجل الإبل والخيل في الدماء ، يقول (١٣٠) :

من رام عِزّاً بغير السيف لم ينل
فاركبْ شبا الهُندوانياتِ والأسَل
ما للجبان ! ألان الله جانبهَ !
ظن الشجاعة مرقاةً الى الأَجَل
حتى ارى مشرفيات يضرّجها
دمٌ رست فيه ايدي الخيل والإبل

ويقول لبعض بني عمه من آل معاوية الأصغر (١٣١)

ياسعدُ ذا اللمة المرخاة ما عِلقت
منك الخطوب بكابي الزند هِلْباج

(١٣٠) الديوان ؛ ٢١٥/١ .
(١٣١) الديوان ؛ ٢٩٥/١ .

يخاطبه بأن ما زال في ريعان الشباب ، وهو ليس بالعـاجز ، يكبو زنده ، وليس بالهلباج : الأحمق ، ثم انظر كيف يحمّسه على القيام والثورة ؛ :

دهرٌ تذأب من ابنــائـه نَـقَـــدٌ

فأوطئت عـرب اعقــاب اعــلاج

يقول : إن النقد وهو جنس من الغنـم القصار الأرجل ، القباح الوجوه ، قد تذأبت ، اي صارت كالذئاب ، وان العرب ، وهم عنده اشرف الناس ، قد خضعت للأعلاج ، وهم العتاة من غير العرب ، ثم يصيح صيحة الحجّاج ابن يوسف في خطبته المشهورة :

واينـع الهــامُ لـكن نـام قاطفُــها

فـمــن ذ ــا بزيــادٍ او بحجّــاج

ويقـول . وكأنـه يحس ان ابن عمّـه هذا يقول : هذا شأن الملوك . ولعلّـه يعنـي الخلفــاء وهم الذين سيكفون العرب ، ويكفوننا امر هؤلاء الأعلاج . فيقول الأبيوردي :

وكم أهبنا اليهــا بالملــوك فلــم

نظـفـَـر بأروعَ للغمّــاء فـرّاج

ثم يقول له :

وانت يابْنَ ابي الغَمْرِ الأغرّ لها

فقـلْ لذودٍ اضاعــوا رعيَـها :عاج

يقول : لقــد اضاع الرعاة ، وهو يعني الحكام – رعاية الإبل ، وهو يعني النـاس . وعليك ان تكون انت راعيـها . وان تزجرها وتصيح بها : عاجِ : وهو صوت تزجر به الإبل .

حنينه للعروبة في
مديحه للخلفاء :

والعجب ان يمدح الأبيوردي خلفـاء بني العباس ، وان يصرّح بنسبته لبني اميّـة في مديحهم ، بل نراه يشيد بأمويته ، وهو يمدح الخلفاء من بني العباس . أتراه ، وهو العـالم النسّابة ،خفي عليه موقف العبـاسيين من الأمويين !؟ أتراه فاته ان ابا نواس حين اراد هجاء اسماعيل بن صبيح امين سرّ الخليفة الأمين ، لم يجد اوجع في هجائه من ان يتهمه بولائـه لبني اميـة . أفاته : انه كتب قصة للخليفـة المستظهر بالله ، وكتب على رأسها : الخادم المعاوي ، وان الخليفة كَرِه النسبة الى معاوية واستبشعها فأمر بكشط الميم ، ورد القصة ، فبقيت : الخادم العاوي » ! ؟ .

مع هذا كلّـه نرى الأبيوردي يصرّ على عروبته ، وعلى امويّته في كل مديح يقوله لخليفة او وزير ، ويصرّ على هذا ، وكأنه ينوي مقدّماً ان يتحمـل في سبيله كلّ عتب او غضب او جفاء .

ويبدو لنـا ان الأبيوردي ظل ينظر الى نفسه ، لا على انه شاعر يقول المديح يلتمس به العطيّة ، شأن الشعراء ، ولكنه كان يرى نفسه ، كما يقول عنها (١٣٢) :

انـا ابن الأكـرمين ابـاً وامّـاً
وهـم خيـر الورى عمّـاً وخالا
نمـاني من اميّـة كلّ قَـرْمٍ
ترُدُّ البزْلَ هـدرتـهُ إفـالا
فإن افخـر بآبائي فـإني
اراهـم اشرف الثقليـن آلا

(١٣٢) الديوان ؛ ١/١٤٢ .

وإن امــدح إمــامــاً او هــمــامــاً
فــلا جــاهــاً اروم ولا نــوالا

وليس بغريب ان يعد المؤرخون شعراء الخليفتين اللذين عاصرهما الأبيوردي وهما المقتدي بأمر الله ، والمستظهر بالله ، ولا يعدّون الابيوردي شاعراً معهم .

نقول : يمدح الخليفة المقتدى بأمر الله ، فيقول في قصيدته :

خليليَّ من عُـليـا قريش هُـديتما
اشأنكمـا في حبّ عـلوةَ شاني ! ؟

فمـا لكمـا يـوم العُـذيب نقمتـما
عليَّ البُـكا ، والأمـر ما تريـان ! ؟

ثم يقول :

امــا فيكما مـــن هِـزَّةٍ أموِيّةٍ
لأروعٍ في اســر الصبابــة عـــان

وقد يمدح فتراه لا يستكين . ولا يتذلّل ، بل يقول بلسان المفتخر أو المهدّد ! يقول في مديحه للخليفة (١٣٤) :

غداً أبطن الكشح الحُســام المهنّـدا
إذا وَقَذَ الحيَّ الهــوانُ وأقصــدا

يقول : غداً يجعل السيف في كشحه . وكأنه ينظر في قوله هذا ، الى بيت طرفة :

فآليت لا ينفك كشحي بطانــةً
بعضبٍ صقيــل الشفرتين مُهنّــد

---

(١٣٣) الديوان ؛ ١/٣٨٦ .
(١٣٤) الديوان ؛ ١/٤٤٣ .

يقول : غداً يجعل السيفَ في كشحه بعد ان رأى الحيَّ قد وَقذَهم الهوان اي رماهم وقتلهم في اماكنهم . ويقول عن نفسه :

ولله فهريٌ إذا الـوردُ رابـــه
ابى الرِّي واختـار المنّية موردِا

ثم انظر بمـاذا يحلف :

حلفتُ بفتلاء الـذراع شملّـةٍ
تخبُّ بقـرمٍ مـن اميَّةَ أصيـدا

إنه يحلف بناقة مفتولة الذراع سريعة السير ، تخبُّ بسيِّد كريم – يعني نفسه – من بني امية ، ولا يلتفت الى احد كبراً وانَفَةً .

ويمدح الخليفة يهنيه بمولود ، فلا ينسى ان يذكر نجداً والحنين اليها ، يقول في مطلع القصيدة (١٣٥)

بعيشكـما يا صـاحبيَّ دعـانيا
عشيّة شـام الحيُّ برقـاً يمانيـا

الى ان يقول :

فيا جبلَ الريّان أيـن مـواردٌ
تركت بهـا ماءَ الأنيَعـم صاديا

فتراه يحن الى جبل الريّان بأعلى نجد في بلاد بني عامر ، ويقول إنه – وهو على ظمأ – عافت نفُسه ماء الانيعم ، والانيعم قريب من الكوفة ، لأنه لم يستطب ماءً بعد ان تذكرّ الريانَ ومواردَه .

ثم انظر كيف يعاتب الخليفة ، ويعرّض بوزيره الذي كان – كما يقول الأبيوردي يقصده بالأذيّة ، يقول (١٣٦)

(١٣٥) الديوان ؛ ١٠٣/١ .
(١٣٦) الديوان ؛ ٣٣٣/٢ .

الا بأبي اسدُ الحمى وظبـــاؤه
ومنعرج الوادي مصيفاً ومَربعـــا
معي كلُّ فضفاض الرداء سميدَعٌ
اصاحب منه في الوقائع اروعـــا

ثم يأخذ في الحديث عن هذا الصاحب الكريم ، السيد الشجاع ، فيبيّن انّه عربي من نجد ، غذته رباها فشبّ كأنه شبا مشرفيّ .

غـــذتـــه ربا نجـــدٍ فشبَّ كأنه
شبا مشرفيٍّ يقطـــر الســـمّ مُنقعا

هذه نشأته وشجاعته ، اما منطقه العربي ، فيقول فيه :

يريـــق اذا ارتـــج النديُّ بمنطقٍ
كلاماً كأن الشـــيح منه تضوّعـــا

وانظر لرائحة الشّيح ، نبات نجد والبوادي العربية ، التي تفوح من كلامه ، ويزيد الأبيوردي في حديثه عن صاحبه العربي الذي يهدّد به :

ويروي انابيـــب الرمـــاح بمأزق
يظلّ غـــداة الروع بالدمّ مُترَعا

وبعدَ وصفه هذا ، يقـــول عن حاله معـــه :

عركتُ ذنـــوب الحادثـــات بجنبه
فهبَّ مشيحاً لا يـــلائـــم مضجعـــا
اهبتُ وصرف الدهـــر يحرق نابَه
به آمنـــاً ، ان استقيم ويضلعـــا
فأقبل كابـــن الغاب عبلاً تليله
ولم يستلنْه القِرن ليناً وأخـــدَعـــا

ثم يقول :

فسكّن روعي والرمـــاح تزعزعت
وخفّض جأشي والعجـــاج ترفّعـــا

ثم يتحدث الأبيوردي عن شجاعته هو ، بعد ان افاض في الحديث عن شجاعة صاحبه العربي من نجد ، يقول :

وما انا ممن يملأ الهـــولُ صـــدرَه
وإن عضّه ريب الزمان وأوجعـــــا
اذا ما غســـلتُ العار عنّي لم أُبَـــلْ
نداءَ زعيـــم الحيّ بشّر أو نعى

وعندنا ان هذه القصيدة ، وإن سميت عتاباً او مديحاً ، هي اقرب الى التهديد منها الى المديح او العتاب . ولولا ان عنوانها جاء فيه انها عتاب للخليفة وتعريض بالوزير ، لما تصوّرها القارىء يقولها شاعر ، ايّ تكون منزلته ، عتاباً لخليفة وتعريضاً بوزير ، ولكنّه الأبيوردي يرى نفسه فوق الشعراء بل يراها فوق الناس .

وفي ديوان الأبيوردي : « وكتب الى المواقف الشريفة المستظهرية ، اعزّ الله نصرها يلتمس داراً يسكنها (١٣٧) . ونقرأ القصيدة ، وهي في نحو من الأربعين بيتاً ، مدح الابيوردي فيها المستظهر بالله ، ووصفه بأحسن الصفات التي وصف بها جدّه العباس ، واتصف بها الخلفاء الراشدون الأربعة ، ووصف بها خلفاء بني العباس من المنصور الى ابيه المقتدي بأمر الله ، وبعد كل هذا ، قال الأبيوردي :

---

(١٣٧) الديوان ؛ ١/٦٧٢ .

فهذه شتوةٌ القت كلاكلها
حتى استبدَّ بصفو العيشة الكدر
ومنزلي أبلت الأيام جدَّتهُ
فشفّني المبليان : الهمُّ والسهر
وللفؤاد وجيب في جوانبه
كما يهزُّ الجناحَ الطائر الحذِرُ
والسقف يبكي بأجفان المشوق إذا
ارسى به هَزِم الأَطباء منهمرُ

وعندنا انه افسد كلَّ ما قاله في مديح الخليفة ، وفي استعطافه بقوله :

وابنُ المعاويّ يهوى ان يكون له
مغنى ببغداد لا يُخشى به الغيرُ

ولم ينفعه ان قال بعدها . بعد ان سمّى نفسه « بالمعاوي » :

مثوى يدافع عن كتبي واكثرها
فيه مديحك ان يغتالها المطر .

قال : « فلما عُرضت عليه هذه القصيدة وقّع له بقطعة ارض من الأجمة نائية عن العمران ، وهي قريبة من الثريا فوهبها لبعض الصوفية من اهل بلده . وقال في ذلك (١٣٨) :

إمام الهدى ! لازال عصرك باسماً
عن الشرف الوضّاح والكرم المحض
ارى الأجَمَ استولى عليه قطينه
وفضّل في سكناه بعضٌ على بعض

(١٣٨) الديوان ؛ ٦٧٧/١ .

ونحن بحيث الذئب مــات مروّعاً
يقلّص جفنيه الحذار عن الغمــض
وقد كنت ارجو ان اخيّم عندكـم
بمنزلة بين الرفاهة والخفــض
طلبتُ الثريــا في السماء بمدحكـم
فأنزلتمونــي بالثريــا عـلى الأرض

مديحه للوزراء :

ودرج الأبيوردي على الحديث عن العرب ، وعن تعلّقه بهم . يراهم المثل الأعلى في كل شيء ، ويرى نفسه لا تطيب ولا تهش الا بذكرهم . وكأننا به يذكرهم لتهيج عاطفته وتعينه على الشعر الحسن . يطلب من الوزير نظام الملك استخلاص قريته ممن عدا عليها واغتصبها ، وكان الوزير قد وعده بردها اليه .. واستبطأ الأبيوردي انجاز الوعد ، فقال يذكرّ الوزير ، ويمدحه . وفي القصيدة يتحدث عن نفسه شأن الشعراء في مقدمات قصائدهم ، يقول في مطلع القصيدة (١٣٩)

هي الصبابــة مــن باد ومكتمــن
طوى لها الوجد احشائي على شجن
وحنّةٍ كأوار النــــار يضرمهــا
قلب تملّك رق المدمــع الهتــن

ثم يأخذ في الحديث عن نجد ، يقول :

فحنّ والوجد يستشـــري عليـــه كمـــا
حنَّ الأعاريب من نجد الى الوطـن

(١٣٩) الديوان ؛ ١/٣٥٤ .

تذري دموعَهم الذكرى اذا خطرت
روبحة الحزن تُمري دِرَّة المُزُن
الى ان يقول :
وان سرى بارق عن ارضها طمحت
عين تقلّص جفنيهـا عن الوسـن
واستمل منها اذا ريحُ الصَّبا نسمت
حديثَ نَعمان والأنباء من حَضنَ

وبعدُ أترى الوزير نظام الملك ، يؤثر فيه ما يقوله الأبيوردي عن البرق يسري من جهات نجد فيمنع عين الأبيوردي من الوسن او النوم . ويؤلمه ان استملي الأبيوردي ريح الصبا واحسَّ فيها حديث نَعمان ، وهو واد قريب من عَرَفات بالحجاز ، والأنباء من حَضَن ، وحَضَنَ جبل بأعلى نجد ! ؟ أليس الأولى بالأبيوردي وهو يذكّر باسترداد ضيعته « بجاورس » من – اعمال « نسا » بخراسان ، ان يقول : ان الصبا تهب منها فتستهويه ، وانه يستملي انباءها لشدة تعلّقه بها ، فيعطف قلب الوزير نظام الملك عليه ؟ ولكنه الأبيوردي لا يحلو له الحديث الا عن العرب وعن نجد ، وحين يخطر له هذا ينسى كلّ شيء غيره .

★ ★ ★

ويمدح الأبيوردي قوام الدين ابا نصر احمد بن الحسن بن علي وزير السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي (١٤٠) . ويتحدَّث عن نفسه ايضاً ؛ فلا غير ما يتصل بالعرب من الجَرْعاء . والجرعاء : هي الرملة تجترع الماء ، وعالج ، وهو موضع ببادية العرب ، والنيب وحنينِها الى منازعها ، يقول (١٤١) :

(١٤٠) لقب بألقاب ابيه : قوام الدين ، نظام الملك ، صدر الاسلام .
(١٤١) الديوان ؛ ٥٦٣/١ .

طرقتنـا والركب غيـد الطُـلى
تخـدي بنـا العيس المطـاريـبُ
ونحـن بالجـرعـاء من عالج
حيـث تُطيـل الحنَّـة النيـبُ

ويتحدَّث عن النسوة هناك فيقول :

فقلن إذ ابصرنني باسمـاً
حين زوى الأوجـه تقطيـب
ايَّ هُمـام منك قد رَشَّحت
للمجـد آبـاءُ مناجيـب
فـي غلمةٍ مرُدٍ تمطّـى بهم
الى الوغـى جُردٌ سـراحيـب
خيـل عِراب فـوق اثباجهـا
في حومـة الحـرب اعاريـب

وهكذا تراه يمتدح الوزير ، فلاينسى نفسه واهله المناجيب ، ويمتدح اصحابه على خيولهم الجرد العراب في حومة الحرب ، وهم الشبّان العرب .

وبعدُ ، أترى وزير السلطان السلجوقي التركي يرضيه ان يقال هذا هذا ؟ وان يقال في مديحه ، عن العرب ! ؟

ويمدح نظام الملك ابا علي الحسن بن عليّ بن اسحاق ، وقد فتحت قلعة جعبر سنة سبع وسبعين واربعمائة ، ودخل الأتراك انطاكية ، وكان هذا في زمن السلطان جلال الدولة ملكشاه بن الب ارسلان ، ويقول الأبيوردي في التهنئة بهذا ، ولا ينسى العرب وحديثهم ايضاً ، مع ان السلطان تركي وجنده الذين افتتحوا القلعة اتراك ايضاً ، يقول في مطلع(١٤٢) القصيدة :

---

(١٤٢) الديوان ؛ ١/٣٠١ .

لمعت كناصية الحصـان الأَشقـر
نـار بمعتَلـج الكثيـب الأعفـر
تخبو وتوقـدهـا ولائـدُ عامر
بالمنـدَليّ وبـالقنـا المتـكسِّـر

فتراه لا ينسى ان يشيد بقبيلة عامر الشجاعة المحاربة، ويذكر ولائدها، اللواتي يوقدن النار بعود البخور العطر الرائحة، وبالقنا المتكسّر من الحروب الكثيرة التي يخوضونها .

ويكتب مهنياً سيّد الوزراء ابا نصر ، احمد بن الحسن بن علي بن اسحاق ، وقد استوزره السلطان المعظّم غياثُ الدين ، فلا ينسى ان يشيد بأمويّته ، وباصحابه الأمويين ، يقول : (١٤٣) :

ومكتحلات بالظـلام اثيـرهـا
وهـنّ كأشباح الأهلّـه نُحَّـلُ
وحوْلِي من رَوْقي أميَّة غلمة
بهم تُطفأ الحرب العوان وتُشعَـلُ

والروق : في الأصل : القَرن ،وقد جعله هنا عبارةً عن الطرفين المتقدمين في النسب . ويقول :

سريتُ بهـم والناجيـات كأنهـا
رمـاحٌ بأيديهـم من الخطّ ذُبَّـلُ

ثم انظر هذا الذي يقوله لوزير السلطان السلجوقي عمّا ترومه هذا الغِلْمَةُ من بني اميّـه :

يرومون امراً دونـه جُـرَع الردى
تُعَـلُّ به نفس الكميِّ وتُنهـل

(١٤٣) الديوان ؛ ١/٥٩٨ .

ويقول :

ولم نغترب مستشرفين لثروةٍ
فمرعى مطايانا بيَبْرين مُبْقِلِ

ويبرين : رمل لا تدرك اطرافه عند حَجَرْ اليمامة ، او في اعلا بلاد بني سعد .

وفي ديوانه : « وقال يمدح بعض وزراء العصر » (١٤٤) :

لك الخيرُ هل من لفتةٍ من متيّم
مجالٌ لعتب أو مقال للوّم

وما نظري شطر الديار بنافع
وايّ فصيح يرتجى نفعَ اعجم

وعندنا انه ربما عرَّض بالشطر الثاني من البيت الثاني بالوزير الذي اخفى ذكر اسمه في ديباجة القصيدة ، اذ نسبه الى العجمة ، وقد مرَّ بنا انه التجأ الى الامير العربيّ ابي الشدّادفي الحلّة ، حين استوحش من وزير الخليفة ، فلعلَّ هذا الوزير هو ذاك الذي استوحش منه . وواضحٌ ان الأبيوردي عنى « بالأعجم » هنا الطَّلَلَ الذي ينظر اليه وكأنه تطّلع الى اجابته ، ولكنه وقد اجرى كلامه مُجرى المَثَل ، نراه قد جعل الفصيح لايرتجي نفع الأعجم .

★ ★ ★

وهكذا نرى ان الأبيوردي ، لايغفل عن ذكر العرب ، وعن الثناء عليهم في كل مجال مناسب او غير مناسب .

(١٤٤) الديوان ؛ ٥٨٣/١ .

استولى الفرنج على بيت المقدس سنة اثنتين وتسعين واربع مئة ، فأنشأ الابيوردي قصيدة يحرّض فيها المسلمين على القيام قـومة واحدة ، لردّ الفرنج المغيرين على بلادهم ، والقصيدة مشهورة ، مطلعها (١٤٥) :

مزجنـا دماءً بالدموع السواجـم
فلم يبق منّـا عَرْصةٌ للمرَاحِـم

وفيهـا :

فإيهٍ بني الإسلام إن وراءَكـم
وقائعَ يُـلحِـقْن الذُّرا بالمناسم

ويقول :

دعوناكم والحرب ترنو مُـلحَّـةً
الينـا بألحـاظ النسور القشاعـم

وبعد دعوته هذه لبني الإسلام ، وهو يدري ان بني الإسلام في ايامه اهل الدولة ، والسلطة ، والحرب ، كانوا غير العرب ، ومع هذا ، فهو يقول :

نراقب فيكم غـارةً عـربيّـةً
تُـطيل عليهـا الروم عضَّ الأباهم

نقول : لو كان غير الأبيوردي لقال غارةً تركيّـة او فارسية ، او اعجميّـة و . . ولكنّـه الأبيوردي لايرى مَن يستحق الإشادة غير العرب .

وهجر الأبيوردي العراق وعاد الى فارس ، ولكنه ظلَّ يحن الى العراق . وفي كتبه التي ضاعت ولم تصلنا ، كتاب عنوانه : « تعِلّـة الى سَـال العراق »

---

(١٤٥) الديوان ؛ ٢/١٥٦ . ويروى شطر البيت الأول بروايات مختلفة ، منها : « عرضة للمزاحم » في تأريخ الخلفاء . وفي مختصر اخبار الخلفاء : « فلم يبق فيها عرضة للمزاحم » .

وعنوان الكتاب عندنا يفصح عمّا فيه . وفي ديوانه عـدد من القصائد يذكر فيها العراق ، ويحن اليه ، يقول من قصيدة (١٤٦) :

القى الخطوب ، ولي نفس تشيّعني
غضبي ، وأجزع إمّا بان جيران
اكلّ يوم نوىً تشقى الدموع بها
الى غـواربَ تفـريهـن كـيران
فالعرب مثوى اصيحابي الذين هم
عشيرتي ، ولنا بالشرق إخـوان
أستنشق الريح تسري من ديارهم
وهناً كأن نسيم الريح ريحان
فياسقى الله زوراء العراق حيا
تروى بشؤبوبه قـور وغيطان
فقـد عرفت بها قـومـاً ألفتهـم
كما تمازج ارواحٌ وابدان

وفي ديوانه (١٤٧) : « وكتب الى اصدقائه بمدينة السلام ، من مستقره باصفهان » والقصيدة طويلة باكية ، يستهلّها الأبيوردي ، بقوله :

أضاء بُريق بالعـذيب كليل
فثنيُ نجادي للدموع مسيل

ولا شك في انه اراد بتصغير البرق تصغير التحبب ، وإن وصفه بأنه كليل ، وقال : إنه اضاء بالعُذَيب ؛ والعُذيب تصغير العَذب ، وهو ماء طيّب قريب من القادسيّة ، فهزّه الشوق وأسال دمعه ، حتى صار ثني نجاده مسيلاً للدمع ، وقال :

(١٤٦) الديوان ؛ ٥١٢/١ .
(١٤٧) الديوان ؛ ٥٧١/١ .

فآهاً من البرق الذي بَزَّ ناظري
كراه ، واسراب الدموع هُمولُ

ثم بيّن ان ناقته حنت للبرق لأنها تذكّرت فيه منازعها بنجد

تألق نجدياً فحنّت نُوَيقةٌ
يجاذبها فضل المِراح جَديل

ويقول بعد ذلك إنّ به من الحنين الى العراق او الى العذيب ، ما بالناقة من الشوق والحنين الى نجد ، و لكن ، العبشميّ – يعني نفسه – يلوذ بالصبر الجميل ، يقول :

وبي ما بها من لوعةٍ وصبابةٍ
ولكنّ صبرَ العبشميّ جميلُ

ثم يأخذ في الحديث عن نفسه ، وعن شوقه الى العراق ، يقول :

ومالي إلاّ البرقَ يسري او الصبا
الى حيث يستن الفراتُ رسول

ويقول : إن ركائبه تحن الى ماء الصراة ببغداد ، على حين أن اصحابه على نهر زندرود بإصفهان :

تحن الى ماء الصراة رَكائبي
وصحبي بشطّيْ زرنروذ حُلول(١٤٨)

ويتعجب مما بين هذا وهذا من البعد ، ومما يُثار بينهما من شوق !

(١٤٨) الصراة : نهر ببغداد ، وزرنروذ : تعريب لـ زنده روز : نهر باصفهان وانظر مقال استاذنا المرحوم الدكتور عبدالوهاب بمجلة الرسالة ؛ ٨٦٠/٩ .

أشوقاً واجـواز المهـامـه بيننـا
يطيـح وجيـفٌ دونـهـا وذميـل (١٤٩)

ثم يتحسَّر ويتمنى الرجوع :

الا ليت شعري ، هـل اراني بغبـطةٍ
ابيـتَ عـلى ارجـائهـا وأقيـل

ثم انظر كيف يتذكّرها ، وكيف يرى كل ما فيها بالصورة التي يتخيلها في نفسه :

هـواء كأيام الهـوى لا يُـغِـبّـُـه
نسيم ، كلحظ الغانيات عـليـلُ
وعصـر رقيـق الطـرتيـن تدرّجت
على صـفـحتيـه نظـرةٌ وقبـول
وارض حصاهـا لؤلؤ وترابهـا
تضوَّع مسكاً ، والميـاه شَمـولُ
بهـا العيش غضٌ والحيـاة شهيـَّةٌ
وليلي قصيـر والهـجيـر أصيلُ

ويلتفت – بعد هذا كلّـه – الى اخلائه ببغداد ، يساثلهم عما في نفسه ، يقول :

فقلْ لأخلائي ببغـداد هـل لكـم
سلـوٌّ ؟ فعنـدي رنـةٌ وعويـل
ترنّحـنـي ذكراكـم فـكأنـمـا
تَميـلُ بي الصهبـاء حين اميـل

(١٤٩) المهمه : المفازة البعيدة . واجوازها : معظمها واواسطها . الوجيف والذميل : نوعان من السير السريع .

لئن قصُرت ايام انسي بقربكم
فليلي على نأي المزار طويل

ثم يلتفت الى العجم ، واين هم من العرب في نفسه ! ؟

وحولي قوم يعلم الله أنني
بهم – وهم بي يكثرون – قليلُ

ثم تأخذه الذكرى الى ارض قومه وبيوتهم بالحجاز ، ويتحسَّر كيف اصبحت اطلالاً ، تسكنها الظباء مع اطلائها ، وفي هذا غاية الوحشة فيها عن اهلها ؛ لأن الظباء . مع اطلائها لاتألف من الأطلال إلاّ ما هُجر وطال هجرانه ، وطالت خلوته ، يقول :

ولو لم نرِم بطحاءَ مكة أشرقت
بها غُررٌ من مجدنا وحُجول
إذا ذُكرتْ آل ابن عفّان اجهشت
حُزونٌ ، ورنَّت بالحجاز سهولُ
ترشّح ام الخِشف اطلاءَها بها
وتُسْحبُ فيها للرياح ذيول

ثم يأخذه الحماس فيصيح بصاحبه ابي حسّان يطلب اليه ان يثير جمالهم للرحيل ؛ لأن البأس النزاريّ انكر استكانتهم في غربتهم ، وكذلك انكرت عليه هذا خِندف ، قبيلته ، بل عيرّته رضاه بغربته بنت المعاويّ ، ولعلّها زوجته ، يقول :

أثِرْها ابا حسّان حُدباً كأنها
نُسوع على أوساطهنّ تجولُ
فقد انكر البأس النزاريُّ مكثنا
وخَنْدِف بنت الحميريّ عذول

تعيرّني بنت المعاويّ غربتي
وكل طلوع يقتفيه افولُ
وتعجب اني من ممارسة النوى
نحيفُ ، وفي متن القناة ذبول
لئن انكرت منيّ نحولاً فصارمي
يغازله في مضربيه نحول
ولم تبدع الأيام فيّ بنكبةٍ
فبيني وبين النائبات ذُحول

وواضح ان الأبيوردي لم يأخذ بثأره من الأيام . لقد ظلت تتسحّبُ به ، حتى مات مسموما بإصبهان !

ولا بأس ان نختم حديثنا عن الأبيوردي وتعلّقه بالعروبة ، وبالعرب وبلدانهم بأجزاء من قصيدة كتبها الى الخليفة ، بعد ان صدرت اليه كتب من الديوان العزيز ، عوتب فيها على مفارقة بغداد ، رغبةً في عوده اليها (١٥٠) ، فيها :

لكَ من غليل صبابتي ما اُضمِرُ
واسِرُّ من الم الغرام واظهرُ
وتذكّري زمن العُذيب يشفّني
والوجد ممنوٌّ به المتذكّر (١٥١)

ثم انظر ماذا يتذكّر ! إنه يتذكر شبابه ، وملاعب شبيتبه في بغداد ، يقول :

إذ لمّتي سمحاء مدّ على التقى
أظلالها ورق الشباب الأخضر

(١٥٠) الديوان ؛ ١/٣٣٩ .
(١٥١) ممنو مبتلى .

هو ملعبٌ شرِقت بنا ارجاؤه
اذ نحن في حُلَل الشبيبة نخطِر

فبحرّ انفاسي وصوْب مدامعي
أضحت معالمه تُراح وتُمطر

وأجيلُ في تلك المعاهد ناظري
فالقلبُ يعرِفها وطرفي يُنكِرُ

واردُّ عَبْرتي الجموحَ لأنَّها
بمقيل سِرِّك في الجوانح تُخبِرُ

ويأخذ في مديح الخليفة . . . ثم يتحدَّث عن بغداد :

بغداذَ ! ايّتها المطيُّ فواصلي
عَنَقاً تئن له القِلاص الضُمَّرُ

إني وحقّ المستجنّ بطيبةً
كَلِفُ بها والى ذَراها أَصْوَرُ (١٥٥)

وكأنني مما تسوّله المنى
والدار نازحة اليها انظر

ارضٌ تجرّ بها الخلافة ذيلها
وبها الجباه من الملوك تعفَّر

---

(١٥٢) شرقت :امتلأت وغصّت .
(١٥٣) تراح معالمه بانفاسى ، وتمطر بصوب مدامعى .
(١٥٤) بغداذَ : منصوبة بفعل مقدّر . اى اقصدى بغداذَ . عَنَقا : نوع من سير الابل . والقلاص : حمع القلوص : الناقة الشابة . والضمر : النحيفات .
(١٥٥) طيبة : مدينة الرسول (ص) وهو يقسم به صلى الله عليه وسلم . واَصوَر : مائل العنق .

فكأنهـا – جُـليتْ علينـا – جنَّـةٌ
وكأن دجلـة – فاض فيـهـا – الكوثر

وهواؤهـا ارج النسيـم وتُـربُـهـا
مِسكٌ تهـاداه الغـدائر أَذْفر (١٥٦)

الى ان يقـول مستحسراً :

فصـددت عـنها إذ نبـا بي مـعشر
وبغـى عـليَّ من الأراذل مـعـشر

من كل ملتحفٍ بمـا يصـم الفـتـى
يؤذي ويظلـم او يخـونُ ويغـدِر

فعففت منـه يـدي مخـافـة كـيده
إن الكريم عـن الأذى لايصبـر



(١٥٦) الذَفَر : بالتحريك ؛ كل رائحة ذكيّة .

الأُسلوبيَة إلىٰ أينَ ؟

الدكتور احمد مطلوب
عضـو المجمع
كلية الآداب ـ جامعة بغـداد

الأدب تعبير عن الحياة وتصوير للمشاعر الذاتية والجماعية ، والنقد ميزان الأدب ومقياس الحكم عليه ، وهما غير ثابتين ، لان الحياة متغيرة والمواقف متفاوتة . ودراستهما تقتضي الوقوف على جوانبهما المختلفة ورصد الاتجاهات والتيارات التي تفضي الى لون جديد من الأدب والنقد . وقد عرف العصر الحديث تحولات أدبية ونقدية ، وظهرت مذاهب لونت الابداع وحركت الأقلام وأثارت الصراع ، وشهد الوطن العربي ألوانا من تلك التحولات ، فبعد أن كان الصراع بين القديم والجديد عنيفا ، والتعصب للذاتية والواقعية كبيرا ، بدأ النزاع بين البنيويين وخصومهم ، وبين الاسلوبيين ومنازعيهم وكان كل فريق يصدر عما استقر في ذهنه وآمن به ايمانا لايرقى اليه ظن ولايخامره ريب . وقديما كان مثل هذا الصراع غير أنه لم يصل الى التكفير والاستعداء أو الوصف بالجهل والتخلف أوالخروج على أصالة الفكر العربي ومقومات الأمة الثقافية . وكان السلف اكثر تفتحا ، وأرحب صدرا ، وكانوا يتفاعلون مع الثقافات حتى إذا ما اتضح السبيل وظهر الحق صرحوا بما آمنوا وأعلنوا رأيهم مؤيداً بالحجة والدليل . واليوم لاحت في الأفق الأدبي مذاهب واتجاهات

وتلقفها الباحثون العرب ، وكانت « الأسلوبية » قد أثارت الأذهان ونبهت على لون من البحث جديد، فتعصب لها قوم وسخر منها قوم ونأوا عنها معرضين.

عرف العرب مصطلح « الأسلوب » ، وهو من سطر النخيل ، لان كل طريق ممتد أسلوب ، وقالوا : إن الاسلوب هو الطريق والوجه والمذهب ، والجمع « أساليب » ، وهو الفن ، يقال : أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه(١) .

والأسلوب عند ابن قتيبة (ـ ٢٧٦ هـ) طريقة العرب في النظم ، والشاعر المجيد« مَنْ سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد » (٢) . ويستحبّ له « ألا يسلك فيما يقول ألاساليب التي لاتصح في الوزن ولاتحلو في الأسماع (٣) . وكان هذا مقياسا لمعرفة فضل القرآن ، فلا يعرفه إلاّ « من كثر نظره فيه واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب» (٤) .

وحمل اللاحقون هذا المعنى وعرفوا أن الأساليب مختلفة باختلاف الأغراض والمذاهب ، فقال القاضي الجرجاني (ـ٣٩٢هـ) : « كان القوم يختلفون في ذلك ، وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره ، وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق »(٥) . وأوصى بتعدد الأساليب فقال : «ولا آمرك باجراء أنواع الشعر كله مجرى

(١) لسان العرب (سلب) .
(٢) الشعر والشعراء ج١ ص ٧٥ .
(٣) الشعر والشعراء ج١ ص ١٠٢ .
(٤) تأويل مشكل القرآن ص ١٠ .
(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٧ .

واحدا ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح بالباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجالس والمدام فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه».(٦)

وذهب الخطابي (-٣٨٨ هـ) الى هذا المعنى ، فالاسلوب هو الطرق والمذاهب وأودية الكلام المختلفة ، وربط بينه وبين الغرض والموضوع (٧) ، ولم يخرج الباقلاني (-٤٠٣ هـ) والحاتمي (-٣٨٨ هـ) وابن رشيق (-٤٦٣ هـ) والحصري (-٤٥٣ هـ) عن هذا الاتجاه كثيراً (٨) .

وبدأ تعريف الأسلوب يتضح ، وأخذت الأساليب تتجلى ويبدو أثرها في اخراج المعاني . ومزج عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) بين الأسلوب والنظم فقال : « واعلم أنّ الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه ، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا - والاسلوب : الضرب من النظم والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر الى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال : قد احتذى على مثاله».(٩) ولا يظهر هذا التقليد إذا اتخذ الشاعر أسلوبا

---

(٦) الوساطة ص ٢٤ .

(٧) ينظر بيان اعجاز القرآن - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٤٢ ، ٦٠ .

(٨) ينظر اعجاز القرآن ص ٧٥ . حلية المحاضرة ج١ ص ١٢٤ ، العمدة ج١ ص ٢٥٧ ، زهر الآداب ج١ ص٦ .

(٩) دلائل الاعجاز ص ٣٦١ .

خاصاً ، وأبرز المعنى بصورة جديدة ، ولا تقع السرقة إلا إذا سلخ الكلام سلخا ، أو حوّر قليلا ، كأن يقول القائل :

ذر المآثر لاتذهب لمطلبها　　　واجلس فانك أنت الآكل اللابس

وهو تحريف لقول الحطيئة :

دع المكارم لاترحل لبغيتها　　　واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

والاسلوب هو الذي يرفع الكلام ويجعله مونقاً بليغا ، والفرق كبير بين قول الناس : « الطبع لا يتغير ، ولست تستطيع أن تخرج الانسان عما جبل عليه » وقول المتنبي :

يراد من القلب نسيانكم　　　وتأبى الطباع على الناقل

فبيت الشاعر « قد خرج في أحسن صورة ، وتراه قد تحوّل جوهرة بعد أن كان خرزة ، وصار أعجب شيء بعد أن لم يكن شيئاً » (١٠) .

وانتفع جار الله الزمخشري (-٥٢٨ هـ) بنظرية النظم في تفسيره « الكشاف » عند تعرضه للأساليب المختلفة في القرآن الكريم ، وربط بينها وبين المواقف ، ولعل نظرته الى الالتفات تفصح عن إدراكه لأهمية الأسلوب وصلته بالمعنى (١١) .

وأخذ السكاكي (-٦٢٦ هـ) بهذه النظرة وإن لم يكن أديباً مرهف الحس ، ونظر الى الالتفات كما فسره الزمخشري (١٢) ، وربط بين الاسلوب وخروج الكلام على مقتضى الظاهر فقال : « ولهذا النوع – أعني اخراج الكلام لاعلى مقتضى الظاهر أساليب متفننة ، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلاّ ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على مانبه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه

---

(١٠) دلائل الاعجاز ص ٣٢٤ .
(١١) ينظر الكشاف ج١ ص ١١ .
(١٢) ينظر مفتاح العلوم ص ٩٥ .

الصناعة ونرشد اليه تارة بالتصريح وتارات بالفحوى ، ولكل من تلك الاساليب عرق في البلاغة يتسرب من أفانين سحرها »(١٣) .

ولم يحدد ضياء الدين بن الأثير (--٦٣٧هـ)معنى الاسلوب وإن كان يريد به الطريقة وأوجه التصرف في المعنى واخراجه بأساليب تظهر المعنى وتفتن فيه (١٤) . وظل هذا المعنى مدار البحث ، فالاسلوب عند حازم القرطا جني (ـ٦٨٤هـ) الطريقة ، والأساليب تتنوع بحسب مسالك الشعراء في كل طريقة من طرق الشعر ، وبحسب تصعيد النفوس فيها الى حزونة الخشونة أو تصويبها الى سهولة الرقة ، أو سلوكها مذهبا وسطا بين ما لان وما خشن من ذلك ، فالكلام بحسب هذه الانحاء ثلاثة أساليب ينحى فيها بحسب البساطة والتركيب أنحاء يختلف الناس فيما تميل بهم أهواؤهم اليه من ذلك بحسب اختلاف طباعهم(١٥) ويأتي الأسلوب عنده بمعنى صورة التعبير أو هيئته(١٦) .

واستعمل السجلماسي (ـ بعد ٧٠٤ هـ) الأسلوب بمعنى الأنواع والطرائق ، وأطلق على فنون البلاغة مصطلح الأساليب فسمى أحد كتبه « المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع » أي انه الفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة والاشارة والمبالغة والتضمين(١٧) . وهو ما ذهب اليه ابن البناء المراكشي (القرن الثامن هـ) فأطلق الأساليب على فنون البلاغة المختلفة(١٨) .

والاسلوب عند العلوي (ـ٧٤٩ هـ)هو التفنن في الكلام ومراعاة ماتقتضيه

---

(١٣) مفتاح العلوم ص ١٥٥ .

(١٤) ينظر المثل السائر ج١ ص ١١٢ ، ٣٣٠ ، ج٢ ص ١٥ ، ١١٩ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ٢٧٢ ، ٤٠٩ .

(١٥) ينظر منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ٣٥٤ .

(١٦) ينظر منهاج البلغاء ص ٣٦٣ .

(١٧) ينظر المنزع البديع ص ٢٠٨ ، ٢٦١ .

(١٨) ينظر الروض المريع ص ١٧٣ .

أصول علم النحو وفروعه (١٩) . وهذا هو النظم الذي عرفه عبدالقاهر بقوله : « ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علمالنحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلاتزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التيرسمت لك فلا تخلّ بشيء منها»(٢٠) وتتفاوت الأساليب وطرائق التعبير باختلاف النظم ووضع الكلام .

ولم يخرج المتأخرون عن هذا المعنى ، وكان ابن خلدون (ـ ٨٠٨ هـ) قد قال : « ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريد ون بها في إطلاقهم ، فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه . ولا يرجع الى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ، وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيبوأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصاً كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي ، فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة (٢١) » .

وهذا تعريف دقيق فرّق فيه ابنخلدون بين اللغة والأسلوب ، وبين التراكيب والأسلوب ، وبين الوزن والأسلوب ، وقرر أن الأسلوب هو المنوال الذي

(١٩) ينظر الطراز ج١ ص ١٥٨ ، ج٢ ص ٢٢٢ .
(٢٠) دلائل الاعجاز ص ٦٤ .
(٢١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٠ .

تنسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه الكلام ، وأن لكل فن أساليب تختص به ولا تصلح لغيره . وكان قد نبه على اختلاف الأساليب باختلاف الزمان ، ودعا الى مطابقتها لمقتضى الحال ، فان « المقامات مختلفة ، ولكل مقام اسلوب يخصه »(٢٢) . وهذا القول هو صفوة ماأشار اليه القدماء فهم قد ربطوا بين الأسلوب والتصرف في المعنى واختلاف المواقف والزمان وطبيعة الموضوع ، وربط عبدالقاهر بينه وبين النظم ، وهو دراسة أسلوب الكلام من حيث التعبير والتصوير والتحسين، ولا يقع الامن خلال النظم لان « الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون ، لانه لايتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم ، قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره »(٢٣)، ولا يؤتى بالتحسين إلا إذا طلبه المعنى واستدعاه وساق نحوه(٢٤) .

ولم يكن هذا المعنى بعيداً عن المعاصرين ، وألفت كتب في « الاسلوب » و« الدفاع عن البلاغة » وعرفوا الاسلوب بانه « طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتأليف الكلام »(٢٥) .

وانه « طريقة التفكير والتصوير والتعبير » (٢٦)

وانه « الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويبين بها عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات »(٢٧) .

---

(٢٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٦٨ .
(٢٣) دلائل الاعجاز ص ٣٠٠ — ٣٠١ .
(٢٤) ينظر اسرار البلاغة ص ١٠ ، دلائل الاعجاز ص ٤٠٢ .
(٢٥) دفاع عن البلاغة ص ٧٠ .
(٢٦) الاسلوب لاحمد الشايب ص ٣٨ .
(٢٧) اسس النقد الادبي عند العرب ص ٤٢٠ .

وانه « اختيار الالفاظ وترتيبها في شكل له أثره وطابعه في اللغة المستعملة »(٢٨)

وانه « طريقة التعبيرعن التفكيرباختيار الالفاظ ورصفها في عبارات جميلة»(٢٩) وهذه حدود متشابهة ليس فيها تفرد ، لانها صدرت عن المعنى الواضح للاسلوب ولم ترق بعضهم هذه الحدود فمضى يلتمس تعريفاته مما شاع في الغرب فالاسلوب « هيئة النص التي تحصل من اختيار الوسائل التعبيرية التي تحددها طبيعة الكاتب وميوله »(٣٠) .

وهو « قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه »(٣١) .

وهو « الميزة النوعية للأثر الأدبي » و « شرارة نوعية لاينفذ اليها الفاحص إلا بطريقة الحدس ومن أجل ذلك يحس ولا يعبر عنه » . وهو « اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر الى خطاب يتميز بنفسه » أي : « أن الأسلوب رسالة أنشأتها شبكة من التوزيع قائمة على مبدأ الاحتمال والتوقع »(٣٢) .

وهو « صراع متواصل عنيف ضد اعتباطية الدال » أي « أن الكتابة العادية غير الكتابة الأدبية حيث تستعمل الدوال مدلولات » ويمكن أن يعبر عن المعاني نفسها بدوال أخرى وهو ما لا يقع في النص الأدبي(٣٣) .

---

(٢٨) الاسلوب للدكتور محمد كامل جمعة ص ٦٣ .
(٢٩) في الاسلوب الادبي ص ٨٥ .
(٣٠) في الاسلوب الادبي ص ٨ .
(٣١) الاسلوبية والاسلوب ص ٦٤ .
(٣٢) النقد والحداثة ص ٥٤ ، ٥٨ .
(٣٣) ينظر كلام الهادي الطرابلسي في مجلة فصول (المجلد الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤) ص ٢٢٠ .

وكان بوفون قد قال من قبل إن « الأسلوب من الرجل نفسه »(٣٤) .

وتعددت حدود الأسلوب وأخذت مسارات لاتلتقي في كثير من الأحيان وان كانت في الأصل ترجع الى « طريقة الانسان في التعبير عن نفسه »(٣٥) لان الاسلوب « أصعب ملكات الانسان تحديدا » ولان محتواه « واسع الى حد أنه يتفجر غبارا من الفكر المستقلة إذا أخضعناه للتحايل »(٣٦) .

ودراسة الاسلوب قديمة ، وقد ارتبطت بالبلاغة وقواعدها المعيارية ، وكان هذا سببا لتجاوزها في العصر الحديث وإهمالها والأخذ بالاسلوبية التي ظهر مصطلحها في بداية القرن العشرين .

ويرتكز حقلها على « ثنائية تكاملية هي من مواضعات التفكير اللساني، وقد أحكم استغلالها علميا سوسير وتمثل في تفكيك الظاهرة اللسانية الى واقعين : ظاهرة اللغة وظاهرة العبارة ، وقد اعتمد كل اللسانيين بعد سوسير هذا الثنائي فحاولوا تركيزه في التحليل وتدقيقه بمصطلحات تتلون بسمات اتجاهاتهم اللسانية »(٣٧) . وهو ما اهتم به عبد القاهر حينما فرق بين اللغة والكلام وقرر أن اللغة تختص بالكلمات المفردة ومعانيها ، والعلم بها « لايعدو أن يكون علما باللغة وبأنفس الكلم المفردة وبما طريقه الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل اليه باعمال الفكر »(٣٨) ، وان « الالفاظ المفردة التي هي أوضاع

(٣٤) دفاع عن البلاغة ص ٨١ ، النقد التطبيقي والموازنات ص ٢٠٥ ، والشائع ان عبارة بوفون « الاسلوب هو الرجل » ينظر مجلة فصول ـ بحث احمد درويش ص ٦١ ، في الاسلوب الادبي ص ٦٠ ، الاسلوبية والاسلوب ص ٦٧ ، نظرية اللغة في النقد القديم ص ٥٠٠ .

(٣٥) معجم مصطلحات الادب ص ٥٤٢ ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ٢٢ .

(٣٦) في الاسلوب الادبي ص ٥ ، وينظر في فلسفة النقد ص ٩١ .

(٣٧) الاسلوبية والاسلوب ص ٣٨ .

(٣٨) دلائل الاعجاز ص ٣٠٣ .

اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لان يضم بعضها الى بعض »(٣٩) .
وأكد أن الكلام هو ما يؤدي به الانسان أغراضه ومراميه ، لانه وسيلة التعبير عما في مكنون الضمير . وقد انطلق في هذا من ان اللغة مشتركة بين أصحابها فلا يقع في ألفاظها تمايز بينهم وانما يقع في الكلام ونظمه أي في الأسلوب .

وبدأت معالم الاسلوبية تتحدد على يد شارل بالي وإن لم يقصد بعلم الاسلوب « دراسة الأسلوب الأدبي » لان اهتمامه انصبَّ على اللغة نفسها(٤٠) .
وأخذت الاساوبية طريقها الى النقد الأدبي وأصبحت معلما من معالم درسه الحديث وتعصب لها قوم وأنكرها قوم آخرون .

فما الأسلوبية ؟

قالوا إنها « البحث عن الأسس الموضوعية لارساء علم الاسلوب » (٤١) .
وانها « منهج لساني تقوم على البحث فيما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب اولا وعن اصناف الفنون الانسانية ثانيا » أي انها « وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من علم اللسان »(٤٢) وانها « نوع من الحوار الدائم بين القارىء والكاتب من خلال نص معين » (٤٣) .

وانها « طريقة في تحليل شكل النص مع الافادة من معطيات علم اللغة — اللسانيات » (٤٤) .

---

(٣٩) دلائل الاعجاز ص ٤١٥ .
(٤٠) ينظر نظرية الادب ص ٢٢٨ ؛ الاسلوب والاسلوبية ص ٣٧ ، ١٠٨ ، البلاغة والاسلوبية ص ١١٩ ، الاسلوبية والاسلوب ص ٨٩ ، التركيب اللغوي للادب ص ١٠١ .
(٤١) الاسلوبية والاسلوب ص ٣٤ . (٤٢) النقد والحداثة ص ٥٨ .
(٤٣) دليل الدراسات الاسلوبية ص ٧ .
(٤٤) مجلة آداب المستنصرية (الجزء السادس عشر سنة ١٩٨٨) ص ٢٣٩ . بحث الدكتور سمير شريف ستيتية الموسوم بـ « بحث منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي » .

وبعض هذه التعريفات لا توضح معنى الاسلوبية وتحدد مداها ؛ لانها انطلقت من وجهات نظر متفاوتة ، فما الاسس الموضوعية ؟ وما ذلك الحوار الدائم بين القارىء والكاتب ؟ وما تلك الطرائق المســتقاة من اللســانيات ؟ هذه اسئلة لا تجد الأجوبة عنها الا في أذهان بعضهم ، وان كانت الحرية مجال الأدب والنقد ولكن لا ينبغي أن تكون مطلقة لا يلتقي النقاد فيها على خيط رفيع يكون مؤشرا للباحثين .

وظن بعضهم أن « الاسلوبية » تتضح إذا ارتبطت بالعلم فقيل انها « علم الاسلوب » وتعصب لها تعصبا عظيما ودعا الى أن تناهض المناهج القديمة وتهدمها لانها الوريث الشرعي للبلاغة (٤٥) . وأنكر بعضهم علميتها فقال : « إنه ليس من المحتمل ان تكون الدراسة الأسلوبية للأدب يوما علما من العلوم ، ولكن لا حاجة لها أن تكون فوضى من الأخيلة الذاتية » (٤٦) . وذهب بعضهم الى أنها « علم غيرذي موضوع » (٤٧) . وقال بعضهم انها « تحليل لغوي موضوعه الأسلوب ، وشرطه الموضوعية . وركيزته الألسنية ، بيد أن التحليل وما ينتج عنه من معرفة لا يكفي لتحديد اي علم من العاوم ، والموضوعية شرط لازم، ولكنه غير كاف للكلام على العلم ، ولا تصبح الاسلوبية علماً لاقتباسها من علوم أخرى كالألسنية والاحصاء . فالتحليل الألسني لا يندمج في التحليل الاسلوبي وما يهم الاحصاء لا يهم الأسلوبية بالضرورة والعكس صحيح أيضاً»(٤٨)

---

(٤٥) ينظر الاسلوبية والاسلوب ص ٧ ـ ١٠٧ . النقد والحداثة ص ٤٤ ، مجلة فصول (المجلد الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤) ص ٢١٦ ، ٢١٩ .

(٤٦) الاسلوب والاسلوبية ص ٣٠ .

(٤٧) مجلة فصول ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٤٨) دليل الدراسات الاسلوبية ص ٣٧ . ومصطلح « الاسلوبية » اوفق من مصطلح « علم الاسلوب » . وهي لفظة تقرها العربية لانها مصدر صناعي عرف منذ القديم واقره مجمع اللغة العربية في القاهرة بقوله : « اذا اريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء » . ينظر مجموعة القرارات العلمية ص ٢١ .

وهذا الخلاف في تحديد الأسلوبية وموقعها في الدراسات ادى الى طريقين :

الأول : خضوع النقد للمعايير الصارمة التي ناءت بها كتب البلاغة القديمة، وحفلت بها كتب التحليل اللغوي الحديث .

الثاني : الانطلاق في التحليل ، والافتراق بين النقاد ، وهو ما اضفى على النقد ذاتية ابعدته عن الموضوعية وجعلته كلا ما ليس فيه اتفاق .

وكان قد ظهر للأسلوبية مفهومان في مطلع هذا القرن :

الأول : دراسة الصلة بين الشكل والفكرة ولاسيما في ميدان الخطابة عند القدماء .

الثاني : الطريقة الفردية في الأسلوب او دراسة النقد الاسلوبي وهي تتمثل في بحث الصلات التي تربط بين التعبيرات الفردية او الجماعية (٤٩) . وكان الأخير مدار الخلاف بين الاسلوبيين وتعدد اتجاهاتهم ، فهناك الاسلوبية التعبيرية ، والاسلوبية البنائية ، والاساوبية التأصيلية ، والاسلوبية النفسية الاجتماعية ، والاسلوبية الأدبية ، وهناك المدرسة الفرنسية ، والمدرسة الاسبانية ، والمدرسة الاميركية (٥٠) . وأدى هذا التعدد الى الصراع العنيف بين الانصار وخصومهم ، وانتهى الأمر الى طريق مسدود أو تكفير لا يقره البحث العلمي والمنهج السديد .

ولعل من اهم السمات المميزة للدراسة الاسلوبية انها « تبدأ من العمل الادبي نفسه ، ومن الكلمات والطريقة التي ترتبط في القطعة الكتابية الخاصة . وليس ثمة حدود يحظر على طالب الأسلوب تجاوزها ، ولكنه يبدأ في الأقل

(٤٩) ينظر البلاغة والاسلوبية ص ١٢٨ .
(٥٠) تنظر مجلة فصول (المجلد الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤) ص ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٠ ، دليل الدراسات الاسلوبية ص ٧ ـ ٨ ، التركيب اللغوي للادب ص ٩٨ ـ ١٠٨ .

من نقطة ايجابية يمكن تحديدها » (٥١) . أي « ليس من هم الأسلوبية أن تتعرض لرسالة الأدب وأهدافه – مثلا – كما انها لا تتدخل في التمييز بين مذاهب الأدب المختلفة ، وهي امور تعرضت لها اتجاهات اخرى كتلك التي ترى في الأدب تمثيلا لتجربة بشرية ، أو التي ترى فيه نقداً للحياة ، او تلك التي ترى فيه فنا «للفن » او تلك التي ترى فيه وسيلة للتعبير عن الذات الفردية أو تلك التي تسعى من خلاله الى اظهار ما في الحياة من حسن او قبح . وكما أنه ليس من هم الأسلوبية تناول اهداف الأدب وغاياته ، كذلك ليس من همها أن تتدخل في هذا الأدب بتقييمه . وانما يتسع مجال ذلك لاتجاهات نقدية اخرى منها ما ينبني على الذوق الشخصي . ومنها ما ينبني على بعض القواعد الجمالية المحددة » (٥٢) .

وهذا جانب من النقد الأدبي لايمثل نظرةشاملة كما يذهب اليه بعضهم فيقول إنها « منهج علمي في طرق الأسلوب الأدبي » وانها « نظرية شمولية فيه من حيث إنها تحدده وتضبط السبل العملية لتحليله اختباريا » وان « كل نظرية نقدية في الأدب تقتضي الاحتكام الى مقياس الأسلوب باعتباره المظهر الفني الذي به قوام الابداع الأدبي » (٥٣) .

والأسلوبية « تدرس في النص اللغوي العناصر التي يستعملها الكاتب ليفرض على القارىء طريقة تفكيره » أي انها تدرس « خصائص الابلاغ – لا كلام عادي – وانما على اساس انها تبرز خصائص شخصية الكاتب وتجلب انتباه القارىء » . وان التفكير الأسلوبي « يقصر نفسه على النص في حدّ ذاته بعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية او نفسية » وانها « علم يهدف الى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الادراك لدى

---

(٥١) الاسلوب والاسلوبية ص ٤٩ .
(٥٢) البلاغة والاسلوبية ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
(٥٣) الاسلوبية والاسلوب ص ١٠٩ – ١١٠ .

القارىء المتقبل والتي بها يستطيع ايضا أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم والادراك » . وان مهمتها « أن تتبع بصمات الشحن في الخطاب عامة او ما يسميه اللغويون يالتشويه الذي يصيب به سامعه في ضرب من العدوى » ، وانها بعد ذلك « رفع الحواجز بين اللغة وتاريخ الأدب ، وهي بذلك علم شامل للدلالات المكرسة في جهاز الأثر الأدبي » (٥٤) .

وهذا حكم يصعب تطبيقه لاظهار ما في النص من خصائص متفردة وقدرة على التعبير والاثارة لينفعل المتلقي كما انفعل الأديب وهو يعبر عن تجربته . ولن يقدر المتعصبون لها أن يضفوا عليها الكمال او يعدوها المنهج الشامل الوحيد في دراسة الأدب ؛ لانها مهما اتسعت « لا يمكن أن تشمل حقل الدراسة الأدبيةبأكمله، وان كثيراً مما يهتم به طلاب الأدب يحتوي على وحدات اكبر من ان تستطيع دراسة الاسلوب التغلب عليها ، وهي الحبكة ، والشخصية ، وتناسق الأفكار » (٥٥) . ودراسة النص دراسة اسلوبية لا تحل مشكلات النقد لانها تنطلق لغويا من النص . وتعدّ كل نص فريدا لا يقاس عليه . وفي ذلك غياب للأصول التي يتخذها النقاد اساسا لاستكشاف قيمة النص وتفرد الأديب . ومن ذلك تحليل قصيدة « ولد الهدى » لأحمد شوقى (٥٦) ، فبعد ان مهد الباحث لنقده بالكلام على الاسلوبية التنظيرية ، والأسلوبية التطبيقية ، وأسلوبية التحليل الأصغر . وأسلوبية التحليل الأكبر . وأسلوبية الوقائع ، وأسلوبية الظواهر ، وأسلوبية النماذج ، وأسلوبية السياق ، وأسلوبية الأثر ، ونمط التفاصل ، ونمط التداخل ، ونمط التضافر ، بدأت المعادلات الرياضية محددة معيار الكشف ليغدو التضافر مفتاح سر القصيدة الشعري الذي جلاه الباحث باربعة معايير استكشافية هي : معيار المفاصل . ومعيار المضامين . ومعيار القنوات ، ومعيار البنى النحوية.

(٥٤) النقد والحداثة ص ٥١ ــ ٥٥ .
(٥٥) الاسلوب والاسلوبية ص ١٠٩ .
(٥٦) ينظر النقد والحداثة ص ٦١ ــ ١٠١ .

وكانت أول تجليات الظاهرة الأسلوبية بناء القصيدة على تضافر المفاصل وهي « تشابك مواطن الانتقال من شحنة اخبارية الى اخرى » وتتصل به ظاهرة التصاهر التي تؤدي الى أن يكون للخطاب الشعري ثلاثة محاور هي : دلالات تتصل بالرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – وبالدين الاسلامي وبالأمة الاسلامية ، واذا ترجم ذلك الى مركبات جهاز البث الشعري كان ما يتصل بالرسول الكريم يمثل طرف المرسل – بالفتح – وما يتصل بالدين الاسلامي يمثل الرسالة، وما يتصل بالأمة الاسلامية يقوم مقام المرسل اليه . وبنى الباحث عليه جدولا ضم فيه الجهاز الشعري وهو بنية الشعر وبنية الدلالة والطرف المتلقي ، والجهاز المرجعي محمد – صلى الله عليه وسلم – والاسلام والأمة الاسلامية ، والجهاز المفهومي وهو المرسل – بالفتح – والرسالة والمرسل اليه . ويمضي الباحث في هذه السبيل ويذكر احصائية للضمائر ، ويرسم جدولا عموديا يتضمن ارقاما صغيرة وارقاما كبيرة وارقاما لاتينية ، ويستنطق المعادلات الرياضية . فيقول : « فلو رمنا تجريد بنية صورية من بنية الانتظام الكلامي في الخطاب الشعري – وهو ما قد يزعج الشعر واهل الشعر – لأمكننا أن نرمز الى الحركة الداخلية في توازي نمطي الصوغ الابداعي بخط بياني يرسم على محورين متصامدين ويكون منحنيا يتصاعد فيبلغ قمته في نقطة معينة ، ثم ينحني بعدها متنازلا فيكون نصفاه متناظرين لو اتخذت المحور الرأسي وطويت وفقه مارسمته عليه لتطابق الجناحان . ومعلوم أن المعادلة الجبرية التي تنشيء هذا الخط البياني في احدى احتمالاتها هي من شكل :

أ س ٢ + ب س + ج = صفر

ولكن الذي يعنينا نحن العاكفين على الابداع وأساليب الابداع انما هو التذكير بان الشرط الأساسي لتحول هذه المعادلة الجبرية الى ذلك الخط البياني الذي سنمه قمة عليا هو أن يكون المحدد – بالكسر – العددي (أ) ذا قيمة موجبة . اذ لو جاء سالبا لأصبح الخط تنازليا قمته من أسفل » .

ويتوالى الكلام وتتشابك المصطلحات والالفاظ ، ويختم الباحث تحليله للقصيدة بقوله : « لقد رأينا كيف انبنت قصيدة « ولد الهدى » على نمودج أسلوبي مداره ظاهرة التضافر تحققت في المفاصل والمضامين وأجريت في القنوات الأدائية ثم تشكلت في البناء التركيبي فجاء النص نسيجا لحمته الائتلاف وسداه الاختلاف ، فلا التكثيف بمفض الى الاشباع ولا الاطراد ببالغ حدّ الرتابة ، فاذا بالتضافر صورة للتعدد في صلب الوحدة ، واذا به مفتاح تنكشف به ابداعية الشعر في احدى اللوحات الروائع التي خطتها ريشة أمير الشعر . ومن شاء التوسـل بالتشـكيل الصـوري تراءت له « ولد الهدى » هرما واجهاته الأربع هي : المفاصل ، والمداليل ، والقنوات ، والبنى النحوية ، وهو زجاجي المادة بلوري التركيب يدور على رُكح — محوره البناء الشعري — يخترقه فيجمع قمته الى مركز قاعدته ، فمن أي الواجهات نظرت بدت لك البلورات متعاكسة الاشعاع فاذا ادرت الهر م على قطبه الرأسي تبدلت انكسارات الأشعة وتحولت صور البلورات عند انعكاسها على سطح الواجهات . أما مركز ثقله فهو نقطة الكثافة المولدة للأشعة توليد التضافر للطاقة الابداعية عند تمازج المكونات » .

هذا لون من التحليل الأسلوبي لا يقدم مادة ، ولا يحقق هدفا ، ولايظهر قيمة للنص ، وانما هو قدرة انشائية انطلق فيها الباحث من تصوره لمنهج يريد فرضه على الدراسات النقدية . إن دراسة النص من الداخل منهج سليم غير أن تحليل قصيدة « ولد الهدى » بهذه الطريقة أفقد النص قيمته وجعله أسيرا لفرضيات قسرية ، ومصطلحات متشابكة ، ومعادلات رياضية لا يحتملها النص ، وفي ذلك قضاء على روح القصيدة التي تعد من أجمل الشعر الغنائي في العصر الحديث .

إن تحليل النص مهمة شاقة ، وهو لا يقتصر على دراسة العلاقات اللغوية والاحصائيات والمعادلات . وانما ينبغي الوقوف على الالفاظ والتراكيب

والصور . وايضاح العلاقة بينها ، ولم يكن البلاغيون والنقاد العرب على خطأ حينما حللوا الكلام وفرقوا بين تعبير وتعبير ، او تصوير وتصوير ، واعطوا حكما يعتمد على التفسير والتعليل . وكان عبدالقاهر صادقا في تحليله دقيقا في تعليله لانه « لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياسا ما ، وأن تصفها وصفا مجملا ، وتقول فيها قولا مرسلا . بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصّل القول وتحصل . وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلام وتعدّها واحدة واحدة . وتسميها شيئا شيئا ، وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم كل خيط من الابريسم الذي في الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع وكل آجرة من الآجر في البناء البديع » (٥٧) . وهذا منهج واضح يهدف الى التفصيل في دراسة النص والكشف عما فيه من ابداع . ويسعى الى الوقوف على ما بين الألفاظ من علاقات تحدد المعنى وتبينه . ويدعو الى استجلاء مواضع الاستحسان والاستهجان إذ « لابد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة . وأن يكون لنا الى العبارة عن ذاك سبيل ، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل » (٥٨) .

وكان تحليل عبد القاهر — على الرغم من اقتصاره على البيت او المقطوعة — من اروع ماترك القدماء ، وهو إرث ينبغي الوقوف عنده والأخذ منه ؛ لانه يلقي ضوءا على النص ويوضح قيمته وأثره . ولعل تحليله للأبيات (٥٩) :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشدّت على دهم المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

(٥٧) دلائل الاعجاز ص ٣٠ — ٣١ . (٥٨) دلائل الاعجاز ص ٣٣ .
(٥٩) اسرار البلاغة ص ٢١ — ٢٤ .

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننـا

وسالت بأعناق المطي الأباطح

من أروع ما ترك القدماء فقد ربط عبد القاهر بين أجزاء الأبيات الثلاثة ، وأوضح موقف الحجاج وهم يعودون الى ديارهم بعد أن أدوا مناسك الحج ، وهو موقف لايدركه إلاّ من ملأ الله قلبه بالايمان وحج البيت الحرام . لقد قضى الحجاج من منى كل حاجة وطافوا طواف الوداع وهو إيذان بمغادرة مكة ، وأعدوا متاعهم وهم في شغل عن كل ما يحيط بهم لفرحتهم بأداء الفريضة والعودة الى الأهل والوطن ، وساروا قاصدين ديارهم وهم يعيدون ذكريات الحج ويستعجلون لقاء الأهل ، وكانت مطيهم تسرع بهم لتلقي رحالها بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة . وقد عبر الشاعر عن ذلك أحسن تعبير وأخبر « بسرعة السير ووطاءة الظهر ، إذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله ، لان الظهور إذا كانت وطيئة وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا ثم قال : « بأعناق المطي » ولم يقل « بالمطي » لان السرعة والبطء يظهران غالبا في أعناقها ويبين أمرهما من هواديها وصدورها ، وسائر أجزائها تستند اليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ، ويعبر عن المرح والنشاط إذا كانا في أنفسها بأفاعيل خاصة في العنق والرأس ، ويدل عليهما بشمائل مخصوصة في المقاديم » .

وتحليله لأبيات البحتري(٦٠) :

بلونا ضرائب من قد نرى

فما إن رأينا لفتح ضريبا

هو المرء أبدت له الحادثا

ت عزماً وشيكاً ورأياً صليبا

(٦٠) دلائل الاعجاز ص ٦٧ ـ ٦٨ .

تنقّل في خلقي سؤدد
سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف إن جئته صارخا
وكالبحر أن جئته مستثيباً

من أروع التحليل اللغوي المستند الى ما بين الالفاظ من علاقات ، والى وضعها الوضع الذي يدل على المعنى « فاذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازا في نفسك ، فعد فانظر في السبب واستقص في النظر ، فانك تعلم ضرورة أن ليس إلاّ أنه قدم وأخّر ، وعرف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر . وتوخّى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله . ثم لطف موضع صوابه وأتى مأتى يوجب الفضيلة . أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات» ثم قوله : « تنقّل في خلقي سؤدد » بتنكير « السؤدد » واضافة « الخلقين » اليه ثم قوله : « فكالسيف » وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ ، لان المعنى لامحالة فهو كالسيف ، ثم تكريره الكاف في قوله : « وكالبحر » ثم أن قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ثم أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من الآخر ، وذلك قوله : « صارخا » هناك ، و « مستثيبا » ههنا . لاترى حسنا تنسبه الى النظم ليس سببه ماعددت أو ما هو في حكم ما عددت ، فاعرف ذلك » .

وتتضح في تحليل النصين عدة امور :

الاول : التفصيل في التحليل .

الثاني : التعليل في النقد .

الثالث : الربط بين الالفاظ .

الرابع : اظهار دلالة الالفاظ في احوالها المختلفة .

الخامس : تبيان دلالة التراكيب ومعانيها .

ولا يقلل من هذا المنهج قدمه، لانه مرتبط بروح اللغة العربية ومعبر عن أصالتها وقد تطور الاسلوبية هذا المنهج وتضفي عليه طابع الحداثة لاأن تلغيه أو تعده صورة متخلفة للنقد. وقد ظهرت دراسات لغوية أو اسلوبية بهذا المنحى، وكانت أقرب الى روح العربية والنقد من تحليل قصيدة « ولد الهدى» وأنفع في اظهار قيمة النص من خلال التعامل مع اللغة. ومن ذلك تحليل قصيدة «إرادة الحياة» لأبي القاسم الشابي (٦١) ، إذ اهتم الباحث ببنائها اللغوي وحدد الأفعال والمشتقات والاسماء ،وأوضح حركتها وصلتها فيما بينها ، ووقف عند بعض القضايا التي توضح النص وتظهر قيمته ومن ذلك : مصطرع الحركة والسكون الذي يبدو في القصيدة محدثا سياقا فنيا منطلقاً نحو اللانهاية. وقد تحرك هذا الاصطراع في محور زمني ، تحرك في اشارات الحدث والتجدد التي تجلت في اشارات المستقبل وهي الافعال المضارعة وأفعال الأمر ، والأفعال الماضية التي وقعت في فعل الشرط : أو جوابه. وظهرت في اشارات الماضي وهي أفعال المضي الخالصة التي لم تقع في معادلة الشرط والافعال المضارعة المسبوقة بـ «لم » ولم تقع في المعادلة الشرطية أيضا. وتجلت في الاشارات السابحة وهي الاسماء المشتقة التي تحمل الحدث وتدل على التجدد ، وهي أسماء الفاعل والمفعول أو ما يسمى بالمشتقات الصريحة.

واللون الثاني هومصطرع المد والجزر الذي تتحرك القصيدة فيه داخليا ، وهو مداران : مدار التوازن ثم كسر التوازن ، وقد انطلق في صدر القصيدة بثلاثة أبيات محكمة التوازن هي :

إذا الشعب يوماً أراد الحيا

ة فلا بدّ أن يستجيب القدر

(٦١) ينظر تشريح النص ص ١٢ ــ ٣٣ .

ولا بدّ لليل أن ينجلي
ولا بدّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحيا
ة تبخّر في جوّها واندثر

وهذه أبيات أحكم سبكها في نظام توازني يقوم على أسس تركيبية . ومدار الارتداد المتمثل في السكون عند نهاية البيت حيث سيطر على القصيدة مزاج سكوني من حيث صياغتها التي غلب عليها الجمود . ويستمر الباحث في تحليله اللغوي والايقاعي مفسرا بناء القصيدة ومشيرا الى ما فيها من حركة وسكون ومد وجزر ، وما فيها من ايقاع تولد من تعامل الشاعر مع الكلمات ولا سيما القوافي التي جاءت متفاوتة في ايقاعها لاختلاف الكلمات في نهاية الأبيات فهي اسم أو فعل أو مشتق ، وهذا التلون أضفى على القصيدة حركة حينا وسكونا حيناآخر .

وهذا النوع من التحليل ينطلق من قدرة اللغة العربية على الابداع والتصوير وهو خال من المماحكة واقحام المعادلات الرياضية والخطوط البيانية والمصطلحات المضللة . وهو قريب من تحليل عبد القاهر لأبيات البحتري وإن كان اكثر تفصيلا وأوضح استجلاءا . وهذا التحليل على الرغم من أهميته أهمل كثيراً من جوانب النص . إذ إنّ التحليل الاسلوبي « يتعامل مع ثلاثة عناصر :

الأول : العنصر اللغوي . إذ يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع شفرتها .

الثاني : العنصر النفعي الذي يؤدي الى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف والقارىء والموقف التأريخي وهدف الرسالة وغيرها .

الثالث : العنصر الجمالي الأدبي . ويكشف عن تأثير النص على القارىء وعن التفسير والتقويم الأدبيين له .

ومع أنه ينبغي للتحليل الاسلوبي أن يكون كاشفا في جميع الحالات عن تلك العناصر الثلاثة فانه من الوجهة العملية كثيرا ما يفضل بعضها مثل مؤلف النص أو الموقف

التأريخي إن لم يتضح له الدور الذي يقوم به في تكوينه . بيد أن جميع هذه العناصر مترابطة مبدئيا وبعضها مبني على الآخر مهما خلت منها بعض التحليلات أما دور العناصر الأدبية الخالصة واستيضاح كيفية فعاليتها فان هذا يقتضي أن تؤخذ في الحسبان مقولة تلقي القارىء لتأثير النص الجمالي بوصفه تدعيما للعنصر النفعي وفي هذه الحالة يتولى التحليل الموسع الشامل للعناصر الاسلوبية مَدّنا ببيانات كافية لتفسير الأدب ويصبح الهدف الرئيسي للتحليل الاسلوبي العميق هو ادراك مدى تكامل هذه العناصر الثلاثة في تحقيق الحد الأقصى لفاعلية النص»(٦٢) .

وليس في كثير من الدراسات الاسلوبية استيعاب للنص واظهار لقيمة اللغة وابراز لدور المؤلف والمتلقي وايضاح لهدف الرسالة واستجلاء لتأثير النص وتقويمه ، وانما هي خواطر يحاول أصحابها أن يفرضوها فرضا على النقاد بحجة الحداثة، وقد نسوا أن النقد الأدبي عملية ابداعية تستند الى موهبة فنية وثقافة عميقة ووضوح هدف ورؤية ، وتعتمد على أصول تكون معالم يهتدي بها النقاد ليصلوا الى نتائج محمودة ومواقف يتخذها الآخرون منهجاً ينطلقون منه الى رحاب النقد . والاسلوبية بطريقتها الشكلية لاتخدم النقد لانها تجرد النص من روحه وتفصله عن كل ما يحيط به ، ولاتنتهي الى نتيجة تقنع أو تحقق هدفا مرسوما . وقد أدت الى التقاطع وافتراق سبل النقاد ، وكانت كثرة المصطلحات وغموضها واختلاف النقاد في مدلولها ، والتنظير المعتمد على الآراء المتضاربة والاتجاهات المتباينة سببا في غياب النظرية النقدية وانعدام الرؤية ووضوح الهدف ، وزادت المعادلات الرياضية والاحصائيات البيانية الأمر تعقيدا وجعلت النصوص ركاما ، وقد يكون الاحصاء نافعا في معرفة الصيغ ودلالتها على الثبوت أو التجدد ، وفي الكشف عن الالوان التعبيرية والتصويرية والتحسينية ، إلا انه ينقلب حذلقة حينما يكون أساس النقد ومنطلق

(٦٢) مجلة فصول (المجلد الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤) ص ٤٨ . بحث الدكتور صلاح فضل الموسوم « علم الاسلوب وصلته بعلم اللغة » .

الناقد . وقد تحدث الأجانب عن جدوى الطرق الاحصائية وأشاروا الى مقدار استجابة المتلقين لها (٦٣) ، إلا ان بعض الباحثين العرب جعلها معيارا واتخذها شرعة ومنهاجا ، بحجة « أن دقة ظهور سمة لغوية في تعبير أديب معين لاتكفي في ادراكه النظرة العابرة أو الحاسة الذوقية ، بل لابدّ من الار تكاز على علم الاحصاء الذي يصل بالناقد الى الدقة العلمية المطلوبة » (٦٤) ، وليس في هذه الحجة ما يرفع النص ويقربه الى الاذواق ؛ لاننا « عندما نعمد الى الاحصاء في دراسة الأساليب نحيل اللغة الأدبية الى شيْ بلا لون ولا طعم ، لاننا نهمل ما في التراكيب المتعلقة بالتعبير من احساسات تتصل بالعالم النفسي » (٦٥)

وكان للابتعاد عن البلاغة العربية أثر في جفاف النقد الاسلوبي ، فقد قالوا ان الاسلوبية وريث البلاغة ، أي أنها « بديل في عصر البدائل»(٦٦) والمفهوم الاصولي للبديل « أن يتولد عن واقع معطى وريثٌ ينفي بموجب حضوره ما كان قد تولد عنه » أي ان الاسلوبية « امتداد للبلاغة ونفي لها في الوقت نفسه ، هي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في الوقت نفسه أيضاً »(٦٧) ولايمكن أن تتعايشا لانهما تمثلان « شحنتين متنافرتين متصادمتين لايستقيم لهما تعايش آني في تفكير أصولي موحّد . والسبب في ذلك أن الاسلوبية قامت بديلا من البلاغة ، فهي امتداد لها ونفي ، هي لها بمثابةحبل التواصل وخط الفصل » (٦٨) . وبعبارة واضحة ان البلاغة تخطاها العصر وتجاوزتها الحداثة ، وهذا فهم ينطلق من تعصب أو جهل أو دس ؛ لان البلاغة ليست علما أو فنا انتهى فهي لم تنضج ولم تحترق أي أن دراستها واسعة سعة الفكر وتأمله ، ومتجددة تجدد الأدب وتلونه . وانها ميدان رحب لمن يعرف دروبها ويدرك

---

(٦٣) ينظر الاسلوب والاسلوبية ص ٦١ وما بعدها .

(٦٤) البلاغة والاسلوبية ص ١٤١ . (٦٥) البلاغة والاسلوبية ص ١٣٩ .

(٦٦) الاسلوبية والاسلوب ص ٤٢ . (٦٧) الاسلوبية والاسلوب ص ٥٢ .

(٦٨) النقد والحداثة ص ٥٤ . وينظر البلاغة والاسلوبية ص ١٩١ .

مقاصدها ويتذوق أسرارها . ولن يقلل من أهميتها ما قيل في نقدها وأن « من أبرز المفارقات بين المنظورين البلاغي والاسلوبي ان البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية ، ويرمي الى تعلم مادته ، وموضوعه بلاغة البيان ، بينما تنفي الاسلوبية عن نفسها كل معيارية وتعزف عن ارسال الاحكام التقييمية بالمدح أوالتهجين ، ولا تسعى الى غاية تعليمية البتة . فالبلاغة تحكم بمقتضى أنماط مسبقة وتصنيفات جاهزة بينما تتحدد الاسلوبية بقيود منهج العلوم الوصفية . والبلاغة ترمي الى خلق الابداع بوصاياها التقييمية بينما تسعى الأسلوبية الى تعليل الظاهرة بعد أن يتقرر وجودها . ومن المفارقات المقررة بين الجدولين ان البلاغة قد اعتمدت فصل الشكل عن المضمون في الخطاب اللساني فميزت في وسائلها العملية بين الاغراض والصور بينما ترغب الأسلوبية عن كل مقياس ما قبلي ، وترفض مبدأ الفصل بين الدال والمدلول إذ لاوجود لكليهما الا متقاطعين ومكونين للدلالة ، فهما لها بمثابة وجهي ورقة واحدة »(٦٩) وهذا تكرار لكلام يقوله من لم يتعمق في دراسة البلاغة العربية ويعرف مسالكها ، واطلاق لاحكام تعسفية ، وهو قريب مما قاله بعضهم في الفرق بين البلاغة والنقد إذ « البلاغة ترشدنا بقواعدها الى الطرق والوسائل التي تجعل كلامنا نافعا مؤثرا ، والنقد يضع لنا المقاييس العامة التي نقدر بها ما في الكلام من فائدة أو قوة أو جمال » (٧٠) ، أي أن البلاغة أقرب الى الناحية الفنية إذا قادت قواعدها الى الابداع ، وانها اكثر ما تعنى بالاسلوب ، أما النقد فيأتي دوره بعد أن تتم عملية الابداع ويعرض الأدب على مقاييسه ليحكم له أو عليه ، وانه يتناول المعاني والاساليب ، ولذلك كانت دائرته أرحب ميدانا . وليس هذا دقيقا لان البلاغة ــ وإن كانت ترشد الأديب ــ تشمل المعاني والأساليب

---

(٦٩) الاسلوبية والاسلوب ص ٥٢ ــ ٥٣ ؛ وينظر النقد والحداثة ص ٥٦ ــ ٥٧ ، والاسلوب والاسلوبية ص ١٩ .

(٧٠) الاسلوب لاحمد الشايب ص ٧ .

وهي وسيلة من وسائل النقد أي تشاركه في الحكم وترشد الناقد مثلما ترشد الأديب . وينطبـق هذا الحكم على البلاغة والاسلوبية ؛ لان وسائل النقد والحكم على النص كثيرة ، ولن تثمر الأسلوبية إذا ابتعدت عن الدراسات اللسانية ونأت عن البحوث البلاغية ، وحادت عن السبل الفنية ، ولعل البلاغة اكثر التصاقا بالاسلوبية لانهما ليستا « شحنتين متنافرتين متصادمتين لايستقيم لهما تعايش آني في تفكير أصولي موحّـد » وانمـا هما من وسائل النقد، والبلاغة بمادتها التعبيرية والتصويرية والتحسينية مرتع خصب ، وفنونها أساس دراسة الاسلوب وتقويمـه وان اهمالها ضياع لأصالة النقد وتمسك بمـا لايجدي نفعا أو لايقدم إلاّ عطاء يسيرا . فالبلاغة « لاسبيل الى الاستغناء عنها ، كما أنه لا سبيل الى اتخاذ الاسلوبية بديلا عنها » وان الاسلوبية والالسنية ينبغي « أن توضعا في خدمة البلاغة والنقد الأدبي في الحدود التي تتحملها التطبيقات البلاغية والنقدية » واذ الذي « أعرض عن البلاغة لمعياريتها وحاول رسم خطوط عريضة لنظرية شمولية في الأدب والنقد الادبي تستفيد من المنهجية التي للأسلوبية كعلم لغوي يقوم على التقرير دون المعيار » (٧١) تعسف في محاولتـه ولم يستطع أن يضيف ما فيه النفع وإنارة السبيل . لان الاسلوبية « لا تستطيع أن تقوم مقام البلاغة على الرغم من أنها تنزل الى خصوصيات للتعبير الأدبي كانت البلاغة وحدها تعنى بهـا في التركيب والدلالة على السواء » . ولان « هناك فوارق شاسعة وكبيرة بين التحليلات الاسلوبية والتحليلات البلاغية » ففـي الاسلوبية يعالج التوظيف اللغوي « المفردات والجمل والمقاطع والنصوص معالجة تكوينية سياقيا ونفسيا واجتماعياً » ويعالجها في البلاغة «معجميا ونحويا وتركيبيا وبيانيا أي صحتها وفصاحتها وإدلالها واقتضائها للحال » . ولا تقول الاسلوبية « هذا جيد وهذا رديء ، وانما تقول هكذا أجد صلة اللغة بالنص ، هكذا أجد تنظيمها وسياقاتها وبنيانـها وأساليبها » والبلاغــة « تمتلك معيارية تراثية متوازية هي دائما قابلة للتطور » . وتستطيع الأسلوبية

(٧١) اللغة والبلاغة ص ٢١ ، وتنظر ص ٢٩ ، وهامش ص ٦٧ .

بامكاناتها الغوص في « المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية التي للنص ولكنها تكتفي في ذلك بتقرير الظواهر دون أن تقول فيها قولة النقد » ولا سيما « قولة التراث المتطور نفسه » وتستطيع البلاغة « أن تغوص على أدق دقائق اللغة : تراكيبها وصورها البلاغية وأساليبها » وتقول « قولة النقد والتراث المتطور ، وقولة الذوق ، والعلم والمعايير كافة » . وتظل الأسلوبية بعد هذا مجرد علم ألسني يتحرك بمضامين علمية وفنية عن الكلام والمتكلم والمتلقين في حين أن البلاغة أصول ومعايير وتطبيقات ونقدات وانها تتحرك بتراثيتها وتطور هذه التراثية . ومن هنا فان الخدمات الجليلة التي يقدمها اليوم التراث البلاغي العربي شيء لايعادل بثمن » (٧٢) وهذا يدعو الى دراسة البلاغة العربية بعمق والانتفاع بما في الاسلوبية من مستجدات على أن تبقى أصولها منطلقا في تقويم النص والحكم عليه.

ولعل تحليل نص الدكتورة نجاح العطار وقصيدة فؤاد كحل (٧٣) يلقي ضوءا على أهمية البلاغة في الدرس الحديث ، فقد تعرض الباحث في تحليله للمفردات والحقول اللغوية ، والتركيب والاسناد ، وللقضايا المشتركة كالقول المأثور والظرف والنواتج والمتنافرات الجدلية والتضاد ، وللتشبيهات ، وللحقيقة والمجاز . وهذا التحليل يعطي قيمة للنص ويظهر العلاقة بين الالفاظ ، ويوضح دلالة التركيب والصور الفنية التي تبعث في المتلقين استجابة لفهم النص وتذوقه والتأثر به . وأين هذا من تحليل بعض من أعرض عن البلاغة ونأى بجانبه وقال ان الاسلوبية قدر الانسان في هذا العصر على الرغم من أنها استوفت أغراضها وانتهت في أوربة ولا يتحدث عنها اليوم كبار الباحثين بعد أن « أخرج رولان بارت كتابه « الدرجة الصفر في الكتابة » واقترح مفهوم الكتابة بديلاً ايجابيا لمفهوم الأسلوب ، فقد رأى أن الجهود السابقة كلها في محاصرة الاسلوب جهود انتهت الى مضايق ؛ لان المنطلقات التي انطلقت منها كانت لاتسمح

(٧٢) اللغة والبلاغة ص ٢٩ — ٣١ .
(٧٣) ينظر اللغة والبلاغة ص ٧٥ — ٩٦ .

لمنهجية ما أن تجعل منه مادة للبحث يمكن تصنيفها بشكل علمي فاقترح مفهوم الكتابة بديلاً لمفهوم الاسلوب » (٧٤) .

وأخذ الباحثون يتساءلون : هل ماتت الأسلوبية ؟ وعزّ على بعضهم أن تموت؛ لانها لم تتجاوز الاحداث ولايزال الحديث عنها قائما في أمريكة بدليل « أن المدرسة البنيوية الأسلوبية نبعت في أمريكة بعد كتاب بارت بعقدين تقريباً أو أقل من ذلك بقليل » وهذا لايكفي أن يقال بان الحديث تحول عن الاسلوب والأسلوبية الى الكتابة والقراءة إذ « تطور الحديث عن« الدرجة الصفر في الكتابة » الى الكتابة ذات الدرجتين ، ولكن هذا في مسار وبقيت الاسلوبية بعده نشيطة .

والمشكل في الحقيقة هو أن الاسلوبية محدودة في منطلقاتها من الوجهة اللغوية . أما قضية القراءة والكتابة فتتجاوز الوجهة اللغوية وهذا هو مايوهم بأن قضية الكتابة والقراءة حلّت محل المبحث الاسلوبي » (٧٥) .

وتساءل الباحثون : ما مستقبل الدراسات الاسلوبية ؟ وأجاب بعضهم : « نحن نؤمن بان مستقبل الاسلوبية سيكون مزدهرا ؛ لانها تثير اهتمامات الكثيرين شرط أن نقتنع بانها ليست ملكاً لاحد دون سواه ، وان نجتمع في إطار حلقات — للدراسة الأسلوبية فيعرض كل واحد أفكاره وتطلعاته ، ويتم التنسيق بين الجميع » (٧٦) . ودعا الى الاسلوبية المقارنة في إطار اللغة العربية وغيرها للوصول الى تحديد معالم « الكليات الاسلوبية » ومما يزيد في ايمانه أن البلاغة العربية قد أتقنت دراسة الجملة والصورة والهندسة الصوتية ، وهذايفتح بابا للاسلوبية .

لقد تصارعت البنوية والاسلوبية والتشريحية ، وظهرت تيارات جديدة والنقد العربي بين مدّ وجزر لم يستطيع أن يرسو أو يتخذ له منهجا واضحا .

---

(٧٤) مجلة فصول (المجلد الخامس — الجزء الاول سنة ١٩٨٤) ص ٢١٤ ، ٢١٨ . والكلام لحمادي صمود .

(٧٥) مجلة فصول ص ٢١٦ . والكلام للدكتور عبدالسلام المسدي .

(٧٦) دليل الدراسات الاسلوبية ص ١١٥ .

ويرجع ذلك الى التعصب للمذاهب الطارئة وانكار ما للعرب من قدرة على العطاء ورسم منهج ينطلق من روح اللغة العربيـة ، وكان القدماء اكثر فهمـا لطبيعـة اللغة وأعظم قدرة على هضم الثقافات الأجنبية وبناء ثقافة أصيلة وارساء أصول عريقة .

ان الاسلوبية منهج نافع في الدراسات النقدية ، وقد يكون «النقـد البلاغي»(٧٧) قريباً منها واكثر نفعا ؛ لانه يعنى بالتعبير والتصوير والتلوين ، وقد نهض بالتحليل البديع في حين أن الأسلوبية لم تستطع أن تنهض به لانتهائها الى عمل صوري أهمل جوهر الأدب ، ولتحولها الى احصائيات بيانية ومعادلات رياضية أفقدت النقد أهميته وأبعدت الناقد عن مهمته وهي « تفســير النص وبيان قيمته » (٧٨) . ومن هنا كان لابدّ من ارساء منهج عربي في النقد ينطلق من روح اللغة العربية وينتفع بما يستجد ، ولا بدّ من نبذ التعصب للمناهج المتصارعة والموت من أجلها ؛ لانها مزقت النقاد وفرقتهم شيعا وأحزابا متناحرة ، وجعلت النقد لونا من الرقى والكلام الذي لايكشف عن معنى ، ولايوضح هدفا ، ولا ينير سبيلا . وأصبح بعض النقاد يتكلم بمـا لايفهم ولا ينفع ، وأصبح القارىء كذلك الأعرابي الذي وقف على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معـه فحار وعجب وأطرق ووسوس فقال الأخفش : « مـاتسمع يا أخا العرب ؟ » قال : « أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بمـا ليس من كلامنـا » (٧٩) .

وصفوة القول : أن الخصومة العنيفة بين النقاد لاتخلق حواراً هادئاً يهدف الى إرساء منهج نقدي يخدم الأدب العربي ويطوره ، وأن التعصب لمنهج أو محاولة فرضه لايحقق غاية في زمن تعددت فيه الاتجاهات واتسع القول

---

(٧٧) ينظر في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثامن والثلاثون ــ الجزء الثاني والثالث سنة ١٩٨٧) ص ١٩٥ ــ ٢١٢ .

(٧٨) تنظر مجلة اداب المستنصرية (الجزء السادس عشر) ص ٢٤١ .

(٧٩) الامتاع والمؤانسة ج٢ ص ١٣٩ .

في الأنواع الأدبية ، وأن التنكر للتراث يلغي تطور الفكر العربي ويقطع الصلة بين ماضي الأمة العربية وحاضرها ويخلق اتجاها يتنكر للحاضر ويلغي كل جهد بنّاء بذله المعاصرون ، وأن الاطلاع على تراث الأمم وهضمه يشرع أبوابا على أدب متجدد ونقد متطور . ومن هنا كانت الأسلوبية منحى من مناحي الدراسة النقدية لايسلب أصالة النقد العربي ولا يأتي بما لاينفع وينير السبيل إذا أحسن الانتقاع بها وبالتراث البلاغي الذي يمكن أن يكون معينا ثرا للمجددين ، ومؤشراً للحداثة التي يسعون اليها .

إن الأسلوبية منهج لم يحسن الباحثون استثماره ، وكان تعلقهم بالتنظير وعرض الآراء المتضاربة والتعصب المقيت مدعاة الى حصرها في نطاق لا يخدم درسا ولا يحقق هدفا . ففي الوقت الذي اتفق فيه القدماء أو كادوا على تحديد الاسلوب ووضع أصوله ومعاييره اختلف المعاصرون في فهمه وذهبوا مذاهب شتى . وجاءت الاسلوبية لتزيد في اختلافهم وتناحرهم ، وتحدث تناقضا بينهم . ولتخلق قوما يتعصبون لها ويتنكرون للتراث العربي . وتدفع قوما الى التلفيق بينها وبين التراث . وتجعل قوما ينفرون منها لانها لم تكن بديلا يغني . ومنهجا يثري . وانما كانت قدرة على المحاجة والتنظير والتفنن في الاقتباس والنقل ، وإدلالا في وضع المصطلحات المبهمة وصياغة الكلام باسلوب لايفهم .

لقد كانت دراسة الأساليب البلاغية واضحة وكان التحليل مونقا والدليل مقنعا . فأصبحت في هذا الزمن رقى ومجالا لعرض الثقافة وميداناً للاغراب ، واذا بقيت الاسلوبية كما عرضتها الكتب والبحوث فانها ستكون « فلسفة موت الانسان » لابتعادها عن روح الأدب وانصرافها الى المماحكة والجدل وتحولها الى معادلات رياضية واحصائيات بيانية . وحين تبتعد عن النص وتجعله ركاما يظل السؤال : « الأسلوبية الى أين ؟ » .

اللِّوَاءُ وَالرَّايَـةُ

الدكتور نوري حمودي القيسي
عضــو المجمع
عميد كلية الاداب ـ جامعة بغــداد

لقد كانت دلالة الراية في معارك النصر الأخيرة في معارك رمضان مبارك وتوكلنا على الله ومحمد رسول الله وتوكلنا على الله الثانية والثالثة والرابعة وما رافقها من بطولات نادرة في تحرير الأرض وطرد المعتدين وتسابق الرجال الصناديد للوصول الى حدودنا الدولية ورواقمنا الشاهقة وجبالنا الشم وشطاننا في الهور ليركزوا رايات النصر الخفاقة ويرفعوا علم العراق الأغر فوق تلك المواقع ويفقأوا بهـا عيون الغزاة الذين حاولوا تدنيس الأرض . . . كانت هـذه الدلالة ذات أبعاد في معارك الأمة وهي تجد في هذا الرمز عزتها وترى فيـه قوتها وقدرتها وتبقى صورة أولئك الرجال الأوائل الذين حرصوا على أن يكونو السـابقين الى تركيزها أورفع لوائها عزيزة في كل نفس خالـدة في كل ضمير لأنهم كانوْا يحملون أمانة التاريخ ويمتلأون بعزة الوطن ويغمرون بسعادة الايمان الذي لاتعادله فرحة وهم يَغذُّون الخطا سريعة ويمسكون بقلوبهم مقبض الراية وهي تداعب وجوههم النيّرة ليصلوا الحد الفاصل وليروا رمز الوطن خفاقا وصوت السيادة شامخا وروح الوطنية كريمة تتجلى في عزته عزة الحيـاة وتكبر في خفقاته مساحة النصر العراقي الخالد ..ا نها حافز أثار في نفسي اعادة نشر الدراسة الخاصة باللواء والراية والتي نشرت قبل ربع قرن تقريبا وأنا أراها ثانية تعلو بكل

فخر وترسم بكل اعتزاز وتصان بكل أمانة ليعيش العراقيون بظلها اعزة ويصان التراب بوفاء الأماجد بعد أن وجدت المفردة تأخذ حجمها في البيانات العسكرية بما يوحي برفعتها ويشير الى منزلتها السامية وهي تزف بشرى النصر في هذه الشهور المباركة والايام الخالدة وتؤكد على هذه المفردة التي تتابعها اسماع كل المؤمنين بتراب الوطن وترقبها عيون كل المخلصين الذين يجدون في كرامتها كرامة الوفاء اقول في هذه الايام وجدت ضرورة العودة الى الحديث عنها بما يعزّز دورها على امتداد التاريخ ويخلّد أصالتها في كل المعارك ليتواصل العطاء البطولي لأولئك الذين يتجاوزون كل حالات المجابهة وليكونوا أول المتقدمين لرفعها والساعين لنصبها فوق آخر شبر من الأرض الطاهرة أو أعلى قمة من رواقمنا العزيزة أو ساحل من سواحلنا أو ترعة من ترعنا التي نرتوي منها ماءنا الطاهر ونشم من خلالها عطر ترابنا الزكي .

فاللواء والراية قديمان قدم الحرب نفسها ، لأنهما صاحباها منذ البداية وعاشا في خضمهما منذ أول اشتباك وقع بين جمعين ، ولأن الغاية من استعمالهما جمع الشمل وتوثيق العرى وتوحيد الكلمة ، فهما الرمز الذي يلاذ به ويلتف حوله . فأذا رفعا رفعت الرؤس وغلت في النفوس حماسة الأندفاع للمعركة وأثيرت الهمم . وهما على الرغم من كونهما قطعا من القماش على عصا أو ألوية على رماح فهما أهيب في القلوب وأهول في الصدور وأعظم في العيون . وقد حفل التأريخ باخبار الألوية والرايات وكانت لكل قبيلة رايتها التي ترفعها لتعرف بها وتتميز عن غيرها من القبائل بألوانها وأحجامها وأشكالها وقد عرف أصحاب الرايات بأسمائهم وبيوتهم لأن حملها يؤكد شجاعة صاحب الراية وثباته في المعركة وقدرته على المجالدة .

وقد حمل لنا التاريخ في ثناياه كثيرا من قصص البطولة النادرة لأولئك الأبطال الذين حملوا الرايات وظلوا محتفظين بها على الرغم من سيول الرماح المتهاطلة عليهم وحزم النبال المتساقطة ، يدافعون عنها بكل ما يستطيعون

ويبذلون دونها الأرواح فتتهاوى جثثهم تحت ارماحها لتظل الراية خفاقة ويبقى اللواء مرفوعا لما يعنيه رفعها من كرامة ويثيره تقلبها من أحاسيس بالاعتزاز. لذا فقد اتجهت أنظار المقاتلين الى صاحب الراية أو اللواء ، لأن سقوطه يعني خسارة الحرب . فأذا وقع أصاب المقاتلين الذعر ، وتملكهم الفزع والرعب وغشيتهم الرهبة وعندها يجد الخصوم الفرصةملائمة لتشديد الهجوم مستغلين الضعف المعنوي الذي يصيبهم .

ومن هنا كان حملة الرايات من أصلب المقاتلين عودا وأثبتهم في المعارك جنانا وأكثرهم جلادا وتجربة ، وأصبرهم على نوازل الحرب وشدائدها لأن هؤلاء وحدهم يقررون النصر ، وعلى ثباتهم في المعركة يتوقف الفوز .

لقد كان للعرب في جاهليتهم رايات مختلفة ترفع وقت الحرب لتنظم القبائل تحتها وتتجمع حولها ، فهي امارة القيادة ورمز الجيش ، فأذا خرجوا الى المعركة أخرجوا الراية التي كانت تحفظ عند صاحب الراية . . فأذا أجتمع رأيهم على أحد سلموه أياها . .

وقد وردت في الشعر الجاهلي اشارات كثيرة الى الراية واللواء والعلم والعقاب والعصبة والخال ، كما حفلت كتب التاريخ بهذه المصطلحات ولكن الذي يصعب تمييزه هو الأختلاط الواضح في استعمالها والملابسات التي تكتنفها ، وان هذه الصعوبة لم ينفرد بها القدماء فحسب بل نجدها قائمة حتى بالنسبة للمعاصرين الذين يأتون على ذكر هذه المسميات بلا تحديد ولا توضيح للفرق بينها فقد ذكر صاحب لسان العرب (في مادة لوى) ان اللواء العلم والجمع ألوية وألويات جمع الجمع قال : جنح النواصي نحو ألوياتها .

وفي الحديث لواء الحمد بيدي يوم القيامة واللواء : الراية ولايمسكها الا صاحب الجيش ، قال الشاعر :

غـداة تسايلت مـن كـل أوب   كتائـب عاقـدين لهـم لـوايا

قال وهي لغة لبعض العرب تقول احتميت احتمايا.

والألوية : المطارد وهي دون الاعلام والبنود ، وفي الحديث لكل غادر لواء يوم القيامة أي علامة يشهر بها في الناس لأن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس ، وكانوا في الجاهلية اذا غدر الرجل رفعوا له بسوق عكاظ لواء ليعرفوه الناس وهذا مادفع الحادرة الى أن يقول (١) ..

فُسميَّ ويحك هل سمعت بغدره   رفع اللواء بهالنا في مجمع

أما صاحب المخصص فيذكر ان الغاية : الراية وقد غييت غاية ـ عملتها وأغييتها ـ نصبتها . والعلم الراية والجمع أعلام وكذلك العقاب وهي انثى وقيل هي العلم الضخم وعن ابن دريد . الخال : اللواء وأم الرمح اللواء ومالف عليه . وجاء في كتاب النهاية في غريب الحديث والاثر . العلم حديدة مستديرة على قدر العنق .

وذكر النويري في نهاية الأرب ان الأم هي العلم الذي يتبعه الجيش ، ويقال خفقت الراية اذا اضطربت والعلم الراية وقيل الذي يعقد على الرمح الضخم . والغاية هي الراية واللواء دون الاعلام والبنود . .

وأورد القلقشندي في صبح الأعشى ان الاعلام هي الرايات التي تحمل خلف السلطان . وهي من شعار الملك القديمة .

وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعقد لامراء سراياه الرايات عند بعثها ، ويعبر عن بعضها بالعصائب جمع عصابة وهي الألوية أخذا من عصابة الرأس . لأن الراية تعصب رأس الرمح من أعلاه ، وسميت الراية بذلك لأنها تكون في اعلى الرمح . . .

(١) الحادرة . الديوان : ٥١ .

وجاء في بلوغ الأرب (للألوسي) وأما اللواء ويسمى العلم أيضا فكان في الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه ، قال أبو بكر العربي : اللواء غير الراية فاللواء ما يعقد في الرمح ويلوى عليه ، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح . . وقيل اللواء دون الراية وقيل اللواء : العلم الضخم ، والعلم علامة لمحل الأمير ، يدور معه حيث دار ، والراية يتولاها صاحب الحرب . وكانت عادة جميع العرب اتخاذ اللواء في حروبهم ومن عاداتهم جعل الرايات في أطراف الرماح . وقيل ان اللواء والراية شيء واحد وربما كان اللواء أصغر من الراية أو أن الراية تسمى لواء اذا عقدت ، وهي الأعلام أو البنود أو البيارق في اصطلاح هذه الأيام .

والراية قديمة في التاريخ اتخذها المصريون القدماء ومن عاصرهم أو أخذ عنهم وكانت شائعة عند عرب الجاهلية قبيل الاسلام وكان لكل قبيلة راية تجتمع تحتها وتحارب دونها وتحتفظ بها لرفعها عند الملمات .

من هذه النصوص التي ذكرناها نستطيع أن نلمس الخلط بين هذه المصطلحات والملابسات التي تحيط بكل لفظة من تلك الألفاظ . . على أن هذا الخلط لم يكن مقتصرا على كتب اللغة والأدب وانما تعداه الى كتب التأريخ . . .

لقد حفل الشعر العربي قبل الاسلام بمفردات اللواء والراية والعقاب وهي مفردات تتقارب في المعنى وتأتي مفردة العقاب دلالة على الراية وهي صفة لها ، وتبرز من خلال قصائدهم وهي تحمل معاني اخرى الى جانب المعاني الحربية وخصوصا كلمة الراية مستدلين على ذلك بما وجدناه من النصوص التي تناثرت في دواوينهم واتسعت مدلولاتها في أحاديثهم وخاصة

في حديث الحرب والفخر . فهذا النابغة الذبياني يخاطب زرعة بن عمرو العامري ويصف قومه فيقول . . . (٢)

مستحقبي حلق الماذي يحذمهم
شم العرانين ضرابون للهام
لهم لواء يكفي ماجد بطل
لايقطع الخرق الاّ طرفه سام
يهدي كتائب خضرا ليس يعصمها
ا̃لا ابتدار الى موت بالجام

فلواء قومه يحمله بطل ماجد تهتدي به الكتائب وتسير خلفه مواكب المقاتلين وان هذه الكتائب لاتلوذ بالفرار ولكنها تعتصم بالاقدام وهي تواجه الخصوم في ساحات الدفاع عن الحمى .

وعنترة العبسي يصف قومه في يوم عراعر فيقول . . . (٣)

كتائب شهبا فوق كل كتيبة لواء كظل الطائر المتصرف

فاللواء يخفق فوق كل فرقة من جيش قبيلته وهو كظل الطائر المتنقل وقيس بن الخطيم يشير الى شجاعة قومه فيقول . . . (٤)

وقد جربت مني لدى كل مأقط وحي اذا ما الحرب القت رداءها
وانا اذا ما ممترو الحرب بلحوا نقيم بأسباد العرين لواءها

وهذا الحارث بن حلزة يفخر بقومه عندما هاجمهم قوم من بني شيبان فردوهم وقتلوا منهم فيقول . . . (٥)

---

(٢) النابغة . الديوان : ٢٣٠ .
(٣) عنترة . الديوان : ١٠٧ .
(٤) قيس بن الخطيم . الديوان/١١ .
(٥) الحارث بن حلزة . الديوان/١٥ .

آية شارق الشقيقة اذجا عوا جميعا لكل حي لـواء

وتبقى صورة اللواء مقترنة بظل الطائر اشارة تتكرر في قصائد الشعراء لأنهم يجدون فيها الحركة التي ألفوها في حركة الطائر الذي يتقلب وهم ينظرون اليه ويرون شموخه ويعتزون بعلوه وسموه كما جاء في قول الطفيل الغنوي . . . . (٦)

فما برحوا حتى رأوا في ديارهم لواء كظل الطائر المتقلـب

واذا كان ظل الطائر المتقلب هو الصورة التي استحوذت على أحاسيس الشعراء فأن مفردة الكتيبة التي كانت تسبق حديث اللواء قد اخذت حجمها في أبيات الشعراء . . . (٧)

كتائب تُزجي فوق كل كتيبة لواء كظل الطائر المتقلب

ويستظل المقاتلون بظل اللواء الذي يمنحهم القوة ويبعث في نفوسهم امارات النخوة وأسباب المنعة والى ذلك يشير عنترة فيقول (٨ أ)

ومُحَلِّمٍ يسعون تحت لوائهم والموت تحت لواء آل ومحلُم

ويقترن عقد اللواء ورفع الراية بالسير الى الحرب والتهيؤ لخوض المعارك وايحاءً بعقد العزيمة على المجابهة . وقد يطلقون على اللواء اسم الخال كما ورد في قول عنترة في حديثه عن قتل قرواش وقتل عبدالله بن الصمة أخ دريد (٨ب) .

فأن يك عبد الله لاقى فوارسا يردون خال العارض المتوقـد

وورد في قـول الأعشى يرد على بني عباد ومالك ابنى ضبيعه مكنيا عن الهزيمة بتقهقر اللواء الذي يهزم مدحورا بعد أن تتهاوى عليه السيوف فيقول (٩) . .

(٦) الطفيل الغنوي . الديوان/٣١ .
(٧) عنترة . الديوان/١٩ .
(٨أ) عنترة . الديوان/١٥٣ .
(٨ب) عنترة . الديوان/٤٦ .
(٩) الاعشى . الديوان/٣٠٧ .

نقيم لها سوق الجلاد ونعتلى بأسيافنا حتى نوجه خالها

والخال هنا اللواء . . .

والذي نستطيع أن نقوله بعد هذا هو ان اللواء كان يرفع في الحرب ويدل على قبيلة معينة كما هو واضح من النصوص المتقدمة ، فالنابعة عندما يصف قومه يصفهم وهم يحملون لواءهم وعنترة يفخر بهم ولواؤهم يخفق فوق رووءسهم وقيس بن الخطيم يشيد بقومه وهم يقيمون اللواء . .

وفي ذي قار كانت بنو شيبان من أحسن الناس بلاء في القتال وأشدهم لما أبدوه فيها من مقاومة للفرس ولما أوقعوه بينهم من خسائر بعد أن ضربوا مقدمة الهامرز حتى تولت في شرحال يبرق فوق روءسهم الحديد وتخفق فوقهم الرايات فيقول . . (١٠)

انتهم من البطحاء يبرق بيضها وقد رفعت راياتها فأستقلت

ويكنون عن الراية المخذولة بالعقاب الذي يسقط من مكان مرتفع وهو ما نُعِتَتْ به راية الهامرز بعد الهزيمة حتى وصفها الأعشى بقوله . . (١١)

كفوا اذا أتى الهامرز تخفق فوقه كظلٍّ العقاب اذ هوت فتدّلت

أو يكنون عن الهزيمة بتقهقر اللواء الذي يهزم مدحورا بعد أن تتهاوى عليه السيوف فيقول (١٢) .

نقيم لها سوق الجلاد ونعتلي بأسيافنا حتى نوّجه خالهـا

والخال هنا اللواء .

---

(١٠) الاعشى . الديوان : ٢٥٩ .
(١١) الاعشى . الديوان : ٢٥٩ .
(١٢) الاعشى . الديوان : ٣٠٧ .

وكما يعلو الطير ويخفق بجناحيه تعلو الراية وتلمع في سموها فخرا على رؤوس المقاتلين كما جاء في قول المهلهل . . (١٣)

تلمع لمع الطير راياته   على أواذيّ لجّ بحر عميق

والابطال لاينطقون الا بفعل قوتهم وعزة اقتدارهم حتى اذا اصطفت الرايات وأرتفعت بها هامات الرجال وهفت ذوائبها هفا القلب لها شوقا وزهت النفوس كبرا واعتزازا . وفي اشارة عبيد بن الأبرص مايوحي بهذه المعاني حيث يقول (١٤) . .

كتائب تتبارى حول رايته   وجحفل كسواد الليل جرّارِ

ولابد أن تتوافد الكتائب على أصحاب الرايات لتحمي حماتها وتدفع عنها من يروم اسقاطها أو يسعى الى انزالها وهي في دفاعها عنها تتبارى والى حمايتها تتسابق اكبارا لأحقية المواجهة واحتراما لرفعة الراية وبقيت الرايات علامات يعرف من خلالها المقاتلون ،

لقد لاحظت من خلال متابعتي لمغازي الرسول عليه الصلاة والسلام ان الرسول صلوات الله عليه كان يعقد ألويته بعد قدومه الى المدينة ، وانها كانت تعقد في أماكن عامة ومشهورة يتجمع فيها الناس أشهارا للأمر واعلانا للحرب ، فحين خرجت قريش في غزوة الخندق عقدوا اللواء في دار الندوة (١٥) ، و عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببئر أبي عقبة وعقد الألوية . ولم يعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية حتى انتهى الى قديد(١٦) .

ويقترن عقد الألوية بوصية تثبيّت فيها خطة المعركة وأهدافها والتوجهات التي يراها القائد ليلتزم بها أصحاب السرايا وهي عادة تبدأ بأسم الله وعلى عون

(١٣) شيخو . شعراء النصرانية : ١٧٣ .
(١٤) عبيد بن الابرص . الديوان/٤٦ .
(١٥) الواقدي . المغازي : ٤٤٣ .
(١٦) الواقدي . المغازي : ٨٠٢ .

الله لتمضي بتأييده ونصره .. ويلتزم صاحبه بالحق والصبر ويُقاتل في سبيل الله من كفر بالله وهي سنة درج عليها الخلفاء اقتداء بما أخذوه عن السلف الصالح . . . وان أول لواء عقده عليه السلام كان لحمزة بن عبد المطلب (١٧) وعقد بعده لواء لعبيدة بن الحارث في شوال (١٨) ، ثم عقد لواء لسعد بن أبي وقاص في ذي القعدة (١٩) ودفع لواءه الى سعد بن عبادة يوم خيبر (٢٠) وعقد اللواء للزبير بن العوام يوم بعث سرية الى فدك (٢١) وبعث أبا عبيدة بن الجراح مددا وعقد له لواء (٢٢) . ويبدو أن هناك أنواعا من الألوية تعرف بحجمها أو تذكر حين تكون المعركة أكثر حسما أو تذكر على وفق الأهمية التي يكون عليها حجم المعركة لأن الأشارة الى اللواء العظيم يمكن أن تفسر بعظم العدد والعدّة أو الأهمية أو الموقع القتالي أو الدور المعهود لصاحب اللواء فقد كان الأمام علي عليه السلام يحمل اللواء الأعظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الموعد (٢٣) ودفع الرسول صلوات الله عليه لواءه الأعظم يوم أحد الى مصعب بن عمير (رضي الله عنه) (٢٤) وفي تبوك دفع لواءه الأعظم الى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ورايته العظمى الى الزبير (٢٥) . وكانت الألوية تعقد على الرماح ففي غزوة أحد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة فعقد ثلاثة ألوية ودفع لواء الأوس الى أسيد بن حضير ودفع لواء الخزرج الى الحباب بن المنذر بن الجموح

---

(١٧) الواقدي . المغازي : ١/١٠ .
(١٨) الواقدي . المغازي : ٧١٠ .
(١٩) الواقدي . المغازي : ١/١١ .
(٢٠) الواقدي . المغازي : ٧١٠ .
(٢١) الواقدي . المغازي : ٧٦٣ .
(٢٢) الواقدي . المغازي : ٢/٧٧٠ .
(٢٣) الواقدي . المغازي : ١/٣٨٨ .
(٢٤) الواقدي . المغازي : ١/٢٢٥ .
(٢٥) الواقدي . المغازي : ٩٩٦ .

- ويقال الى سعد بن عبادة - ودفع لواء المهاجرين الى علي بن أبي طالب عليه السلام ويقال الى مصعب بن عمير (٢٦) وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد بن عمرو لواء في رمحه في غزوة الغابة .

وان الرماح التي كانت تعقد عليها الألوية تستخدم في القتال (٢٧) ويشار أول مرة الى أن اللواء في مؤته حين أجمع المسلمون المسير ودفع الرسول صلى الله عليه وسلم اللواء وهو أبيض الى زيد بن حارثة ، وكان عدد المسلمين آنذاك ثلاثة آلاف (٢٨) .

وفي فتح مكة يدخل الزبير بن العوام في خمسمائة ومعه راية سوداء . وكانت رايات الأوس والخزرج في الجاهلية خضر وحمر (٢٩) فلما كان الأسلام أفردها على ما كانت عليه وكانت رايات المهاجرين سوداو الألوية بيضاء (٣٠). وحين خرج الأمام علي (رضي الله عنه) في سرية العلى كانت معه راية سوداء ولواء أبيض (٣١) . وعندما يمر اللواء بعد أن ينادي الصريخ الفزع الفزع يبادر المقاتلون باللحاق به فرسانا وراجلة ويأخذ اللواء من توكل اليه مهمة حمله . أما الراية فلها من يحملها. وفي غزوة الغابة كان محرز بن نضلة حليفا في عبد الأشهل كان يرى راية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مرّبها العقاب يحملها سعد وهي اشارة تؤكد رمز الراية الذي أصبح شعارا لراية رسول الله في هذه المعركة . . وكان اللواء يتناوب في أيدي الأمراء الذين يوكل اليهم أمر تولية الحرب وقد يقاتل الأمراء على أرجلهم كما وقع يوم مؤته حيث كان اللواء مع زيد بن حارثة فقاتل الناس معه والمسلمون على

---

(٢٦) الواقدي . المغازي : ٢١٥/١ .
(٢٧) الواقدي . المغازي : ٥٤٠/١ .
(٢٨) الواقدي . المغازي : ٧٥٦/٢ .
(٢٩) الواقدي . المغازي : ٨٩٦ .
(٣٠) الواقدي . المغازي : ٨٩٦ .
(٣١) الواقدي . المغازي : ٩٨١ .

صفوفهم فأستشهد ، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) فنزل على فرس شقراء فقطع عرقوبها ثم قاتل حتى استشهد ووجد في جسمه الطاهر اثنان وسبعون ضربة سيف أو طعنه رمح . وتؤكد سلسلة الأخبار التي تشير الى عقد الألوية انها كانت تعقد للقيادة ولجموع الرايات ثم يتوالى عقد الألوية البيضاء . ففي غزوة ذات السلاسل دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء (٣٢)

وتتسع دائرة عقد الألوية يوم فتح مكة لترفع كل قبيلة ألويتها التي يحددها الرسول عليه الصلاة والسلام . فكانت مزينة ألفـا وفيها ثلاثة ألوية ، وكانت سليم تسعمائة – وقيل ألف – وفيها لواءان . وهي احصاءات غير ثابتة في تحديد عدد المقاتلين الذين يجمعهم اللواء ولكنهم يتراوحون بين الخمسمائة والمائتين وقد يزيد قليلا أو يقلون (٣٣) .

ويتقدم صاحب اللواء على صاحب الراية كما وقع يوم فتح مكة فكان خالد بن الوليد أول من قدمه الرسول صلوات الله عليه في بني سليم وهم ألف فيهم لواء يحمله العباس بن مرداس ولواء يحمله خفاف بن ندبة (٣٤) ثم بدأت القبائل بالدخول وهي تحمل الألوية والرايات موزعة على القبائل (٣٥) وتشير الروايات الى تحديد الوان بعض الرايات وتسكت عن الألوان الأخرى ، فقد دخل الزبير بن العوام بخمسمائة ومعه راية سوداء وبنو غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم أبو ذر الغفاري ومرت أسلم في أربعمائة فيها لواءان . ومرت بنو عمرو بن كعب في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان . ومرت مزينة في ألف فيها ثلاثة ألوية ومرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون يحمل لواءها الصعب

(٣٢) الواقدي . المغازي : ٢/٧٧٠ .
(٣٣) الواقدي . المغازي : ٢/٨٠٠ – ٨٠١ .
(٣٤) الواقدي . المغازي : ٨١٩ .
(٣٥) الواقدي . المغازي : ٨٢٠ – ٨٢١ .

بن جثامة ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة ومعهم لواءان . ومرت الكتيبة الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار وفيها الرايات ومع كل بطن من الأنصار راية ولواء . وكان في الكتيبة ألف دارع وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته سعد بن عبادة وهو أمام الكتيبة ويتبين عدم الوضوح أحيانا في تحديد الصورة حين نجد الأضطراب في الأستعمال ففي نص سعد بن عبادة وردت مفردة الراية التي سلمت اليه ثم يأتي بعده . وجعل اللواء الى قيس بن سعد بن عبادة بعد عزله (٣٦) .

وفي حنين كانت ألوية المسلمين أربعة وراياتهم ثلاثين (٣٧) وكانت الراية موضع اعتزاز يتدافع القوم من أجل حمايتها ويتناخون لتظل عالية تخفق فوق رؤس المقاتلين . فقد استشهد من ثقيف مائة رجل تحت رايتهم(٣٨)

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على حملة الراية ان يكونوا ممن كان يحملها في الجاهلية (٣٩) اعتزازا بحملتها وتقديرا لمن حافظوا عليها واكراما لمن ظل يتناوب على حملها وأمانة لدورها في تثبيت المقاتلين ورفعة لمعنويات الرجال الذين تتعلق عيونهم بسموها وقلوبهم برفعتها وعزمهم بأنتصارها ..

وقد يأتي رفع اللواء والراية مرة واحدة ففي غزوة حنين عبأ الرسول صلوات الله عليه اصحابه وصفّهم ووضع الألوية والرايات في اهلها وهي اشارة تؤكد تحديد اصحاب الرايات والألوية لمن عرف بحملها فكان لواء المهاجرين يحمله الأمام علي (رضي الله عنه) وراية يحملها سعد بن أبي وقاص وراية يحملها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وفي الأنصار رايات مع الخزرج ولواء يحمله الحباب بن المنذر وقيل ان لواء الخزرج

---

(٣٦) الواقدي . المغازي : ٩٢١ .
(٣٧) الواقدي . المغازي : ٨٩٥ ، ٨٩٦ .
(٣٨) الواقدي . المغازي : ٩٠٧ .
(٣٩) الواقدي . المغازي : ٩٢٣ .

الأكبر كان مع سعد بن عبادة وفي كل بطن من بطون الأوس والخزرج لواء او راية (٤٠) .

وتؤكد هذه الاشارة في تبوك حيث كان الناس ثلاثين ألفا حين أمر الرسول صلوات الله عليه كل بطن من الأنصار أن يتخذوا لواء وراية وكانت القبائل من العرب فيها الرايات والألوية (٤١) واذا كانت الشجاعة خصيصة لصاحب الراية او اللواء فان اصحاب الرايات في الجاهلية من المفضلين في حلها فان اكثر الناس أخذا للقران كان من المقدّمين على حملها في العصر الاسلامي . ففي تبوك دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راية مالك بن النجار الى عمارة بن حازم فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت فأعطاه الراية ، قال عمارة يا رسول الله لعلك وجدت علي قال لا والله ولكن قدموا القرآن .. وكان أكثر أخذا للقرآن منك والقرآن يقدم .

وأمر صلوات الله عليه ان يحمل رايات الأوس والخزرج اكثرهم أخذا للقرآن (٢٨) . ويأتي تحديد شكل اللواء لأول مرة حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمام علي (رضي الله عنه) في رمضان سنة عشر الى اليمن وعقد له يومئذ حيث أخذ عمامة فلفها مثنيّة مربعة فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها اليه وقال هكذا اللواء (٤٣) . وهي محاولة في تحديد الشكل وتثبيت الصورة والتعريف بالطريقة التي يمكن ان يكون عليها اللواء ليقتدي به ويصار الى مثله .

وتشير بعض الروايات الى ان حامل اللواء يرتجز ويبدي من الشجاعة — شأنه شأن صاحب الراية — ما يعين به اصحابه ويثير فيها الحماسة والاندفاع

(٤٠) الواقدي . المغازي : ٨٩٦ .
(٤١) الواقدي . المغازي : ١٠٠٢ .
(٤٢) الواقدي . المغازي : ١٠٣ .
(٤٣) الواقدي . المغازي : ١٠٧٩ .

يلهب مشاعرهم لخوض المعركة وقد تصاحب صاحب اللواء فرق النسوة وهن يحرضن ويضربن بالدفوف (٤٤) .

ومن اراجيز صاحب اللواء ....

ان على اهــل اللــواء حقا ان تخضــب الصّعدة او تندّقا

فصاحب اللواء عليه حق خوض المعركة وتقدم الصفوف وان تخضب قناة لوائه دما وهذا يقتضي حسن الأختيار بمن يعرف بالجرأة وقوة الأرادة وصلابة الموقف وتحمل المسؤولية. وكان اسقاط اللواء هدفا سوقيا من اهداف المعارك الحاسمة لما يدل عليه رفعه من انتصار ويبعثه من اعتزاز ويثيره من تماسك في شدة المصاولة والمطاولة (٤٥) .

وللراية دلالات اخرى قد تقرب احيانا من اللواء وقد تشترك معه من حيث الأداء القتالي او التأثير النفسي ولكنها ترتفع على مجاميع لها خصائص مشتركة تضمهم . ففي يوم بدر دفع الرسول صلوات الله عليه راية المهاجرين الى أبي بكر (رضي الله عنه) وراية الأنصار الى سعد بن عبادة ويقال ان راية المهاجرين كانت مع عمار بن ياسر (٤٦) .

وفي احد كان صاحب لواء المشركين طلحة بن أبي طالب وبعد مقتله تسلمه عثمان بن أبي طلحة فحمل عليه حمزة بن عبدالمطلب فضربه بالسيف فقطع يده وكتفه ثم حمله ابو سعد بن ابي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته وفي حديث سعد عنه يقول : فأضربه فأقطع يده اليمنى فيأخذ اللواء باليسرى فأحمل على يده اليسرى فأضربها فتقطع فيأخذ اللواء بذراعيه جميعا ويضمها الى صدره ويحنى عليه ظهره (٤٧) . ثم حمله مسافع بن

(٤٤) الواقدي . المغازي : ٢٢٦ .
(٤٥) الواقدي . المغازي : ٤٠٧ .
(٤٦) الواقدي . المغازي : ٤٠٧ .
(٤٧) الواقدي . المغازي : ١/٢٢٧ .

طلحة بن ابي طلحة فقتل ثم حمله طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام ثم حمله الحلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيدالله ثم حمله ارطاة بن شرحبيل فقتله الامام علي عليه السلام ثم حمله شريح بن قارظ ثم حمله صؤاب غلامهم فأختلف في قاتله حيث حمل عليه فقطع يده اليمنى فأحتمل اللواء باليسرى ثم قطع اليسرى فأحتضن اللواء بذراعيه وعضديه ثم حنى عليه ظهره وقال يا بني عبد الدار هل اعذرت فحمل عليه فقتله .

ومن تقاليد الفروسية الأحتفاظ باللواء في بيت حامله اكراما له واعتزازا ببطولته وقد يبقى اللواء في بيت حامله حتى وفاته فعندما عقد الرسول صلوات الله عليه لأسامة في غزوته وخرج بلوائه معقودا دفعه الى بُريدة بن الحُصيب فخرج به الى بيت اسامة ولما أشيع نبأ انتقال الرسول صلى الله وعليه وسلم الى الرفيق الأعلى قبل سفر اسامة دخل بريده بلواء اسامة معقودا حتى اتى باب رسول الله فغرسه عنده فلما بويع لأبي بكر رضي الله عنه امر بريده أن يذهب باللواء الى اسامة وألاّ يحلّه أبدا حتى يغزوهم اسامة فخرج حتى انتهى باللواء الى بيت اسامة ثم خرج به الى الشام معقودا مع اسامة ثم رجع الى بيت اسامة فمازال في بيته حتى توفي (٤٨) .

والرايات علامات يعرف من خلالها المقاتلون (٤٩) فحين ينادي المنادي يصبح كل صاحب راية على رايته (٥٠) وحين يأخذها يتابعه من هم بمعيته لانهم يعرفون بها ويكون في المعركة اول من يحمل على الخصوم وعليه يتوقف مصير المعركة ففي ثباته ثبات الراية (٥١) ويبقى حملة الرايات عليها بعد عودة المقاتلين اكراما لحسن بلائهم وتقديرا . ومن تقاليد المعارك أن

---

(٤٨) الواقدي . المغازي/١١٢٠ — ١١٢١ .
(٤٩) الواقدي . المغازي/٦٤٤ .
(٥٠) الواقدي . المغازي/٦٥١ .
(٥١) الواقدي . المغازي/٦٥١ ، ٦٦٣ .

يسمى حملة الراية او اللواء ويحدد الرجال الذين يتناوبون على حملها في حالة الاستشهاد ابقاء لها وحفظا على سلامتها . فلما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر الى معركتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان فحبّب اليه الحياة وكرّه اليه الموت وحبّب اليه الدنيا ! فقال : الآن حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين الى الدنيا ! فمضى قدما حتى استشهد ، فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقال : استغفروا له ، فقد دخل الجنّة وهو يسعى ! ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب . فجاءه الشيطان فمنّاه الحياة وكره اليه الموت ، ومنّاه الدنيا فقال : الآن حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تمنّيني الدنيا ! ثم مضى قدما حتى استشهد ، فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلم ودعا له ، ثم قال : استغفروا لأخيكم فانه شهيد ، دخل الجنّة فهو يطير في الجنّة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنّة . ثم أخذ الراية بعده عبدالله بن رواحة ، فأستشهد ودخل الجنّة معترضا . فشق ذلك على الأنصار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصابه الجراح . قيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : لمّا اصابته الجراح نكّل ، فعاتب نفسه فشجع ، فأستشهد فدخل الجنة ، فسريّ عن قومه .

وكثيرا ما كانت الرايات تعزز او ترفع عند تحقيقالنصر امارة على حسم المعركة ودليلا على اسكات الخصوم واعلاء لشأن المقاتلين ، ففي غزوة بني قريضة كانت الراية بيد الأمام علي (عليه السلام) ولما انتهى المسلمون اليهم غرز الأمام علي الراية عند اصل الحصن (٥٢) . وتشير الروايات الى ان الرايات في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم استعملت يوم خيبر ولم

---

(٥٢) الواقدي . المغازي/٤٤٩ .

تكن راية قبل هذا اليوم حيث فرق الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم الرايات وكانت ثلاث رايات وانما كانت الألوية . وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم (السوداء) من برد لعائشة تدعى العقاب ولواؤه أبيض ودفع راية الى الأمام علي (عليه السلام) وراية الى الحباب بن المنذر وراية الى سعد بن عبادة (٥٣) وتعقد اردة بنت الحارث بن كلدة سنة اربعة عشر لواء من خمارها بعد ان اتخذت النساء من خمورهن رايات وخرجن يردن المسلمين فأنتهين اليهم والمشركون يقاتلونهم فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن مددا اتى المسلمين فأنكشفوا واتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة (٥٤) . ويؤكد استقراء رفع الرايات من قبل الرسول صلوات الله عليه انها كانت ترفع لكل مجموعة او بيت او بطن .

ولما عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببئر أبي عتبة وعقدالألوية والرايات فكان في المهاجرين ثلاث رايات ، راية مع الزبير وراية مع علي عليه السلام وراية مع سعد بن أبي وقاص .

وكان في الاوس بني عبدالاشهل راية مع أبي نائلة

وفي بني ظفر راية مع قتادة بن النعمان

وفي بني حارثة راية مع أبي بردة بن دينار

وفي بني معاوية راية مع جبر بن عتيك

وفي بني خطمة راية مع أبي لبابة بن عبدالمنذر

وفي بني أمية راية مع مبيض

وفي بني ساعدة راية مع أسيد الساعدي .

وفي بني الحارث بن الخزرج راية مع عبدالله بن زيد

وفي بني سلمة راية مع قطبة بن عامر

---

(٥٣) الواقدي . المغازي/٦٤٩ .

(٥٤) الطبري . تاريخ الطبري : ٥٩٦/٣ .

وفي بني مالك بن النجار راية مع عمارة بن جزم
وفي بني مازن راية مع سليط بن قيس
وفي بني دينار راية يحملها ...
وكان المهاجرون سبعمائة وكانت الانصار اربعة آلاف .

وقد يعلن صاحب الراية عن نفسه على وفق اشكال متميزة كأن يمتطي جملا يخالف لونه ألوان الجمال الأخرى او يتخذ رأس رمح طويل يلف عليه رايته المحددة يلونها ليعلن عن نفسه امام الناس ارشادا لهم وتحديدا لمواقعهم فحين شدت الكتائب على المسلمين يوم حنين وانكشف المسلمون كان ممن ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ونفر من المهاجرين والانصار رجل من هوازن على جمل له احمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام الناس وهوازن خلفه اذا ادرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فأتبعوه (٥٥) وكان لأصحاب الرايات عطاء يتميز عن عطاء الآخرين (٥٦) .

واذا كانت ألوان الرايات قد حققت حالة التجمع وشدت اليها أنظار المقاتلين ووحدت من يتحرك في ظلها ليأخذ مكانه المحدد فأنه دلالة الاعلام بالشخص والاعلان بالوان العمائم وكان صورة أخرى من صور البطولة لأنه اشارة الى احسان القتال في معركة حاسمة ومواجهة حادة فقد كان اربعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعملون في الزحوف وفي معركة بدر بالذات . فقد اعلم حمزة بن عبدالمطلب (رضي الله عنه) عنه بريشة نعامة واعلم الامام علي عليه السلام بصوفة بيضاء واعلم الزبير (رضي الله عنه) بعصابة صفراء . وكان الزبير يحدث ان الملائكة نزلت يوم بدر على خيل

---

(٥٥) الطبري . تاريخ الطبري : ٨/٣ .
(٥٦) الطبري . تاريخ الطبري : ٤٩/٤ .

بلق عليها عمائم صفر وكان على الزبير يومئذ عصابة صفراء . وكان ابو دجانة يعلم بعصابة حمراء (٥٧) . وكانت عمامة عبدالرحمن بن عوف في غزوة دومة الجندل سوداء . عمّمه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وارخى بين كتفيه منها . ثم قال هكذا فأعتم يا أبن عوف (٥٨) .

وبعد فقد وجدت من لوازم البحث أن احدد مفهوم اللواء والراية واميز بينهما بعد أن وجدت الخلط قد أخذ طريقه اليهما والاختلاف قد دخل في أصولهما حتى اشتبكت المعاني ان هذه المحاولة التي اقتصرت على مفهوم اللواء والراية في مغازي الرسول صلوات الله عليه قد رسمت الطريق لمعرفة دلالتها والتقاليد التي تعارف عليها المقاتلون وهم يخوضون المعارك الكبيرة مهتدين بسيرة الرسول الكريم صلوات الله عليه وسنته الطاهرة التي كانت امتدادا لتقاليد عربية عريقة .

وللراية تقاليد في المعارك فهزها يعني بداية المعركة وأشعارا للتهيؤ واستعداداً للهجوم ففي معركة نهاوند قال النعمان بن مقرّن لأصحابه عند لقاء العدواني هاز لكم الراية فليصلح كل رجل منكم من شأنه وليشد على نفسه وفرسه ثم اني هازها لكم الثانية فلينظر كل رجل منكم من موقع سهمه وموضع عدوه ومكان فرصته ثم اني هازها لكم الثالثة وحامل فأحملوا على اسم الله (٥٩)

وكما كان اللواء يرفع في الحرب فقد كان يرفع للهجاء ، وكانت العرب تنصب الألوية في الاسواق الحافلة لغدرة الغادر لتشهير فعله الرديء الذي يفتضح به بين الناس اذا ظهر والى ذلك يشير زهيربن أبي سلمى ..(٦٠)

---

(٥٧) الواقدي . المغازي : ٦٦/١ ، ٧٦ ، ٢٥٩ ، ٦٥٤/٢ .
(٥٨) الواقدي . المغازي : ٥٦٠ ـ ٥٦١ .

وتوقد ناركم شرّرا ويرفع   لكم في كل مَجْمعَةٍ لواء

وفي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به ، دلالة اخرى على ارتفاع اللواء لغرض التشهير والاعلام بصفة العذر ليذمه أهل الموقف .

لقد أشرت الى الملابسات التي رافقت ألفاظ اللواء والراية في معاجم اللغة والقواميس وما شابهما من الغموض والابهام فصعب التمييز بينهما على ان هذا الخلط كما بينا لم يكن مقتصرا على تلك الكتب فقط وانما تعداه الى السيرة والحديث والتاريخ ، فقد جاء في صحيح البخاري في باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم اللواء بكسر اللام والمد الراية وهي العلم أيضا أو هو غيرها ، وهي ثوب يجعل في طرف الرمح ويخلى كهيئته تصفقه الرياح . . والعلم يعقد أو دونها أو هو العلم الضخم ، وعلى التفرقة قوم كالترمذي ويؤيده حديث ابن عباس المروى عنه واحمد . كانت راية رسول الله صلى الله عليهوسلم سوداء ولواؤه أبيض ومثله عند الطبراني عن بريده .

والذي صرح به غير واحد من أهل اللغة ترادفهما ، فلعل التفرقة بينهما عرفية وقد كانت الراية يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على راسه ، واما العلم فعلامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار . . وكان اسمها العقاب .

وكان عليه الصلاة والسلام يدفع الى كل رئيس قبيلة لواء يقاتلون تحته ، وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الراية للأمام علي رضي الله عنه ففتح الله عليه خيبر وقال (صلى الله عليه وسلم) لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ، وعن نافع بن جبير قال ، سمعت العباس بن عبد المطلب

يقول للزبير بن العوام رضي الله عنه أمرك النبي صلى الله عليه وسلم أن أن تركز الراية . . .

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الراية لم تكن خاصة بشخص بعينه بل كانت تعطى في كل غزوة لمن يريده الرسول صلى الله عليه وسلم وان الراية لاتركز الا بأذن القائد لأنها علامة عليه وعلى مكانه ولايمكن أن يتصرف فيها الا بأمره .

ويذكر ابو داود في سننه فيقول حدثني يونس بن عبيد مولى محمد بن القاسم قال : بعثني محمد بن القاسم الى البراء بن عازب يسأله عن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كانت ؟ فقال : كانت سوداء مربعة من نمره (وهي برده) من صوف يلبسها الاعراب فيها خطوط من بياض) وسواد .

وفي حديث لأبن الزبير عن جابر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لواءه يوم دخل مكة أبيض وفي رواية عن سماك عن رجل من من قومهعن آخر قال : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء وعن ابن اسحاق وابن سعد . لم تكن الرايات الا يوم خيبر وان الرسول صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وانما كانت الألوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها تدعى العقاب .

وفي كلام المقريزي لما ذكر رتب الرياسة في الجاهلية قال : وتكون الراية لرئيس الحرب وجاء الاسلام وهي عند أبي سفيان .

وفي سيرة الحافظ الدمياطي كانت له صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربعة من نمره مخملة يقال لها العقاب وكانت له راية صفراء ولواؤه أبيض دفعه الى الامام علي كرّم الله وجهه .

ويذكر الحافظ الدمياطي انه كانت الويته صلى الله عليه وسلم بيضا وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك العلم ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعني بما جاء في بعض الروايات .

ويذكر صاحب السيرة الحلبية في مكان آخر ان قوله صلى الله عليه وسلم لارفعن الراية اطلاق على اللواء ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعلي كرّم الله وجهه ، خذ هذه الراية وتقدم ، فالراية قد يطلق عليها لواء هذا وفي كلام بعضهم أن أبا سفيان كانت اليه الراية المعروفة بالعقاب التي كانت لايحبسها الا رئيس اذا حميت الحرب . ولعل تسمية رايته صلى الله عليه وسلم بالعقاب لكونها كذلك .

وفي رواية أخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الأمام عليا عليه السلام درعه الحديد وشد ذا الفقار في وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي كرم الله وجهه بها يهرول حتى ركوها تحت الحصن وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه المخفر وقيل عليه عمامه سوداء حرقانية قد أرخى طرفيها بين كتفيه بغير احرام ورايته سوداء ولواؤه أسود وعن عائشة رضي الله عنها كان لواؤه يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب .

وأما تكثير الرايات وتلوينها واطالتها فقد ذكر ابن خلدون ان القصد به التهويل وربما تحدث في النفوس من التهويل زيادة في الاقدام وأحوال النفوس وتلوناتها غريبة . ثم الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فمنهم مكثر ومنهم مقل بحسب اتساع الدول وعظمتها فأما الرايات فأنها شعار الحروب من عهد الخليفة ، ولم تزل الامم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات لعهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعد من الخلفاء .

ان هذا التداخل حملني على أن أبدأ بدراسة اللوحة كاملة والوقوف المتميزة لكل من اللواء والراية ولأضع لهذا التداخل حدا وان كانت الصورة في الشعر العربي قبل الاسلام أكثر وضوحا الا انها تتداخل في أحاديث الشعر وتختلط المسميات . . أقول ان هذا التداخل هو الذي حملني على أن أدرس اللواء والراية لأقف على الأوليات المستخدمة في هذا المجال فكانت هذه المحاولة التي كشفت عن استعمال المفردة في الحالات التي تحددها اعداد المقاتلين ، والاوقات التي ترفع فيها أو تدفع لمن يحملها .

عرض الكتب

الدولة في عهد الرسول

صلى الله عليه وسلم

الدكتور أحمد مطلوب

(عضو المجمع)

لم تكن للاسلام دولة قبل هجرة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة المنورة ، لانّ الدعوة الاسلامية كانت في مرحلتها الاولى ولانّ أهل قريش ناوأوا الدين الجديد وعذبوا بعض المسلمين ليردوهم عن عقيدتهم الى الشرك بالله واليوم الآخر . ولما اشتدت مقاومة اهل مكة للرسول ـ عليه السلام ـ هاجر بعض المسلمين وبدأ الاتصال بأهل يثرب فكانت بيعة العقبة الاولى وبيعة العقبة الثانية واطمأن رسول الله الى أهل يثرب فهاجر اليها بعد أن أذن الله له بالهجرة ، وهناك وجد قوما آمنوا ودخلوا في دين الله ولقي أرضا صالحة لاقامة دولة تحمي الرسالة الجديدة وتقيم التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وتدعو الى الاسلام في الجزيرة العربية . كانت يثرب او المدينة المنورة ذات نظام قبلي ، وكان أفراد كل عشيرة يسكنون في منطقة مزارعهم ويتعاونون فيما بينهم ، ولم تكن فيها حكومة أو مؤسسات سياسية تدير شؤونها لسعة مساحتها وتباعد محلات سكن أهلها واشتغالهم بالزراعة وعزلتهم عن العالم . ولم يكن الأمن مستتبا فيها اذ كانت الخصومات بين العشائر شديدة وكانت المصالح الخاصة توجه الحياة توجيها لايؤدي الى سلطة مركزية تقيم الأمن وتحمي المواطنين وتطور الحياة وتقيم العلاقات بين أهل المدينة وما جاورها بخلاف مكة التي كانت بيئة تجارية وكانت فيها دار الندوة وبعض المجالس التي يجتمع فيها علية القوم ليحلوا مشكلاتهم ويقضوا على التناحر .

كان لهجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) أثر في تحـول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة ، واول ماواجهه – عليه السلام هو اسكان المهاجرين في الديار الجديدة بعد أن تركوا ديارهم وبعض اموالهم في مكة المكرمة وقد تجلت قدرة الرسول على حل هذه المشكلة اذ استطاع بعد زمن قصير أن يهيّىء للمهاجرين ديارا يسكنون فيها وكان للمؤاخاة أثر في أن يسود الصفاء بين المهاجرين والانصار ، وان ينصرف المسلمون الى اقامة دولتهم ونشرالاسلام . وقد بدأ تنظيم الادارة في المدينة منذ بيعة العقبة حينما عين الرسول – صلى الله عليه وسلم – نقباء . وحينما هاجر اليها واستقر فيها تابع نشر الدعوة الاسلامية وتوضيح معالم الدين الجديد ، وشرح اسس التنظيمات المنبثقة من روح القرآن الكريم وتأكيد سيادة المجتمع الاسلامي الجديد . وكان هذا ايذانا بان يلتفّ المسلمون حول الرسول وان يطيعوه كما يطيعون الله تعالى وان يؤمنوا بانهم خير أمة أخرجت للناس وان المسلمين امة واحدة يرتبط أفرادها برابطة العقيدة الدينية لا برابطة الدم . وان على هذه الامة ان تشترك في استتباب الامن ومطاردة المفسدين ونشر الدعوة والجهاد في سبيل الله .

وبدأ النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ان استقر به المقام في المدينة المنورة ينظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ويقيم حدود الله ويأمر بأداء الفرائض ويوضح للمسلمين شروط الصلاة التي أمر الله بها والقبلة التي يتوجهون اليها والأذان الذي يقيمون به الصلاة . ويبين فريضة الصوم ويشرح أبعاده وكانت الفرائض الاسلامية والعمل بها أساسـا في التوحيد والايمان بالله ورسوله وجمع شمل المسامين والتفافهم حول نبيهم الكريم الذي أخذ يؤمن السيادة في المدينة ليدرأ الخصومات وما كان في هذه البيئة من نزاع بين العرب انفسهم وبينهم وبين اليهود المقيمين بين ظهرانيهم . وكانت المعارضة والنفاق واليهود من اكثر مالقي في المدينة عنفا واستطاع بأمر الله وعزيمة المؤمنين ان يبدد المعارضين والمنافقين وان يطهر المدينة من اليهود الذي بدأوا يتآمرون على

الاسلام ويناقشونه ويجادلونه ويحاولون إحراجه والدسّ عليه . وقوي الاسلام في المدينة وكان لابدّ للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – من ان يعلن الجهاد في سبيل الله وان يقاتل من اجل الاسلام فكانت المعارك الكبرى الاولى وهي بدر وأحد والخندق وتم اخضاع المستعمرات اليهودية في شمالي الحجاز وكان هذا ايذانا بان يمتد نشاط الرسول الى خارج المدينة وأن يقوي ايمان المسلمين بدينهم الذي ضحّوا من أجله وهاجروا تاركين وراءهم ديارهم واموالهم وذراريهم، واخذ الاسلام يمتد الى اواسط الحجاز واطمأن الرسول الى مابذل من جهد لنشر الدعوة ، وقرر في السنة السادسة من الهجرة التوجه الى مكة لاداء العمرة وزيارة مكة التي تركها مهاجرا في سبيل الله ، وكادت هذه الزيارة تتم لولا صلح الحديبية الذي أرجأها . ولم يثن ذلك من عزيمة المسلمين لثقتهم بنبيهم الكريم وايمانهم العميق بالدين الجديد، وكان فتح مكة إيذانا بقيام الدولة العربية الاسلامية والتوجه الى حكام البلاد المجاورة وارسال الرسائل اليهم ليؤمنوا بالاسلام واتجه الرسول الى شمال الحجاز وجرت وقعات انتصر فيها ونشر دينه ، واخذ يستقبل الوفود القادمة من الجزيرة العربية وهي تعلن إسلامها بعد فتح مكة . وسميت السنة التاسعة من الهجرة « عام الوفود » لكثرة مَن وفد الى المدينة بعد أنْ عاد الرسول الى المدينة ظافرا .

لقد آمنت جزيرة العرب بالاسلام وبدأ التنظيم الاداري يأخذ شكله . وبدأت التنظيمات المالية تعطي ثمارها وكان هذا منطلقا لبناء الدولة العربية الاسلامية في الجزيرة وخارجها ، ودستورا استمد أصوله من القرآن الكريم وسنة نبيه العظيم . ان بناء الدولة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعني ان التنظيمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية التي سار عليها العرب والمسلمون كانت وليدة البيئة العربية وانها استمدت اصولها من الاسلام وهذا يؤكد اصالة الفكر العربي ويعطي للادارة العربية دورا مهما في تنظيم حياة

الناس ، ولكن بعضهم لايؤمن بقدرة العربي على البناء بعد ان شرفه الله بالاسلام ، وهذا يدفع الى دراسة التاريخ العربي الاسلامي دراسة علمية مجردة من الانفعال والتحامل ، ويدعو الى الاهتمام بالتنظيمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية ليظهر دور العرب في بناء الدولة وقيام الكيان السياسي المتميز . وقد ظهرت في هذا القرن دراسات منصفة ، واتجه المؤمنون بأمتهم ورسالتها الخالدة الى إعادة كتابة التاريخ والوقوف على صفحاته المشرقة لتكون منطلقا لحياة كريمة واعتزازاً بما في الأمة وتراثها العريق .

ومن الكتب التي صدرت حديثا عن المجمع العلمي العراقي « الدولة في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ » للاستاذ الدكتور صالح احمد العلي ، وهو مؤرخ كبير خلق مدرسة تأريخية تؤمن بقدرة الامة العربية على العطاء . وكان الجزء الاول من الكتاب عن تكوين الدولة وتنظيمها ، وسيكون للأجزاء الاخرى دور في اظهار الدولة العربية الاسلامية والقاء الضوء على تنظيماتها الادارية والاجتماعية والاقتصادية . وهو ما يحتاج اليه الدارسون في الايام حيث الهجمة الشعوبية الشرسة والتنكر لقيم الامة ومحاولة هدم مقوماتها ومحو أصالة حضارتها ضم هذا الجزء « دراسات عن قيام دولة الاسلام في المدينة وتطور تنظيمها وتوسعها وتثبيتها في شبه جزيرة العرب إبان حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما هو وثيق الصلة بها مما حدث في زمن خلافة أبي بكر الصديق » ولهذا الجزء أهمية كبيرة لأنه « يبحث في حقبة اتسمت بتطورات عميقة وشاملة شملت مختلف جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والادارية » ولانه يشمل « جانبا مهما من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ أن هاجر الى المدينة » وكانت الهجرة والاستقرار في المدينة المنورة « بداية تكون الدولة التي حققت الرسالة وأمنت حماية حملتها وتوجهاتهم » .

وهذا الجزء من الكتاب خمسة أقسام : ـ

الاول : أهل المدينة والدعوة الاسلامية . وقد عرض للمدينة ونظم الحياة عند

الهجرة ، وللعشائر العربية فيها ، ولاتصال اهلها بالرسول — صلى الله عليه وسلم — وللهجرة اليها والاستقرار فيها ، ولتنظيم الادارة وللفرائض الاسلامية .

الثاني : تأمين السيـــادة على المدينة ، وهو المعارضة والنفاق واليهود والدعوة الاسلامية ، وتطهير المدينة من اليهود .

الثالث : الجهاد واستخدام السلاح ،وقد تحدث عن الجهاد الاسلامي والإعداد للقتال ، والمعارك الكبرى وهي بدر وأحد وحصار المدينة وهي معركة الخندق وصلح الحديبية واخضاع المستعمرات اليهودية في شمالي المدينة ، والاحوال السكانية في أواسط الحجاز ، وامتداد الاسلام في أواسط الحجاز ، واسلام عشائر أواسط الحجاز .

الرابع : امتداد الاسلام في شبه جزيرة العرب ،وقد ضم فتح مكة ،ورسائل الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى حكام البلاد المجاورة ، وامتداد الاسلام في شمالي الحجاز ، والوفود وامتداد الاسلام في الجزيرة . وتطور التنظيم الاداري في جزيرة العرب ، والتنظيمات المالية .

الخامس : رسالة الاسلام وهو كلام على القرآن الكريم والدين والامة ، والاخلاق والعلاقات الاجتماعية ، وسجايا الرسول وخلقه .

ان هذه الاقسام الخمسة التي ضمت سبعة وعشرين فصلا تعطي صورة واضحة للدولة في عهد الرسو ل —صلى الله عليه وسلم— وللتنظيمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم ، وهي ليست جديدة في مادتها فقد عرضت الكتب القديمة والحديثة لها، ولكن الجديد هذا المنهج القويم وعرض المعلومات وتحليلها والاستنتاج منها والوقوف على أهم مقومات الدولة والامة ، وهذه اللغة السهلة الواضحة التي تحبب الى الناس تأريخهم وتقربه اليهم لينتفعوا به وليبنوا حاضراً يستمد أصوله من ماضي الامة المشرق ومن واقع حياتهم المعاصرة . ولم يكن الدكتور صالح احمد العلي بعيدا عن هذه الحقيقة بل هو أحد مؤصليها والداعين اليها ، وكان متواضعا في بحثه فلم يدّع

أنه جاء بما لم تستطعه الاوائل ، وانما قدم كتابه للباحثين ولمن يعنيهم تاريخ امتهم وأصالة حضارتها ليكون منطلقا الى دراسة جديدة تعيد كتابة التأريخ برؤية عربية بعد ان ظهـرت دراسات شوهت الفكر العربي وجعلته تابعا لامبدعا..

ولعل احسن فقرة توضح هدف الباحث وتظهر تواضعه قوله : « ان الدراسة الحالية تقدم صورة عامة لمجرى الحوادث في حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبُعيد وفاته ، وكثير من الحقائق التي وردت فيهـا معروفة في ما نشـر من كتب ودراسـات سابقة ، وقد روعي فيها اظهـار الاحوال القائمة التي كان لها أثر في مجرى الاحداث وبذلك استهدفت ربط الحوادث المنفردة بالاحوال العامة مما يعين على فهم أسلم لمكانتها واهميتها ومساراتها . ومن مظاهر عظمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ادراكه الثاقب لتلك الاحوال وأعماله الناجحة في الافادة منها في تحقيق الانجاز الباهر الذي توصل اليه ، فالدراسة راعت متابعة الاحداث وتلاحمها مع الاوضاع العامة القائمة ولم تقتصر على سرد الحوادث السياسية والحربية وانما امتدت الى تقدير اهمية الحوادث الاجتماعية والادارية والاخلاقية التي أبرزت بعد دراسة دقيقة وتأمل هادىء ومحاولة للنظر في الاحداث والاحوال كما كانت في حينها مع تجنب المبالغات التي أفضاها عدد من المتأخرين والتوجهات المقولبة التي حاول بعضهم صبّ الاحداث فيها . وكان رائدنا فيها عرض الحقيقة كما تراءت لنا . ولاندعي الاحاطة بكل جوانب التطور الهائل وسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم – وصحبه الذين أسهموا في ذلك التطور كما لانزعم الكمال وانما نرجو أن نكون قد قدمنا صورة صادقة للجوانب التي بحثناها من التطور ترضي المعنيين بهذه الفترة والطامحين الى المعرفة والتأمل » .

ولعل كتاب « الدولة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – » يكون منطلقا لدراسات تُعنى بالدولة العربية الاسلامية وتنظيماتها الادارية والاجتماعية والاقتصادية ، وهو ما يحتاج اليه العربي في هذه المرحلة من حياة أمته المجيدة.

التقرير السنوى عن أعمال المجمع
للسنة المجمعية ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨

قدمه رئيس المجمع الدكتور صالح أحمد العلي

بحمد الله على منّه وعونه نختتم السنة المجمعية بعد العمل المتتابع الذي قام به اعضاء المجمع ومجلسه ومنتسبوه من جهد متواصل من اجل تحقيق اهدافه وخدمة الامة في انماء الفكر والثقافة في الميادين المحددة له ، وبذل المجمع جهوداً حرية بالتقدير لتجاوز بعض الاحوال التي تعطل عمله لتحقيق انجازاته .

مجلس المجمع :

تابع مجلس المجمع عقد جلساته مرتين في كل شهر ، وبلغ عدد جلساته ثماني عشرة جلسة ،أولى اهتمامه فيها باللغة العربية ومكانتها ودورها وسبل تطويرها وتيسير تعريب المصطلحات العلمية .

خصصت سبع جلسات لمناقشات عامه في المواضيع المتصلة بعمل المجمع في سبيل تحقيق اهدافه ،ففي الجلسة الاولى نوقشت مكانة القرآن الكريم في اللغة العربية ،وفي الجلسة الثانية تقرر ان يولى اهتمام خاص في الدراسات عن القرآن الكريم واللغة العربية ،ومعاجم الفاظ القرآن ،كما تقرر اعداد كتاب عن المجمع وتطوره ينشر بمناسبة مرور اربعين سنة على تأسيسه .

ونوقشت المصطلحات وما يتصل بها في اربع جلسات ؛ وتقرر في الجلسة الثالثة تنظيم عمل المصطلحات واعداد جزازات شاملة بالمصطلحات التي يقرها المجمع .

ونوقشت في الجلسات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة اعمال اللجان في المصطلحات .والاشتقاق والقياس ،وعدد من القضايا اللغوية المتصلة باعداد المصطلحات في العربية وتنظيم الافادة منها في العمل العمل المجمعي .

جرت في تسع جلسات ابحاث متعددة تتصل بالعربية ودورها وسبل انمائها ؛ ففي الجلسة الرابعة القى الدكتور نوري حودي القيسي حديثا عن الندوة العلمية المنعقدة في جامعة هالة بشأن الدراسات العربية الاسلامية .

وفي الجلسة السادسة القى الدكتور جميل الملائكة بحثا عن تطور الارقام العربية حتى العصور الحالية .

وفي الجلسة السابعة تحدث الاستاذ محمد بهجة الاثري عن علم المياه الخفية عند العرب ،وكتاب عين الحياة في علم استنباط المياه للدمياطي .

وفي الجلسة الثامنة تحدث الدكتور جميل سعيد عن العروبة في شعر الابيوردي .

وفي الجلسة العاشرة تحدث الدكتور يوسف حبي عن الاصول العربية والتراث .

وفي الجلسة الحادية عشرة تحدث الدكتور صالح احمد العلي عن التراث العربي واهمية رصد المصطلحات فيه .

وفي الجلسة الثانية عشرة تحدث الدكتور عبد العزيز البسام عن النظم التربوية الحديثة .

وفي الجلسة الثالثة عشرة تحدث الدكتور بشار عواد عن فضل العرب المواهب والمكسوب انطلاقا من قوله تعالى «الله اعلم حيث يجعل رسالته ».

وفي الجلسة السادسة عشرة تلا الاستاذ محمد حسن آل ياسين مذكرة اعدها عن الاشتقاق والقياس .

وكان يعقب كل جلسة نقاش وتعليق يشارك فيه عدد من اعضاء المجلس . ويجرى حاليا طبع عدد من هذه الاحاديث في مجلة المجمع .

وجرى في اربع جلسات تأبين لمن توفاهم الله من أعضاء المجمع خلال السنة المجمعية الحالية :

فأبن الفقيد الدكتور جواد علي في الجلسة الاولى ،وتحدث فيه الدكتور صالح احمد العلي ،والاستاذ محمد بهجة الاثري، والدكتور نوري حمودي اقيسي .

وفي الجلسة الثالثة أُبِّن الفقيد الدكتور كامل حسن والقى الدكتور صالح أحمد العلي والدكتور احمد عبدالستار الجواري والدكتور جلال محمد صالح كلمات عن اعمال الفقيد ومكانته .

وفي الجلسة الخامسة أبِّن الدكتور جابر الشكري والقى كل من الدكتور صالح احمد العلي والدكتور احمد عبد الستار والدكتور جلال محمد صالح كلمات في اعمال الفقيد ومكانته .

وخصصت الجلسة التاسعة لتأبين الفقيد الدكتور احمد عبدالستار الجواري وتحدث فيها كل من الدكتور صالح احمد العلي ، والاستاذ محمود شيت خطاب ، والدكتور جميل سعيد ، والدكتور محمود الجليلي ، كلمات في سجايا الفقيد وشمائله وانجازاته وخدماته للامة والمجمع ، كما القى فيها الدكتور نوري حمودي القيسي قصيدة عبر فيها عن عواطفه وما يكنه للدكتور احمد عبد الستار من التقدير .

احدث التحاق الاعضاء الاربعة بركب من فقدهم المجمع قبل ذلك ، وصار مجموع عددهم ثمانية ، فراغاً كبيراً ، واذا اضيف الى العدد اربعة مدّ الله في عمرهم وهم يعملون خارج العراق ، كان النقص في العدد كبيراً . ومع ان مضاعفة الاعضاء في جهودهم خفّف من اثر فقدانهم في مسيرة العمل ، الاّ ان الحاجة بقيت ملحة في ضرورة اضافة اعضاء جدد

تراعي في اختيارهم الحاجات الاولى لعمل المجمع ، ومكانتهم العلمية المؤهلة لسد هذه الحاجات . وقد أدركت رئاسة المجمع هذه الحاجة ، وطبيعة الوضع الذي يتطلب اختيار ذوي اختصاصات متنوعة ، وكثرة المؤهلين للاختيار واخطار التسرع في الاختيار ، وقامت باستطلاعات واسعة من اجل الاستقرار على قائمة باسماء المتميزين لسد كل حاجات المجمع او بعضها ، ممن تتوفر فيهم الشروط الخاصة والعامة . ونرجو ان لايتأخر الاستقرار على القائمة طويلا .

ديوان الرئاسة :

عقد ديوان الرئاسة في المجمع العلمي العراقي سبع عشرة جلسة نظر فيها في عدد الامور المتعلقة في اختصاصه . فبحث الاعمال المقترح انجازها خلال السنة المجمعية الحالية ، وعدداً من المواضيع التي يدرسها مجلس المجمع ، وأقر قائمة اسماء خبراء اللجان المقدمة من مقرري اللجان .

واقر إجراء عدد من المناقلات في الميزانية لسد الحاجات المطلوبة ، ومنح مكافآت تشجيعية لعدد من منتسبي المجمع ، وبيع بعض المكائن والمواد ، واتلاف بعضها مما لا حاجة للمجمع به . ودرس شؤون العمل في المجمع والشواغر فيه والشروط التي تراعي في ترشيح من يملؤها . وتعديل ساعات الدوام لمنتسبي المجمع تمشيا مع التوجيهات العامة للجهات العليا والتنسيق مع مؤسسات الدولة الاخرى .واتخاذ تدابير وقائية من احتمال طغيان الفيضان .

واقر طلبات كل من السيد عبد الملك حمدي الاعظمي ، والسيد اسماعيل محمد حسن الدورري . الاحالة الى التقاعد واوصى بتقديم كتاب شكر لكل منهما .

واقر تعيين كل من الانسة كرستابيل ابريمية سوراني والسيد عبد الرزاق احمد محمود في المجمع .

اللجان : —

تابعت لجنة اللغة العربية دراسة الالفاظ والمصطلحات الحضارية التي استحدثت بطريق الاشتقاق والاستعارة اللغوية ونحوهما لمعان جديدة ، وانجزت في ذلك اكثر من ٢٦٠ مادة في مختلف المطالب المدنية والعسكرية والادارية والفنية .

ودرست اللجنة عدداً من الكتب التي احالتها اليها رئاسة المجمع من الهيئة العليا للعناية باللغـة العربية في مصطلحات الاحصاء ،والتجارة ، والتأمين ، ومبادىء المحاسبة ،وادارة المكتب ؛ ودرست أيضاً مقال « اثر اللغة الفارسية في عهد الرسول الاكرم (ص) » الذي نشره الدكتور مهدي محقق في الجزء الثاني من مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق ، واظهرت زيفه وباطله ووضحت اصول نقصه ، وعهدت الى اثنين من اعضائها وأحد خبرائها في الرد عليه ، وتم نشر الدراسات الثلاث في كتاب مستقل بعنوان « انا انزلناه قرآنا عربيا » طبع في مطبعة المجمع ووزع على الجهات المعنية داخل القطر وخارجه .

وناقشت اللجنة طلب الهيئة العليا للعناية باللغة العربية اعادة النظر في واحدة وعشرين لفظة حضارية كانت اللجنة قد نشرتها في مجلة المجمع (١٩٨٢) ووضعت كل لفظة في نصابها الصحيح ، كما انجزت مصطلحات السينما والمسرح ، ودرست اكثر من ستين مصطلحا مستعملا في الكتب المنهجية والمساعدة مما بعثت به كلية الادارة والاقتصاد بجامعة الموصل ، ووضعت لكل مصطلح اجنبي لفظا عربيا سليما ودقيقا .

واجابت اللجنة على استفسارات كثيرة في اللغة والمصطلحات العلمية والفنية ونحوها وردت من عدة مؤسسات حكومية ومن افراد .واسندت الى اربعة

من اعضائها اصلاح اربع مؤلفات حديثة طلب معهد التدريب النفطي بوزارة النفط اصلاحها .

تابعت لجنة الأصول دراسة عدد من القضايا المتعلقة باصول اللغة وقواعدها نحوها وصرفها، ودلالات الاسماء والافعال ، وبعض الصيغ والابنية والتراكيب اللغوية ،وكرست كثيرا من جهدها في دراسة الاساليب المعاصرة التي تكثر في لغة الدواوين الرسمية ووسائل الاعلام المسموعة والمقرؤة والمرئية ومؤلفات المحدثين وكتاباتهم لتقويمها والتنبيه على ما تحرف منها .

وبحثت لجنة التاريخ في المصادر التاريخية عن جوانب من الحضارة في العهود الاسلامية الزاهرة ،وعن تطور الاحوال العمرانية بما في ذلك الزراعة والصناعة والتجارة ، وعوامل زيادة السكان وتناقصهم ، والمعايير الواجب مراعاتها في تقدير اهمية المؤلفات والكتب .

واولت موضوع الادارة عناية خاصة فدرسته على ضوء متطلبات كتاب رئاسة ديوان الرئاسة وعرضت مظان المادة عنه من كتب تراثية ومؤلفات جديدة . واماكن تواجدها .وسبل الحصول عليها . وبحثت العناصر المكونة للادارة . ومنها مصدر السلطات ، ومكانة الخلافة في الادارة واهمية القانون والعرف والمصالح العامة. كما بحثت التقسيمات الادارية ومصادر دراسة تطورها .واعمال الدواوين ،والمالية وادارة القضاء .والمؤسسات المعنية بقضية الامن بما في ذلك الجيش والشرطة والمعونة والحرس .والمؤسسات المعنية بمعاملات السوق ومنها الحسبة .

درست لجنة التراث العلمي العربي قضايا متعددة متعلقة بالمؤلفات والدراسات العلمية العربية . وقررت العمل على طبع عدد من كتب التراث العلمي العربي ونسبت من يقوم بكل منها .فنسبت طبع كتاب « المرشد » للتميمي للدكتور صالح احمد العلي ، وطبع كتاب « الادلة الرسمية في التعابي الحربية » لمنكه للاستاذ محمود شيت خطاب وكتاب « سر الاسرار

في معرفة الاحجار » لابن الشماع الحلبي الى الدكتور عماد عبدالسلام » وكتاب « السموم » المنسوب لجابر بن حيان » للدكتور جابر الشكري .

ونسبت اعـداد ابحاث في مصادر النبات ، ومصادر كتب الادوية المفردة والكتب العسكرية ، والكيمياء ، ومعجم لاسماء الاحجار الى عدد من اعضاء اللجنة .

ودرست اللجنة موضوعات متعددة في التراث العلمي منها مكانة الكتب الاولى في الطب والادوية والنبات ،ومدى صلتها بواقع الحياة في زمنها. كما درست موضوع الاوبئة والطواعين ومدلالوتها الدقيقة واثارها في السكان وحياة الناس ، وكذلك اثار الفيضانات في تاريخ العراق .

ودرست مكانة العلوم في الثقافة العربية ابان ازدهار الحضارة الاسلامية وآثار هذه العلوم في تطور المجتمع ،ودراسة العلوم العربية في أوربا .واهمية كتاب الف ليلة وليلة ،والمؤلفات العربية في الفلك ،وخاصة كتاب الالوف لأبي معشر ،وكتب علم الهيئة ،وكتب التنجيم والملاحم .ومراكز البحث والتأليف في دولة الاسلام ،ودور الصيادلة والعطارين والعشابين،واهمية الحسبة في دراسة تاريخ العلوم ، ودور العلوم في تقدم الصناعة ،وتبدل المناخ ،وتميز مؤلفات اهل الاندلس في العلوم ،والوان الاحجار،واحوال العمارة في بغداد ،والمعادن ومصطلحات التربة ، والابار ، والاطعمة ، وبحثت تعريب العلوم ،والمفردات العربية في العلم،وضبط تسميات الاعلام.

ودرست طباعة ونشر كتب العلوم العربية وتاريخها وقدمت مقترحات لتنظيم اختيار هذه الكتب وتيسير طبعها ونشرها .

وخصصت الجلسات الاخيرة لدراسة مكانة العلوم في الفكر العربي، والمعايير الواجب مراعاتها في تقدير المؤلفين والمؤلفات ومنها مدى الجهد الفردي في التجميع والاضافة وحسن التعبير وتنظيم عرض المادة ، وتاثير الفكر في الحياة ،ومدى التعبير عن شخصية الحضارة السائدة ،وعن العناصر الانسانية الشاملة ،وعن اثره في حياة الناس .

اللجان العلمية واعداد المصطلحات :ـ

تابعت اللجان العلمية اعداد المصطلحات العربية في العلوم الحديثة مستعينة باحدث المعاجم المختصة والاخذ بنظر الاعتبار ما قامت به المجامع والمؤسسات العلمية والافراد في هذا الميدان ،وافادت اللجان من الخبراء المختصين في ذلك .وبلغ عدد الخبراء في اللجان العلمية سبعة وثلاثون خبيرا » .

انجزت لجنة الرياضيات ٦٥٠ مصطلحا في الاحصاء الرياضي .

واتمت لجنة الفيزياء ٧٥٠ مصطلحا ،منها ١٥٠ مصطلحا وردت من جامعة الموصل. كما دققت ١٤٠٠ مصطلح وردت من هيئة سلامة اللغة العربية وبعض الجهات العلمية الاخرى .

واتمت لجنة الهندسة خلال الدورة المجمعية الحالية اعداد ٨٧٠ مصطلحا في الهندسة الكهربائية ، كما دققت ١٢١٠مصطلحا تضمنته كتب التعليم المهني .احيل اليها عن طريق الهيئة العليا للعناية بشؤون اللغة العربية .

وانجزت لجنة الكيمياء اعداد ٣٠٠مصطلح في الكيمياء اللاعضوية والاشعاعية ،واتمت تعريب ٨٠٠مصطلح في المركبات العضوية ،والتعدين، والكيمياء الصناعية ،وفي مايحتاجه الباحثون وطلبة الدراسات العليا ،كما نظرت في ٤٠٠مصطلح في مختلف تخصصات الكيمياء أحالتها اليها رئاسة المجمع بما ارسلته الهيئة العليا لسلامة اللغة العربية لتدقيقه وطبعه .

اكملت لجنة الزراعة اعداد ١٢٦٠مصطلحا ،منها ٥١٠ في المحاصيل الحقلية .و٧٥٠ مصطلحا في تربية الحيوان .

واتمت لجنة علوم الحيـــاة اعداد عدد كبير من المصطلحات في علم النبات ، وقدمت ما انجزته في السابق الى هيئة تدقيق المصطلحات تمهيدا لاقرارها وطبعها .

وقامت لجنة الشريعة والقانون بتدوين المصطلحات الشرعية الواردة في القرآن الكريم وتفسيرها مما يخص المتاملات والزواج والطلاق والحدود والتعزيز ،وبلغ عدد مادرسته منها ٢٠٠ مصطلح .

تابعت لجنة علم النفس والطب النفسي عملها في وضع مجموعة المصطلحات مستندة الى عدد من المعاجم المتخصصة في اللغة الانكليزية وقد بلغت الان منتصف المصطلحات في حرف «ى» وهي تبلغ الافا ،وتتابع اللجنةاكمال انجاز ما تبقى من المصطلحات .

وقد منيت اللجنة بخسارة كبيرة بفقد الاستاذ الدكتور احمد عبد الستار الجواري الذي عمل في اللجنة منذ نشأتها ،واولاها من قدراته اللغوية ماكان اسهاما عظيما في عملها وعوض بعض هذه الخسارة عودة الدكتور عبد العزيز البسام الى المجمع ومتابعته الجدية في العمل في هذه اللجنة .

واستأنفت لجنة التربية اعمالها بعد عودة الدكتور عبد العزيز البسام الى العراق ،وواصلت العمل في وضع المصطلحات فانجزت في بضعة اسابيع مئات المصطلحات معتمدة على معجم واف معتمد في هذا الميدان .

الهيئات العلمية :

عقدت هيئة تدقيق المصطلحات واقرارها خمساً وعشرين جلسة نشرت فيها المصطلحات التي اعدتها لجان الفيزياء العامة والهندسة المدنية ، والمحاصيل الحقلية ، وعلم النبات ، وبعد تدقيقها وادخال التعديلات والتصويبات اقرت كلا منها ، واصبحت هذه المصطلحات جاهزة للنشر في المجلد السادس المزمع اصداره ابان العطلة .

وعقدت هيئة المجلة اربع عشرة جلسة بحثت في كل منها مايتصل بالمجلة من استلام المقالات وفرزها ، وتحديد مايتم اختياره للنشر ، وترتيب تسلسل المقالات ، والابواب ، وتنظيم شكل اصداره المجلة .

تم في هذه السنة صدور الجزء الاول من المجلد التاسع والثلاثين ويجري حالياً صدور الجزء الثاني من المجلد نفسه .

عقدت هيئة التأليف والترجمة والنشر ثلاث جلسات نظرت فيها في الكتب المقدمة للمجمع فاقرت بعضها واحالت ماقدمه باحثون من خارج المجمع الى خبراء ، ونظرت في تقارير الخبراء للبت في طبع الكتب مكافأت الخبراء والمؤلفين ، ونظرت في طلب عشرة كتب ووافقت على طبع كتاب فنون الافنان ، الوشي المرقوم ، وتكوين الدولة في عهد الرسول ، ومعجم الادب السرياني ، وروضة المحاسن ، والاصول العربية للدراسات السريانية ، ورحلة اوليفييه .

هيئة اللغة الكردية وادابها :

وصلت هيئة اللغة الكردية وآدابها العمل في تنفيذ برنامجها في تحقيق مايتطلبه المجمع بالرغم من النقص الحاصل في عدد اعضائها ، واستفادت من تسعة عشر من المختصين تم اختيارهم خبراء في اعمال لجانها .

درست لجنة قواعد اللغة الكردية عشرين نوعا من السوابق واللواحق ودورها في تكوين الكلمة الكردية معناها ومبناها ، وتابعت دراساتها في بحث بناء الجملة الكردية البسيطة وموضوع شبه الجملة .

واعادت لجنة المصطلحات الانسانية النظر في المصطلحات التي تم جمعها خلال السنوات السابقة . وعملت على توحيدها وتنظيمها واعدادها للنشر .

وتابعت لجنة المصطلحات العلمية عملها في وضع مصطلحات كردية خالية من المفردات الاجنبية واعتمدت في ذلك على المصطلحات العلمية التي اقرها المجمع في ميادين بعض العلوم .

وواصلت لجنة التراث والتاريخ الكردي جرد وتثبيت مجموعة الموضوعات الشعبية ، وشرح الامثال الكردية .

وتم اصدار العددين السادس عشر والسابع عشر من مجلتها الدورية في مجلد واحد .

وواصلت الهيئة النظر في مسودات الكتب الكردية الواردة اليها من وزارة الثقافة والاعلام . وبلغ عدد مسودات الكتب الكردية التي درستها مجموعة السلامة اللغوية مائة وتسعين مسودة كتاب .

هيئة اللغة السريانية :

تابعت هيئة اللغة السريانية اعمالها مطبقة الخطة السنوية التي وضعتها بغية تحقيق اهدافها ومنها دراسة الكتب التي تقرها الهيئة لقيام المجمع بطبعها والابحاث التي تقوم بها ومتابعة انماء المكتبة الخاصة بالهيئة .

وواصلت لجان الهيئة العمل ضمن اختصاصاتهم ، فاقرت لجنة اللغة والتراث دراسة اثنين وتسعين من المصطلحات النباتية والطبية المستخرجة من موسوعة بروكلمان السريانية ، وبذلك اكملت العمل فيها . ودرست مائة وثمان وعشرين لفظة سريانية مع اصولها ، ومقارنتها بالعربية واللغات القريبة الاخرى ، وصورت عددا من المخطوطات .

وقدمت لجنة المعجم والادب السرياني أربعاً واربعين مادة لادخالها ضمن المجلد الاول والثاني من معجم الادب السرياني ، وكلفت عددا من الباحثين للاسهام في كتابة مواد المعجم المذكور ، واقرت المقالات التي تنشر في العدد الخاص بالهيئة من مجلة المجمع .

المكتبـة :

استمرت متابعة الاهتمام بالمكتبة والعمل على تنميتها وسد حاجاتها ، وقد اضيف اليها خلال السنة حوالي ٧٥٠ كتابا تم اقتناؤها بالشراء والهدايا والتبادل . وهي تحوي حالياً زهاء ثمانين الف كتاب والف وخمسمائة دورية عربية و ٣٥ مجلدا من الجرائد العراقية ، وهذه تشمل الكتب التي في مكتبة الهيئة الكردية ويبلغ عددها سبعة عشر الف كتاب ، وفي مكتبة الهيئة السريانية وعددها الفين وستمائة وخمسين كتابا وعددا من الدوريات المعنية باللغة السريانية وادابها .

وقد اكمل في هذه السنة اعداد فهارس الكتب الاجنبية والتركية ومكتبة الهيئة السريانية واعيد تنظيم رفوف الكتب مجددا ، وافردت خزانات خاصة للمصطلحات العلمية ، وللكتب التركية التي فيها عدد من الكتب النادرة .

وتتابع ادارة المكتبة العمل على تخطي العقبات في طريق الحصول على المطبوعات والمعاجم،وهي تستفيد في الانماء مما يصلها من الهدايا والتبادل .

المخطوطات والشعبة الفنيــة :

قامت شعبة المخطوطات في المجمع بتلبية عدد من الطلبات الخاصة التي قدمت اليها من مؤسسات علمية ومكتبات داخل القطر وخارجه ومنها معهد معهد المخطوطات العربية في الكويت ، وجامعة الامارات العربية ، وجامعة ابن سعود ، وجمعية احياء التراث الاسلامي ، ويسرت مخطوطاتها للباحثين وطلبة الدراسات العليا .

وتضم الشعبة الفنية ١٧٣٨ مصورة ومخطوطة و ٧٧٢ رقيقة ، واضيف خلال هذه السنة عشرة مصورات وخمسة افلام .

وقامت الشعبة الفنية باستنساخ ١٥٧٥٢ ورقة لاعضاء المجمع ولجانه ومكتبة المجمع . واعمال الشعب الادارية . وتواجه الشعبة صعوبات في متابعة اعداد جهاز الاستنساخ للعمل ، وفي الحصول على مستلزمات الاستنساخ من حبر او ادوات غيار .

المطبعــــة :

انجزت المطبعة خلال السنة المجمعية الحالية طبع مامجموعه ٣٤٠ ملزمة وهي تشمل المصطلحات العلمية وثلاثة اجزاء من مجلة المجمع ، وجزءين من الاعداد الخاصة بالهيئة الكردية جزء من العدد الخاص بالهيئة السريانية كما انجزت طبع الكتب التالية : الجزء الثالث معجم المصطلحات البلاغية دقائق التصريف ، ديوان عدي بن الرقاع . نحو المعاني ، الادوية والادواء ، الدولة في عهد الرسول (ص) ، فنون الافنان ورحلة اوليفيه .

وتقوم المطبعة حالياً باكمال طبع : الوشي المرقوم ، والمخطوطات الســريانية . والجزءين الســادس والســابع من مجموعة المصــطلحات العلمية ، وعدد من مجلة المجمع .

يبلغ عدد المكائن والمعدات العاملة في المجمع عشرة ، وعدد العاملين فيها تسعة وعشرون ، منهم احد عشر ملتحقون في الجبهة ، ويبلغ عدد العمال بعقود ثمانية .

وتواجه المطبعة عقبات من قدم مكائنها ، وعدم توفر قطع الغيار ونقص في العمال ، وتم تلافي بعضها من تشغيل المطبعة بوجبتين صباحية ومسائية والاستعانة بالعمال المؤقتين بأجور وبخبراء من خارج المجمع لاصلاح مايحدث فيها من عطب .

العلاقات الخارجية :

تابع المجمع تعزيز علاقاته بالمجامع والمؤسسات العلمية في داخل القطر وخارجه ولاريب ان اشغال عدد من اعضاء المجمع وظائف في ادارة الدولة والجامعات ومؤسساتها يسهم في توطيد علاقة المجمع بالمؤسسات في داخل القطر .

وللمجمع علاقة خاصة بهيئة العناية بسلامة اللغة العربية ، فبالاضافة الى كون رئيس الهيئة وامينها العام من اعضاء المجمع ، وان رئيس المجمع عضو في الهيئة ، فان المجمع هو المرجع في تقرير سلامة مفردات اللغة ، وقد نظر في كتب وقوائم مصطلحات كثيرة احالتها الهيئة لتحقيق اغراضها .

ويشارك خمسة من اعضاء المجمع في اعمال الهيئة العليا لمنح الجوائز للعلماء والمفكرين والمبدعين التي يرأسها عضو المجمع الدكتور سعدون حمادي وكانت مساهمتهم واسعة في مناقشات الهيئة وتنظيم طلبات المتقدمين والمشاركة في التحكيم لاختيار الجديرين بالحصول على الجوائز التقديرية والتشجيعية .

ويعمل اربعة من اعضاء المجمع في عدد من المؤسسات العلمية خارج القطر ، ويتصل عملهم بما يعني المجمع بانمائه من ميادين الثقافة ، ويشغل تسعة من إعضاء المجمع وظائف في الجامعة وفي مؤسسات الدولة التي تعنى بانماء الثقافة وتثبيت التعريب ، ويشارك معظم اعضاء المجمع في كثير من اللجان الموقتة والدائمة ، وفي الندوات الفكرية والعلمية التي عقدت في داخل القطر

واسهم بعضهم في تنظيمها وفي اعداد الابحاث التي تتصل باختصاصاتهم وبما تعنى به تلك الندوات . ودرست لجنة اللغة العربية سلامة لغة عدد من عناوين وتسميات محلات ومؤسسات تجارية واقترحت بديلا لبعضها ، وذلك استجابة لطلبات احالتها وزارة الاقتصاد الى المجمع تنفيذا لقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية .

وزود المجمع باللجان الجامعات والكليات والدوائر المختصة اعدادا من مجموعات المصطلحات العلمية ممن يتطلب عملهم استعمال هذه المصطلحات في دراساتهم وابحاثهم المختصة .

وتابع المجمع ارسال مطبوعاته من الكتب والمصطلحات والمجلة الى المجامع والجامعات والمؤسسات والباحثين في داخل القطر وخارجه اضافة الى توزيعها على اعضاء المجمع وخبراء لجانه . واستلم اصدارات عدد غير قليل من المؤسسات العلمية في العراق وخارجه .

وزوّد المجمع عددا من المؤسسات العلمية في خارج القطر بما طلبوه من نسخ مصورات المخطوطات كما زود عددا من الباحثين في داخل القطر بنسخ من مصورات المخطوطات والابحاث التي تتصل بدراساتهم وفق النظم وضمن حدود الامكانات المتوفرة . ويسر للباحثين والمختصين وطلبة الدراسات العليا الاستفادة مما في مكتبته من كتب ومطبوعات .

وشارك الاستاذ محمد بهجة الاثري في اجتماعات مجمع اللغة العربية في القاهرة . وفي ندوة عقدتها جامعة الازهر للدعوة الى السلم .

وشارك الدكتور عبد العزيز البسام في حلقة دراسية في الدوحة اعدتها منظمة التربية والثقافة والعلوم الاسلامية .

وشارك الدكتور نوري حمودي القيسي في ندوة الدراسات العربية والاسلامية التي عقدت في جامعة هالة احياءً لذكرى المستشرق جوهان فوك .

وقام الدكتور بشار عواد برحلات شارك في عدد منها بالأعمال المتعلقة بمنظمة الاسلامي الشعبي الذي يشغل منصب الامانة العامة فيها .

وقام الدكتور يوسف حبي بجولة علمية في الهند واستراليا وإسبانيا وايطاليا القى فيها محاضرات عن السريانية ولغتها .

وزار المجمع عدد من المجمعيين والعلماء من الاقطار العربية والاجنبية ، وتحدثوا فيها عن العمل المجمعي وعن سبل توطيد العلاقات المجمعية مع المؤسسات التي تخدم اغراض المجمع .

وتابع المجمع تزويد المجامع والمؤسسات والباحثين في العراق وخارجه بنسخ من مطبوعاته على سبيل الاهداء والتبادل ، وبلغ مجموع ما أهدى خلال هذه السنة زهاء ٥٠٠٠ نسخة .

الجهاز الاداري :

يقوم بشؤون الادارة موظف يشرف على ادارة الموظفين وسير العمل المتصل بذلك ومتابعة دوام واعمال المنتسبين للمجمع من الموظفين والمستخدمين واعداد المكاتبات والمراسلات المتعلقة بالمجمع واعضائه وتحضير متطلباتها ومتابعة تنفيذها .

وتقوم شعبة الادارة والذاتية بحفظ المكاتبات والمراسلات وتدقيق محتواها وتيسير الرجوع اليها ومتابعة تنفيذ ما يدخل في نطاق عملها . ويشرف على هذه الشعبة مدير بالوكالة ويعمل معه ثلاثة موظفين ومستخدم وخمسة من كتاب الطابعة والاستنساخ .

يبلغ عدد العاملين في المجمع واحداً وسبعين ، ويبلغ عدد الملتحقين منهم بخدمة الاحتياط والجيش الشعبي ثلاثة وعشرون وعدد العمال المستخدمين بعقود ثلاثة عشر .

وتقوم شعبة شؤون الاعضاء واللجان العلمية بمتابعة الاتصالات المتعلقة بدعوة اعضاء المجمع واللجان وخبرائها لاجتماعات المجلس واللجان ، والاشراف على طبع محاضر الجلسات المجمع وديوان الرئاسة واللجان ومقرراتها وتوزيعها وحفظ نسخ منها في الملفات تنفيذ قرارات الهيئات العلمية ، واعداد قوائم حضور اعضاء اللجان .

تشرف شعبة الحسابات على المعاملات الحسابية بما فيها صرف مكافآت الاعضاء واللجان العلمية وخبرائها ، ورواتب ومخصصات منتسبي المجمع ، والصرف على المشتريات والنفقات الاخرى واستلام الواردات والمدخولات ، كما تقوم باعداد السجلات والمستندات وتنظيمها وحفظها وفق الاصول . وتسهم في اعداد الميزانية التخمينية ، وتقوم بمتابعة تنفيذها واقتراح المناقلات ومتابعة ما يتطلبه الصرف في المصرف والجهات المالية . ويقوم بأعمال الشعبة ثلاث موظفات .

وقد خصصت في الميزانية المبالغ التالية : —

٢٦٦٧٣٠ ديناراً رواتب ومكافآت الاعضاء واللجان العلمية .

٧٠٦٥٢ دينار نفقات تعضيد البحوث العلمية، والسفر والنشر والاعلام، وتنظيف الابنية .

٤٤٣٩ دينار القرطاسية واجور الماء والكهرباء والوقود .

٩٠٧٣ دينار صيانة الاثاث ، والمكائن والتأسيسات ووسائل النقل ، والكتب والسجلات .

٦٠٦٧ دينار لشراء الكتب . والاثاث ، والمكائن ، والاجهزة .

٤٢٤ دينار اطفاء سلف الزواج .

وتابعت شعبة المخزن عملها في استلام مطبوعات المجمع والحفاظ عليها ، والقيام بما تتطلبه اعما عرضها وبيعها واهدائها . وقد استلمت خلال هذه السنة ستة كتب من مطبوعات المجمع وثلاثة اعداد من مجلته . واتمت اهداء ٤٥٠٠ من مطبوعات المجمع الى الجهات المقرر اهداءها وفق النظم . كما انجزت بيع ٥٥٠٠ نسخة من مطبوعات المجمع . وأشرفت على تنظيم عرض وبيع كتب المجمع في معرض بغداد الدولي للكتاب .

وقامت الشعبة بشراء القرطاسية وحفظها وتوزيعها وتنظيم السجلات المطلوبة.

الخدمات :

يتابع موظف الاشراف على صيانة الكهربائيات واصلاح ما يعرض لها من خلل او عطب ، ويشمل عمله متابعة عمل المحولة واجهزة الاضاءة والتبريد والمياه .

اما الاشراف على الابنية وصيانتها ومعالجة ما يطرأ عليها من خلل فهو مناط بموظف يقوم الان بالخدمة في الجيش الشعبي ، وقد وزع عمله خلال غيابه على عدد من ذوي الخبرة من منتسبي المجمع ، وتبليغ لجنة الشراء تدقيق ما يتعلق بتنفيذ العقود التي تبرم مع المتعهدين ، وقوائم الشراء .

تم في هذه السنة اجراء بعض الترميمات في سطوح الابنية ، وشراء عدد كهربائية ، ويجري تنظيم التبريد بعد ان اتضح عدم امكان اصلاح الجهاز المركزي للتبريد .

واجه المجمع عدداً من الاوضاع المؤثرة في انجاز عمله على الوجه الاكمل ومنها شغور ثمانية مقاعد من اعضائه ، وعمل اربعة من اعضائه خارج العراق ، واعتلال صحة بعض الاعضاء مما يقيدهم عن متابعة العمل بالاضافة الى متطلبات العمل الوظيفي لعدد من اعضاء المجمع . ثم أن عدداً من منتسبي المجمع يعملون في القوات المسلحة والجيش الشعبي .

ويلقي المجمع بعض الصعوبات في الحصول على المواد الضرورية لبناية المجمع واعماله العلمية من طباعة واستنساخ وكذلك في الحصول على المطبوعات المتصلة بعمله مما يصدر في الخارج .

وتبذل جهود كبيرة يتعاون فيها الاعضاء والمنتسبون لتجاوز هذه الصعوبات وتأمين سير العمل لتحقيق اغراض المجمع ، في خدمة الامة وانماء ثقافتها ، ومن الله التوفيق .

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

الكتب المهداة والواردة الى مكتبة المجمع العلمي العراقي خلال الدورة المجمعية ١٩٨٧ ــ ١٩٨٨

صباح ياسين الاعظمي
مدير مكتبة المجمع العلمي العراقي

العلوم الدينية

* احكام الصلاة ــ ج ١
تأليف . طه عبدالله سلطان . بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٤٨ ص .

* الاسفار المقدسة قبل الاسلام ، دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية.
تأليف . الدكتور صابر طعمة . منشورات عالم الكتب ، بيروت ، ٢٩٧ ص . ١٩٨٥ .

* اصول الدين الاسلامي .
تأليف . الدكتور رشدي عليان . والدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري بغداد ١٩٨٦ ، ٦٣٢ ص .

* الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف الى ذلك من الاحاديث المعدودة من الصحاح .
تأليف . تقي الدين بن العيد . تحقيق الدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري . الدكتور رشدي عليان . بغداد ١٩٨٦ ص ٦٩١ .

* الامثال في القرآن الكريم .
تأليف . الدكتور محمد جابر الفياض . مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ٥١١ ص .

* أمثال القرآن .
تأليف ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر . تحقيق ، الدكتور موسى بناي العليلي . منشورات مكتبة القدس ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٦٠ ص .

* ثبت ابي جعفر احمد بن علي البلوي الوادي آشي (ت ٩٣٨ هـ — ١٥٣٢م).
دراسة وتحقيق ، الدكتور عبد الله العمراني . منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ٥٥٤ ص — ١٠

* التطرف الديني (محاضرات الندوة الفكرية الثالثة التي اقامتها كلية الشريعة بجامعة بغداد في ٣١ / ٣ / ١٩٨٦ ، ٧٠ ص .

* خميني داعية ضلالة خارج عن الاسلام .
(نصوص الفتاوى والقرارات التي اجمع عليها علماء الامة الاسلامية في المؤتمر الاسلامي العام الثالث المعقود بمكة المكرمة من ١١ — ١٥ تشرين الاول ١٩٨٧ م) . منشورات منظمة المؤتمر الاسلامي ، ١٩٨٧ .

* الدين المعاملة .
تأليف ، كاظم الحاج فتحي ، مراجعة شاكر عبد الرحيم ، بغداد ١٩٨٦ ، ١٠٢ ص .

* السلام والاسلام .
تأليف ، عبد الله فاضل عباس ، والشيخ محمد بهجة الاثري ، بغداد ٧٤ ص .

* شهادة خميني في أصحاب رسول الله (ص) .
تأليف ، محمد ابراهيم شقرة ، عمان . ٣١ ص .

* الشهيد في الاسلام .
تأليف ، الدكتور محي هلال السرحان ، واحمد حسوني جاسم ، بغداد ٩٦ ص .

* صفوة الاحكام من نيل الاوطار وسبل السلام .
تأليف ، الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري بغداد ، ١٩٨٦ ، ٦٣٢ ص .

* عقد التحكيم في الفقـه الاسلامي والقانون الوضعي تأليف ، الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري . بغداد ، ١٩٨٥ ، ٨٢٩ ص .

* العمائر الدينية في مدينة الموصل .
(نماذج من التوثيق العام) ج ٣ ، اعداد ، مكتب الانشاءات الهندسي ، الموصل ١٩٨٥ ، ٩٦ ص .

* كتاب غوامض الاسماء المبهمة الواقعة في متون الاحاديث المسندة .
تأليف . ابي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، تحقيق ، الدكتور عز الدين علي السيد ، ومحمد كمال الدين عز الدين. مطبوعات دار عالم الكتب . ١٩٨٧ . جـ ١ — جـ ١٣ — م ٢

* الفـراسة .
تأليف ، ابن قيـم الجوزية . . محمد بن ابي بكر ، تحقيق ، صلاح احمد السامرائي . بغـداد . ١٩٨٦ ، ٣١٢ ص .

* فهرس احاديث وآثار مجمع الزوائد ومنبع الفـوائـد .
للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثـمي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ مرتباً على المسانيد . اشراف . الشيخ الدكتور سمير طه المجذوب . مطبعة عـالم الكتب بيروت ١٩٨٧ . جـ ١ — جـ ٢ — م ٢

* فهرس احاديث وآثار المستدرك على الصحيحين . للحاكم النيسابوري .
اعداد ، محمد سليم ابراهيم سمارة وعلي حسن الطويل وعلي نايف بقاعي وعدنان علي شلاق وسمير حسن الغاوي . مطبوعات عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٦ ، جـ ١ — ٢ — ق ٤ .

* قواعد التراتيل الميسرة .
اصدار كتب التربية لدول الخليج العربي . الرياض . ١٩٨٧ ، ٣٠ ص ، ن ٢ .

* القواعد الفقهية ودورها في التشريعات الحديثة .
تأليف الدكتور محي هلال السرحان . بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٠٠ ص ، ن ٢

* المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب .
تأليف ، جلال الدين السيوطي . تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي منشورات اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المغرب — والامارات العربية المتحدة . مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب ، ٢٧٥ ص

* ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر (من ٢٢ — ٢٥ — ٢ — ١٩٨٥ البحرين) اعد الندوة ، مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ١٩٨٧ ، ٦٨٠ ص .

* نصيحة الملوك .
الماوردي ، اقضى القضاة ، علي بن محمد تحقيق محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية للطباعة — بغداد ١٩٨٦ ، ٦٩٣ ص .

* نقد الثورة ، أسفار موسى الخمسة
السامرية ، العبرانية ، اليونانية .
تأليف ، الدكتور الشيخ احمد حجازي السقا ، منشورات مكتبة الكليات الازهرية ، ١٩٨٧ ، ٢٩٥ ص .

* كتاب النوازل .
تأليف الشيخ عيسى بن علي الحسني العلمي تحقيق ، المجلس العلمي بفاس . منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغرب — ١٩٨٦ ، ٤٥٨ ص .

* ولاية الفقيه ، الواقع والابعـاد .
تأليف ، الدكتور رشدي محمد عليان والدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري والدكتور محمد رمضان عبد الله والدكتور سعدون محمود الساموك ، مطبعة الارشاد — بغداد ١٩٨٨ . ٦٤ ص

* ومضات من نور المصطفى (ص) .
تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب — مطبوعات مكتبة النهضة العربية بغداد ، ١٩٨٨ ، ٨٩ ص.ن ، ط ١٢ .

التربية وعلوم النفس والفلسفة

* أبحاث المؤتمر السنوي الثامن لتاريخ العلوم عند العرب (٢٥–٢٦نيسان١٩٨٤).
اعداد ، محمد عزت عمر ، حلب ١٩٨٧ . ٣٢٠ ص .

* اسباب الرسوب في التعليم المهني من وجهة نظر الطلبة .
اعداد لجنة خاصة بوزارة التربية . بغداد ١٩٨٦ ، ٧٧ ص .

* الادارة المدرسية المهنية واتجاهات التطوير .
اعداد ، طارق حسين علي . بغداد ١٩٨٦ ، ١١٣ ص .

* الاسلام والفلسفة والعلوم .
محاضرات عامة نظمتها اليونسكو ، باريس ١٩٨٦ ، ١٧١ ص .

* الاصلاح التربوي في الولايات المتحدة الامريكية .
اعداد ، مجموعة الدراسة اليابانية ، ترجمه ونشره باللغة العربية ، مكتب التربيـــة العربي لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٨ ، ٩٣ ص .

* تخطيط المناهج الدراسية للعلوم الطبيعية (الرؤية الاسلامية) .
منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي . الرياض ، ١٩٨٧، ١٠٤ ص.

* التطور العالمي في مجال التعليم الفني واتجاهات التطوير على التعليم المهني في العراق .
اعداد ، طارق حسين علي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ١١٨ .

* تطور التربية في الصين ١٩٨٤ — ١٩٨٦ .
ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض ، ١٩٨٧ ، ٧٠ ص .

* التربية في المانيا الغربية ، نزوع نحو التفوق والامتياز .
تأليف ، هانز . ج. لينجر وبربار الينجر ترجمة ، محمد عبد العليم موسى ، الرياض ، ١٩٨٧ ١٠٦ ص .

* التعليم العالي والنظام الدولي الجديد .
اصدار ، مكتب التربية لدول الخليج العربي الرياض ، ١٩٨٧ ، ٤٣٥ ص ن ٢ .

* تعليم المواطن الامريكي من أجل المستقبل ، مقتضيات القرن الحادي والعشرين .
اعداد المجلس القومي للعلوم ، الرياض ١٩٨٧ ، ١٣٣ ص .

* التعليم العالي والنظام الدولي الجديد .
تأليف ، بيكاي . س . سانيال ، ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض ١٩٨٧ ، ٤٣٥ ص .

* التعليم المهني وأساليبه العلمية في التمويل الذاتي ،
اعداد طارق حسين علي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٣١ .

* التعليم في البحرين .
تأليف ، الدكتورة رفيقة سليم حمود . الرياض ١٩٨٧ ، ص .

* التعليم المفتوح ، النظم والمشكلات في التعليم بعد الثانوي ،
تأليف ، نورمان ماكنزي ، ورتشارد بوسخيت (اعمال ندوة اسس التعليم المستمر في مجال تعليم الكبار ، ابو ظبي ١٢ — ١٧ يناير — كانون ثاني ١٩٨٥ .

* التعليم المثمر في مجال تعليم الكبار ، الاسس والمفاهيم والاستراتيجية .
اعداد ، الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٤٧٩ ص .

* التقاليد الراسخة ، طريق الانطلاق الى المستقبل (التعليم العالي في جمهورية المانيا الاتحادية .
ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الر ياض ١٩٨٧ ، ١٩٨٧ ، ص

* دراسة واقع التعليم العالي المتوسط (الفني والمهني) .
اصدار مكتب التربية لدول الخليج العربي . الرياض ، ١٩٨٨ .

* دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي . منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٨٨ .

* دليل عمل ، اسس ومواصفات اعداد كتب تعليم الكبار ،
اصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار بغداد . ١٩٨٧ .

* دليل عمل الشباب في مجال محو الامية وتعليم الكبار .
منشورات . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار بغداد ، ١٩٨٧ .

* دليل تقويم الحملات الشاملة لمحو الامية .
منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار . بغداد – مطبعة الارشاد ، ١٩٨٦ ، ١٥٧ ص .

* دليل لمعلمي الاطفال الصغار وغيرهم من العاملين في مجال رعاية وتعليم الطفولة المبكرة .
تأليف ، الدكتورة ، أويث هـ . جروتيرج ترجمه ونشرهُ باللغة العربية ، مكتب التربية العربي ، لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٨ ، ١٢٨ ص .

* شرح البرهان لأرسطو ، وتلخيص البرهان ، لابن رشد .
تحقيق ، الدكتور عبدالرحمن بدوي ، بيروت ١٩٨٤ ، ٥٠٢ ص .

* الفلسفة السياسية عند ابن ابي الربيع .
تأليف ، الدكتور ناجي التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٤٨ ص

* مدخل مناهج البحث العلمي لكتابة الرسائل الجامعية .
تأليف ، علي ادريس ، تونس . ١٩٨٦ ، ٢١٤ ص .

* معلمو الغد (تقرير مجموعة هولمز) منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي .
الرياض ، ١٩٨٧ ، ١٦٦ ص .

* وقائع ندوة الاطفال في دول الخليج العربية .
منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربية الرياض ، ١٩٨٧ ، ١٤٩ ص ، ٢٠

* وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج .
منشورات ، مكتب التربية لدول الخليج العربي . الرياض ، ١٩٨٧ ، ٥٣٨ ص .

* وقائع الندوة العربية للتعليم المستمر للفترة ، ٢٤ — ٢٦ آذار (مارس) ١٩٨٧ الموافق ٢٤ — ٢٦ رجب ، ١٤٠٧ هـ
اصدار ، اتحاد الجامعات العربية — الامانة العامة — عمان ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ٣٠٦ ص .

* وقائع ندوة كتب الاطفال في دول الخليج العربية في البحرين من (٢—٥ ديسمبر ١٩٨٥) .
اعداد مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٧ ، ١٤٩ ص .

* الأدوية والادواء في معجم تاج العروس .
تأليف : الدكتور هاشم طه شلاش .
مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٠٦ ص ، ٢٠

* اسرار النحو .. !
تأليف ، ابن كمال باشا ، شمس الدين احمد بن سليمان ، تحقيق الدكتور احمد حسن حامد ، منشورات دار الفكر عمان بدون سنة طبع ، ٣٥١ ص .

* اشعار مختارة من ديوان ابو أمل ، (نظمت على السليقة) ج ١
جميل الاورفلي ، بغداد ١٩٨٧ ، ٦٣ ص .

* بحوث لغوية .. !
تأليف ، الدكتور احمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٨٤ ص

* البنى النحوية .
تأليف ، توم جومسكي ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ، ١٩٨٧ ١٦٠ ص ، ٢٠ .

* دروس في المذاهب النحوية .
تأليف ، الدكتور عبدة الراجحي الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ٤٣٠ ص .

* الدلالة الزمنية في الجملة العربية .
تأليف ، علي جابر المنصوري ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ١٧٤ ص .

* سلامة اللغة العربية ، المراحل التي مرت بها .
تأليف ، عبدالعزيز عبدالله محمد ، بغداد ١٩٨٥ ، ٢٥٤ ص .

* شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك .
قاضي القضاة ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي ، الهمداني المصري

(٦٩٨ — ٧٦٩ هـ) ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبدالحميد ، حـ ١ — حـ ٢ — م ٢

* الشرط في القرآن ، على نهج اللسانيات الوصفية .
تأليف ، الدكتور علي عبدالسلام المسدي ، تونس ، ١٩٨٥ ، ٢٩٤ ص .

* كتاب الشروط والوثائق .
تأليف ، ابي نصير السمرقندي .
تحقيق ، محمد جاسم الحديثي ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ٢٢٦ ص .

* الشوارد في اللغة للصاغاني .
تحقيق ، الدكتور عدنان عبدالرحمن الدوري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨ ، ن ٢ ، ٤٨٣ ص .

* عبارة : هل لك في كذا وكذا .
تأليف ، محمد احمد الدالي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية — دمشق ١٩٨٧ ، ١٣ ص .

* علم اللغة الاجتماعي .
تأليف ، الدكتور هدسون ، ترجمة محمود عبدالغني عياد ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٤١٣ ص .

* مدخل في اللسانيات .
تأليف ، صالح الكشو ، تونس ، ١٩٨٥ ، ١٨٢ ص .

* مصطفى جواد ، وجهوده اللغوية .
تأليف ، الدكتور محمد عبدالمطلب البكاء ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٩٨ ص .

* معجم اللسانية ، فرنسي ، عربي مع مسرد ألفبائي بالالفاظ العربية .
وضع الدكتور بسام بركة ، منشورات جرّوس — برس ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ٢٩٨ ص .

* مَعلمة الملحون ــ القسم الثاني من الجزء الاول .
تأليف ، محمد الفاسي ، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية (سلسلة التراث) مطبعة المعارف الجديدة ــ الرباط ، ١٩٨٧ ، ١٨٦ ص .
* قواعد اللغة الكردية .
تأليف ، توفيق وهبي ، بغداد ١٩٥٦ ، حـ ١ ــ حـ ٢ ــ م ٢
* اللهجة الموصلية ، دراسة وصفية ومعجم ما فيها من الكلمات الفصيحة .
تأليف ، محمود الجومرد ، الموصل ١٩٨٨ ، ٢٠٦ ص .
* نحو المعاني .
تأليف ، الدكتور احمد عبدالستار الجواري .
مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٧ ، ١٧٤ ص ، ن ٢

كتب الادب

* ابن هاني الاندلسي متنبيّ المغرب .
تأليف ، ابو القاسم محمد كرو .
تونس ، ١٩٨٤ ، ط ٢ ، ٩١ ص .
* الادب العربي في الاحواز من مطلع القرن الثاني عشر الهجري الى منتصف القرن الرابع عشر .
تأليف . عبدالرحمن كريم اللامي .
بغداد ١٩٨٥ ، ٤٤٢ ص .
* أدب المفتي والمستفتي .
تأليف . ابي عمرو عثمان بن عبدالرحمن ، المعروف بابن الصلاح الشهرزوري المتوفى سنة (٦٤٣ هـ)
دراسة وتحقيق . الدكتور موفق عبدالله عبدالقادر . مطبوعات دار عالم الكتب ١٩٨٦ . ٢١٥ ص .
* اسفار الروح (قصص) .
تأليف ، آمنة محمد ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ن ٢ ، ١٢٧ ص .

* بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق) .
تأليف ، الدكتور كامل حسن البصير .
مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، ١٩٨٧ ، ٥٧٢ ص .

* تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري .
تأليف ، الدكتور احسان عباس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان- الاردن ، ١٩٨٦ ، ٦٥٧ ص .

* تدابير القدر (قصص واقعية هادفة) .
تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب .
منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٨٨ ، ط ١٣ ، ٩٥ ص .

* تكملة خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) .
تأليف الشيخ محمد بهجة الاثري .
بغداد ١٩٨١ ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ٩٠٩ ص تكملة الدورة ، ن ٢ .

* الثورة في شعر حميد سعيد (دراسة نقدية) .
تأليف ، محمد جابر عباس .
النجف ، ١٩٧٣ ، ٢١٣ ص .

* حرائق الشعر (عن تجربة حميد سعيد الشعرية)
تأليف ، حسن الغرفي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٣١ ص .

* الحركة النقدبة على أيام ابن رشيق المسيلي .
تأليف ، الدكتور بشير خلدون ، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ١٩٨١ ، ٣١٤ ص .

* الحيوان في تراثنا بين الحقيقة والاسطورة .
تأليف ، عزيز العلي العزي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٣٢ ص .

* دراسات عن الشابيّ .
تأليف ، ابو القاسم محمد كرو . تونس ١٩٨٤ ، ٢٧٢ ص .

* ديوان حميد سعيد ج ١ .
حميد سعيد ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ٤٩٥ ص .

* ديوان عديّ بن الرقاع العاملي عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب الشيباني ،
تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، الدكتور حاتم صالح الضامن
مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٨٧ ، ٣٦٦ ص ، ن ٢ .

* ديوان ابن فركون .
تقديم وتعليق ، محمد ابن شريفة .
مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية . (سلسلة التراث) مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨٧ ، ٤٠٦ ص .

* الرواية في العراق ١٩٦٥ — ١٩٨٠ وتأثير الرواية الاميريكية فيها .
تأليف ، الدكتور نجم عبدالله كاظم . بغداد ١٩٨٧ ، ٣٠٥ ص .

* الشابيّ ، حياته ، وشعره .
تأليف ، ابو القاسم محمد كرو . تونس ١٩٨٤ ، ط ٢ ، ٢٨٧ ص .

* شعر احمد السقاف .
تأليف ، احمد السقاف . بغداد ١٩٨٨ ، ٤٦١ ص .

* شعر عمر بن احمد الباهلي .
نشر وتحقيق ، حسين عطوان . دمشق بدون سنة طبع ، ٢٧٢ ص .

* الشعر في زمن الحرب .
تأليف ، الدكتور احمد مطلوب
بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٥٧ ص .

* طفولة الماء (شعر) .
تأليف ، حميد سعيد ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٢٨ ص .

* الطير في حياة الحيوان (للدميري) .
تأليف ، عزيز العلي العزي .
بغداد ١٩٨٦ ، ٢٩٧ ص .

* العقاد ، عملاق الادب والفكر والفن .
تأليف ، جمال الدين الالوسي ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣٠١ ص .

* الغرب نحو الدرب ، باقلام منكرية .
تأليف ، محفوظ العباس ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ١٩٨٧ ، ٤٣٤ ص .

* قول في النقد وحداثة في الادب .
تأليف ، الدكتور يوسف عزالدين .
الرياض ، دار أمية ، ١٩٨٧ ، ١٩٢ ص .

* لباب الاداب .. !
تأليف ، ابو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي .
تحقيق الدكتور قحطان رشيد صالح ، مطبوعات دار الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٨٨ ، ج ١ — ح ٢ — م ٢

* المتغير الغربي ، الشرق والاستشراق ، أدب الصحراء .
تأليف ، محمد عبدالحسين الدعمي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ١٧٧ ص

* مختارات من الادب التونسي المعاصر ج ١ .
اعداد ، مجموعة من الكتاب التونسيين بغداد ، ١٩٨٦ ، ٣٩١ ، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة .

* مسرح برشت .
تأليف ، الدكتور عدنان رشيد .
دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت ١٩٨٨ ، ٢٦٠ ص .

* مملكة عبدالله (شعر) .
تأليف ، حميد سعيد ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٢٧ ص .

* منهج البحث اللغوي ، بين التراث وعلم اللغة .
تأليف ، علي زوين ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢١٠ ص .

* موضوعات عربية في ضوء الادب المقارن .
تأليف ، عبدالمطلب صالح ، بغداد ١٩٨٧ ، ١٣١ ص .

* نظرية البنائية في النقد الادبي تأليف ، الدكتور صلاح فضل ، بغداد .
١٩٨٧ ، ط ٣ ، ٥٠٣ ص .

كتب التاريخ والجغرافية والتراجم

* الآثار الشرقية لحضارات كلدية واشور وبابل وفارس وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص .
تأليف . أرنست بابلون ، ترجمة مارون عيسى الخوري ، مطبعة دار جروس - برس بيروت - لبنان ١٩٨٧ ، ٢٧١ ص .

* أربعينية الفقيد محمد المرزوقي . ١٩١٦ - ١٩٨١ .
اعداد ، ابو القاسم محمد كرو ، والحبيب شيبوب ، تونس ١٩٧٣ ، ٣١ ص

* الاسلام اليوم .
محاضرات القاها ، مارسيل بوازار اليونسكو ١٩٨٦ ، ٢٣١ ص .

* كتاب الاستبصار في عجائب الامصار .
تأليف . سعد زغلول عبدالحميد ، مطبوعات دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ، ١٩٨٦ ، ٣٥٤ ص .

* انساب خيل العرب وانسابها وذكر فرسانها ،لأبي محمد الاعرابي الملقب بالاسود الغندجاني ، كان حيا سنة ٤٣٠ هـ .
حققه وقدم له . الدكتور محمد علي سلطاني .
مطبوعات مؤسسة الرسالة - بيروت، ٣٦٣ ص .

* ايران ، دراسة عامة .
تأليف ، الدكتور محمد وصفي ابو مغلي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٥ ، ٤٤٠ ص .
* بلاد الشام في صدر الاسلام .
تأليف ، الدكتور عدنان البخيت .
منشورات الجامعة الاردنية – عمان ، ١٩٨٧ ، ١٨٠ ص .
* بلاد ما بين النهرين .
تأليف ، ليو ونيهايم ، ترجمة فيضي عبدالرزاق ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٥١٤ ص .
* تاريخ افريقيا العام – المجلد الاول – المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في افريقيا .
المشرف على المجلد ، ج كي ، زبربو . اصدار ، دار نشر جون أفريك ، باريس ١٩٨٠ ، ٨٥٤ ص .
* تاريخ افريقيا العام ، المجلد الثاني حضارات افريقيا القديمة .
المشرف على المجلد ، الدكتور جمال المختار . اصدار ، ونشر جون أفريك – اليونسكو ، باريس ، ١٩٨٥ ، ٨٧٠ ص .
* تاريخ تونس المعاصر .
تأليف ، احمد القصاب ، تونس – ١٩٨٦ ، ٦٦٣ ص .
* تاريخ حوادث بغداد والبصرة . من ١١٨٦ – ١١٩٤ هـ – ١٧٧٢ – ١٧٧٨ م .
تأليف ، عبدالرحمن عبد الله السويدي البغدادي ، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف . مطابع دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧ . ١٦٦ ص
* تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى .
تأليف ، الدكتور فاروق عمر ، بغداد ١٩٨٥ ، ط ٢ ، ٢٤٤ ص .

* تاريخ الخليج العربي من اقدم الازمنة حتى التحرير العربي .
تأليف ، الدكتور سامي سعيد الاحمد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة . ١٩٨٥ . ٤١٣ ص .

* تاريخ دولة الادارسة (من كتاب نظم الدر والعقيان).
تأليف ابي عبد الله التنسي ، تحقيق ، الدكتور عبدالحميد حاجيات المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر ١٩٨٤ ، ١٠٧ ص .

* تاريخ دولة الانباط .
تأليف ، الدكتور احسان عباس . دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ١٩٨٧ . ١٧٣ ص (بحوث في تاريخ بلاد الشام) .

* تاريخ مدينة البصرة .
تأليف ، عبد الله بن عيسى البصري ، تحقيق ، فاخر جبر مطرِ ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، مطابع الموصل ، ١٩٨٦ . ٧١ ص .

* تاريخ وتراث البصرة (دليل) .
اعداد ، رئاسة جامعة البصرة .
منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة . ١٩٨٥ ، ٧٨+ ٤ ص .

* تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات
تأليف . ابي الحسن نور الدين علي السخاوي . نشر مكتبة الكليات الازهرية ١٩٨٧ . ٤٧١ ص .

* الترجمة قديماً وحديثاً .
تأليف . شحاذة الخوري . تونس ١٩٨٨ .

* ثورة الشواف في الموصل – ١٩٥٩ . ج ١
تأليف . خليل ابراهيم حسين . بغداد ١٩٨٧ . ٣٥٠ ص .

* ٣٠ سنة في خدمة التراث (الذكرى المئوية الثامنة والعشرون لقرطاج)
اعداد ، المعهد القومي للاثار والفنون تونس ، ١٩٨٦ ، ٣٢٦ ص .
* وقائع اجتماعات المجلس التشريعي ح٢ اصدار المجلس التشريعي لمنطقة كردستان بغداد ، ١٩٨٣ ، ٦٣٩ ص .
* ثورة الموصل القومية ١٩٥٩ فصل في تاريخ العراق المعاصر . . !
تأليف ، محمود الدرّة ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، ١٩٨٧ ، ٣٦٧ ص .
* جمهرة النسب .
تأليف ، ابن السائب الكلبي . تحقيق ، الدكتور ناجي حسن . بيروت ١٩٨٦ ، ٧٣٦ ص .
* حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرن الثالث والرابع للهجرة .
تأليف ، الدكتور رشيد الجميلي ، مطبوعات دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٦٨١ ص .
* الحسن الثاني ملك المغرب
انبعاث امة ، الجزء الثاني والثلاثون . ١٤٠٧ — ١٤٠٨هـ و — ١٩٨٧م ، مطبوعات القصر الملكي ، ٤٧٠ ص .
* خالد بن يزيد ، سيرته واهتماماته العلمية (دراسة في العلوم عند العرب)
تأليف ، فاضل خليل ابراهيم . بغداد ، ١٩٨٤ ، ٢٢٠ ص .
* الخط العربي ، جذوره ، وتطوره .
تأليف ، ابراهيم ضمرة ، منشورات مكتبة المنار — الاردن — الزرقاء ١٩٨٧ ، ط ٢ . ٢٣٢ ص .
* الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والافكار الفاسدة .
تاليف ، الحاج وليد الاعظمي ، عمان ، دار عمار للنشر ، الاردن ١٩٨٨ ، ١٧٦ ص .

* الدولة في عهد الرسول – تكوين الدولة وتنظيمها ، المجلد الاول .
تأليف ، الدكتور صالح أحمد العلي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٨٨٨ ، ٤٢٧ ص .

* دراسات في التاريخ الاندلسي .
تأليف – الدكتور عبد الواحد ذنون طه . الموصل ، ١٩٨٧ ، ٢٣٩ ص ، ن ٢ .

* ذرائع العصبيات العنصرية في اثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق .
تأليف ، الشيخ محمد بهجة الاثري . مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨١ ، ٢١٣ ص . ن ٢

* الرحلة الملكية الى المملكة المتحدة البريطانية ١٣ – ١٨ تموز ١٩٨٧ .
اعداد . عبد الوهاب ابن منصور . مؤرخ المملكة – المطبعة الملكية – الرباط ١٩٨٧ – ١٤٠٧ هـ . ٢٤١ ص .

* سالنامة ولاية بغداد (دفعة ٢) الحكومة العثمانية . ١٢٩٤ هـ ، ١٦٩ص .

* سر الاسرار . السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة .
تأليف . أرسطوطاليس . مطبوعات دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٨٠ ١٧١ ص طبع اوفست .

* السلطان عبد الحميد الثاني . حياته واحداث عصره .
تأليف . اورخان محمد علي . بغداد ١٩٨٦ . ٣٦٤ ص .

* سيبويه امام النحاة .
تأليف . كوركيس عواد . مطبوعات المجمع العلمي للعراقي – بغداد ١٩٧٨ . ٣٢٨ ص . ن ٢ .

* الصراع بين الوفد والعرش .
تأليف الدكتور عبد العظيم رمضان . القاهرة ، ٣٢٠ ص .

* الطـاهر الحداد .
تأليف ابو القاسم محمد كرو . تونس ١٩٥٧ ، ط ٢ ، ١٠٣ ص .

* طـه باقر ، حياته ، وآثاره .
تأليف الدكتور فوزي رشيد ، بغداد ١٩٨٧ ، ١٤٥ ص .

* طبيعـة الدعوة العباسية ٩٨ هـ — ٧١٦ م — ١٣٢ هـ — ٧٤٩ م ، دراسة تحليلية لواجهـات الثورة العباسية وتفسيراتها .
تأليف ، الدكتور فاروق عمر ، مطبعة الشعب ، ١٩٨٧ ، ٣٥٨ ص .

* العـراق في العهد الجلائري .
تأليف ، فوزي عبد الحميد العاني ، بغداد ١٩٨٦ ، ٣٩٨ ص .

* العـراق وسوريا ١٩٤١ .
دراسة وثائقيـة في الابعاد القومية والعسكريـة والسياسية لثورة نيسان — مايس في العراق خلال الحرب العالمية الثانية .
تأليف ، جفري ورنر ، ترجمة الدكتور محمد مظفر الادهمي .
منشورات مركز البحوث والمعلومات — بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢٩٩ ص .

* علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية .
تأليف ، الدكتور خليل ابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٨٥ ، ٤٦٠ ص .

* الكمال بن الهمام .
تأليف،الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري . بغداد،١٩٨٠،١٦٦ ص .

* محمد بن أبي شنب ، حياته ، وآثاره .
تأليف ، عبد الرحمن محمد الجيلالي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٣ . ١٨١ ص .

* محمد الخضر حسين شيخ الازهر الاسبق ، دراسة ، مختـارات .
تأليف ، ابو القاسم محمد كـرو ، تونس ١٩٧٣ ، ١٠٩ ص .

* محمد بن عبد الملك الزيات .
تأليف ، فائز علم الدين القيسي . بيروت ، ١٩٧٩ ، ٢٦١ ص .

* مدينة اربيل . دراسة في جغرافية الحضر .
تأليف ، هاشم خضر الجنابي ، مطبعة دار الكتب بالموصل ، ١٩٨٧ ، ٢١٥ ص .

* مدن بلاد الشام . حين كانت ولاية رومانية .
تأليف ، أ . هـ . م . جونز . ترجمة ، الدكتور احسان عباس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ١٩٨٧ ، ١٩١ ص (بحوث في تاريخ بلاد الشام) .

* مشاهدات سائح في الاتحاد السوفيتي وفلندا .
تأليف ، المحامي خالد العزي . بغداد ، ١٩٨٦ ، ١٩١ ص .

* معالم من حضارة وادي الرافدين .
تأليف ، الدكتور خليل سعيد . منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالدار البيضاء – المغرب ، ١٩٨٤ ، ٢٥٣ ص .

* المغرب في عهد السلطان أبي عنان المريني .
تأليف ، علي حامد الماحي . دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ ، ٣٢٠ ص .

* المقتضب من كتاب جمهرة النسب .
تأليف ، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ و) تحقيق ، الدكتور ناجي حسن ، مطبوعات الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٩٨٧ ، ٤٣٢ ص .

* القصد والاستطراد في اصول معنى بغداد .
تأليف ، توفيق وهبي ، مطبعة الرابطة ١٩٥٠ بغداد ، ٥١ ص ، ن ٢ .

* الملك غازي ، ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي من ١٩٣٣ – ١٩٣٩ .

تأليف ، لطفي جعفر ، منشورات مكتبة اليقظة العربية – بغداد ١٩٨٧
٢٨٨٨ ص .

* المنتخب من تاريخ المنبجي . . !
تأليف ، أغا بيوسي بن قسطنطين المنبجي . انتخبه وحققه ، الدكتور عمر عبدالسلام تدمري . دار المنصور ، طرابلس – لبنان ، ١٩٨٦ ، ١٧٣ص .

* النصيرية حركة هدمية .
تأليف ، الدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري ، و د. سعدون الساموك ، و د. محمد رمضان عبد الله ، د . رشدي عليان ، د . عبد القهار دواود العاني بغداد – ١٩٨٦ ، ١٠٣ ص .

* الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان (دراسة ومشاهدات)
تأليف ، الدكتور خالد يحيى العزي – بغداد – ١٩٨٦ ، ٣٩٢ ص .

* يونس السبعاوي ، سيرة سياسي عصامي .
تأليف ، خيري العمري . بعغداد ، ١٩٨٦ ، ط ٢ ، ٢٩٥ .

كتب السياسة والاقتصاد والقانون

* الاتراك وقضية فلسطين عبر التاريخ الى يومنا هذا ١٨٨٠ – ١٩٨٠ .
تأليف ، ميم كمال ادكه ، انقرة ، ١٩٨٦ ، ٤٨ ص ٢ن .

* أحكام الاحلاف والمعاهدات .
تأليف ، الدكتور خالد رشيد الشيخلي بغداد ، ١٩٨٧ ، ٥٩٥ ص .

* ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى .
تأليف ، فوزي خلف شويل ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٥ ، ١٦٨ ص .

* ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية .
تأليف ، عبد الهادي كريم سلمان ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، مطابع الموصل ١٩٨٦ ، ١٣٣ ص .

* التاريخ السياسي لعلاقات ايران بشرق الجزيرة العربيـة في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٠ – ١٩٤١ .
تأليف ، صالح محمد صالح ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨٤ . ٢٢٢ ص .

* تاريخ القوات العراقية المسلحة ، ج ٢ .
اعداد هيئة في وزارة الدفاع بغداد . ١٩٨٧ ، ٤١٤ ، ن ٢ .

* التقرير الاقتصادي الدولي .
اصدار – البنك المركزي العراقي ، المديرية العامة للابحاث ، العدد (الاول) السنة (٢٨) نيسان ١٩٨٨ بدون ترقيم .

* تنظيمات الجيش الاسلامي في العهد الأموي .
تأليف . الدكتور خالد جاسم الجنابي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢٨٦ ص .

* الجبهة الشرقيـة ومعاركها في حرب رمضان .
تأليف ، حسن مصطفى احمد ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣٩٣ ص .

* جيش الرسول (ص) .
تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب . منشورات مكتبة النهضة العربيـة – بغداد . ١٩٨٨ ، ط ١٠ ، ١٠٤ ص .

* الجيش والقتال في صدر الاسلام .
تأليف ، محمود احمد محمد سليمان . الاردن ، عمان ، ١٩٨٧ ، ٥٥٦ص.

* حرب الخليج . وانعكاساتها على الامن القومي العربي .
تأليف . خليل الياس مراد . بغداد ، ١٩٨٧ ، ٣٣٨ ص .

* دروس في الكتمان من الرسول القائد .
تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب . مطبوعات مكتبة النهضة بغداد ، ١٩٨٨ ، ٤٨ ص .

* الديون الخارجية ، آثارها على البلدان المدينة والدائنة في غرب آسيا .
تأليف ، الدكتور محمود الحمصي ، منشورات منظمة الامم المتحدة للتغذية والزراعة ١٩٨٥ .

* الرأي العام في القرن الثالث الهجري ١٩٨ – ٢٠٩ هـ ٨١٣ – ٩٠٧ م .
تأليف ، عادل محي الدين الالوسي – بغداد – ١٩٨٧ ، ٢٧٢ ص .

* ساطع الحصري رائد القومية العربية – ١٨٨٠ – ١٩٦٨ .
تأليف ، جمال الدين الالوسي ، بغداد ١٩٨٦ ، ١٤١ ص .

* سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان .
تأليف ، رودولف سعدروث ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي . منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٣ ، ٢٣٩ ص .

* الضفة الغربية وقطاع غزة .
بيان وحقائق اساسية .
تأليف ، ميرون بنفينستي ، ترجمة ياسين جابر ، دار الشروق للنشر والتوزيع الاردن – عمان ١٩٨٧ ، ١٩٧ ص .

* عدن ، دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية من ١٠٨٣ – ١٢٢٨ م .
تأليف الدكتور محمد كريم ابراهيم . منشورات مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة ١٩٨٥ ، ٤٠٦ ص .

* العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام ، خلال العصر العباسي الاول ١٣٢ – ٢٣٢ هـ .
تأليف ، الدكتورة جهادية القرهغولي .
مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢٤١ ص .

* العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين .
تأليف ، الرائد نهاد عباس شهاب الجبوري بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢١٢ ص .

* الفتوة العربية ، نحورؤية جديدة .
تأليف ، ادهام محمد حنش ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ١٠٩ ص .

* فضائح الخمينية .
تأليف ، الدكتور بشار عواد معروف ، وسعيد حوى ، بغداد ، ١٢٣ ص .

* كتاب قانون السياسة ودستور الرياسة .
تأليف ، مؤلف مجهول .
تحقيق ، محمد جاسم الحديثي ، مطبوعات دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٦١ ص .

* الكافي في الحساب ..
تأليف ، ابو بكر محمد بن الحسن الكرخي .
تحقيق ، الدكتور سامي شلهوب ، مطبوعات مركز احياء التراث العربي العلمي في جامعة حلب ، ١٩٨٦ ، ٣١١ ص

* مصرع الكولونيل لجمان . محاكمات سياسية مثيرة امام القضاء العراقي .
تأليف ، عبدالجبار العمر . بغداد ١٩٨٥ ، ١٧٣ ص .

* نهج خميني في ميزان الفكر الاسلامي .
تأليف ، الدكتور احمد مطلوب ، أمين النقشبندي ، الاردن ، ١٩٨٥ ، ١١٤ ص .

* وثائق عن الصراع العراقي الفارسي .
تأليف ، الدكتور مازن عبدالمجيد السامرائي ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ١٨٤ ص.
كتب الطب والعلوم الاخرى

كتب الطب والعلوم الاخرى

* انتقال الحرارة (لاختصاص التشغيل والسيطرة وحدات التصفية) .
تأليف ، الدكتورة ظمياء محمود محمد الجلبي بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٨٦ ص .

* ، الادوية المفردة في كتاب القانون في الطب لابن سينا (دراسة مقارنة) .
تحقيق ، مهند عبدالامير الاعسم . بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢١٤ ص .

* اسماك العراق والخليج العربي ج ٢ .
تأليف ، الدكتور نجم قمر الدهام . منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٧٩ ، ٤٠٦ ص .

* الاورام والسرطان في الطب العربي الاسلامي .
تأليف ، الدكتور محمود الحاج قاسم . الموصل ، ١٩٧٧ ، ٥٩ ص .

* بحوث المؤتمر العلمي الاول – كلية الاداب ، جامعة المستنصرية ، المعقود بين ٤–٦ أيار – ١٩٨٦ مطبوعات دار الكتب بجامعة الموصل ، ٦٧٢ – ٢٠ ص .

* تقنية اجهزة الحفر لاختصاص (ميكانيك اجهزة الحفر للسنة الاولى والثانية) .
تأليف ، المهندس بهنام فرج كاتاي بغداد ، ١٩٨٧ ، ٤٩٥ ص .

* تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية مع كتاب الطرق السنية في الالات الرومانية .
تحقيق ، الدكتور احمد يوسف الحسن ، حلب ١٩٨٧ ، ٥٩ ص .

* كتاب الدلائل .
تأليف ، الحسن بن البهول ، اواسط القرن الرابع الهجري .
تحقيق ، الدكتور يوسف حبي ، منشورات معهد المخططات العربية – الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ٥٣٧ ص .

* دليل ادارة مؤسسات التعليم عن بعد .
تأليف ، توني دودز ، ترجمة ، الدكتور خليل ابراهيم حماش ، منشورات الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، اخراج الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٧ ، ٢٣٩ ص .

* زاد المسافر وقوت الحاضر ، المقالات الثلاث الاولى .
تأليف ، ابن الجزار ، تحقيق الطبيب القيرواني ، تونس ١٩٨٦ ، ٢٩٢ ص .

* الطب الوقائي النبوي .
تأليف ، الدكتور محمود الحاج قاسم محمد . منشورات مكتبة بسام — الموصل ١٩٨٨ ، ٥٩ ص .

* كتاب جالينوس الى طوثرن في النبض للمتعلمين .
تحقيق الدكتور محمد سليم سالم ، القاهرة ١٩٨٥ ، ١٠٩ ص .

* كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة .
تأليف . جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ دراسة وتحقيق الدكتور محمد كمال الدين عزالدين . مطبوعات دار عالم الكتب — بيروت ١٩٨٧ ، ٢٥١ ص .

* المعلومات والمهارات الاساسية الكهرباء والميكانيك .
تأليف . مهندس اسامة اسماعيل ، وتبسيط جاسم محمود الحسون ، بغداد . ١٩٨٦ . ٦٦ ص .

* ملكية الشقق والطوابق .
تأليف . الدكتور غازي عبدالرحمن ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٥٩ ص .

* المنصوري في الطب — للرازي .
تحقيق . الدكتور حازم البكري مطبوعات معهد المخطوطات العربية بالكويت ١٩٨٧ . ٦٣٩ ص .

* النخلة .
تأليف ، محمد محمد علي خيري ، تبسيط جاسم محمود الحسون ، بغداد ، ١٩٨٦ ٤٩ ص .

* وباء التدخين واضراره على صحة الفرد والمجتمع .
تأليف الدكتور اياد الرمضاني وآخرون الموصل ١٩٨٧ ، ١٣٦ ص .

* الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب حـ ١ .
تأليف ابن العديم ٥٨٨ – ٦٦٠ هـ .
تحقيق ، سليم محجوب ، ودرية الخطيب منشورات جامعة حلب -- معهد التراث العلمي العربي ، ١٩٨٧ ، ٤١٣ ص .

كتب المعاجم والفهارس

* اعلامات ببليوغرافية (سنة ١٩٨٦) .
اصدارات ، دار الكتب الوطنية ، تونس ١٩٨٧ ، ٤٥ – ٣٨ ص .

* الببليوغرافيا الجزائرية .
اعداد المكتبة الوطنية الجزائرية الجزائر ، ١٩٨٦ ، العدد ٤٢ ٦٤–٧٩ ، ٤٣ ٦٥ – ٨٠ ، ٤٤ ٦٠ – ٥١ ، ٤٥ ٦١ – ٨٢ .

* الببليوغرافيا القومية التونسية (سنة ١٩٨٦) .
اصدارات ، دار الكتب الوطنية ، تونس ، ١٩٨٧ ، ١٦٧ – ٢١٨ ص .

* تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي .
تأليف ، شحاذة الخوري – بيروت ١٩٨٧ ، ١٩ ص .

* التقرير السنوي العاشر حول منجزات مجمع اللغة العربية الاردني عام عام ١٩٨٦ .
منشورات مجمع اللغة العربية الاردني الاردن – عمان ١٩٨٥ ، ٣١ ص .

* دليل اعضاء هيئة التدريس والمدرسين المساعدين والمعيدين بكليات ومعاهد جامعة القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ٨٤ – ١٩٨٥ ، ٣٩٩ ص .

* دليل جامعة القاهرة ، ١٩٨٧ – ١٩٨٨ .
اعداد ، الدكتور محمود نجيب حسن . رئيس جامعة القاهرة ، بدون سنة طبع ، ٥٠ ص – جداول .

* دليل الدوريات الخايجية الجارية الصحف والمجلات والنشرات الصادرة في دول الخليج العربية ، منشورات مركز التوثيق الاعلامي ، ومكتب التربية ، والامانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية – مركز المعلومات ، ١٩٨٨ .

* دليل عمل التوثيق والمكتبات والمعلومات في مؤسسات محو الامية وتعليم الكبار منشورات . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، بغداد ١٩٨٧ ، ٥٢ ص .

* سلسلة الادلة العلمية .
الدليل العلمي لاعداد التسجيلات الببليوغرافية العدد ١ – ٤ ، منشورات مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي .

* عِلم الاعلام . الوثائق والمخطوطات .
تأليف . عبدالله انيس طباع . عمان الاردن ، ١٩٨٦ ، ٦٣٩ ص .

* العيد الفضي ١٩٦٠ – ١٩٨٥ خلاصة عن رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة القاهرة .
اعداد هوشيار معروف ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ٦٢٥ ص .

* فهرس الاطاريح الجامعية لكلية الاداب جامعة بغداد ، من عام ١٩٧٦ حتى نهاية عام ١٩٨٥ .
اعداد . ندى نعمان السعدي . مطبعة التعليم العالي – بغداد ١٩٨٧ . ،٢ن

* فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق .
وضعه . ياسين محمد السَّواس . منشورات معهد المخطوطات العربية – الكويت ١٩٨٧ . ٩٢٤ ص .

* الفهرس الموحد للوثائق التربوية في مراكز التوثيق التربوي بدول الخليج العربي المجلد الاول .
اعداد مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ، ١٩٨٢ ، ٨٦٧ ص .

* قاموس المصطلحات الفنية للحديد والصلب . انكليزي – فرنسي ، الماني – عربي .
اصدار ، الاتحاد العربي للحديد والصلب الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، مختلف الترقيم .

* قاموس مصطلحات الرياضيات الابتدائية (محاولة تاريخية) .
تأليف . الدكتور احمد سليم سعيدان . منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ، عمان ١٩٨٧ ، ٦٣ ص .

* الكتاب الاحصائي السنوي ١٩٨٦ – ١٩٨٧ اعداد ، الجامعة الاردنية ، الاردن ، ١٩٨٧ ، ٢٤٤ ص .

* الكنز ، قاموس فرنسي – عربي .
تأليف ، جردان السابق . بيروت ، بدون سنة طبع ، ١٢٥٤ ص .

* مصطلحات علمية انكليزية – عربي ج ٥
اعداد لجنة في المجمع العلمي العراقي .
بغداد – مطبعة المجمع ١٩٨٧ ، ٢٦٣ ص ، ن ٢

* معجم اللغات الوسيط ، انكليزي – فرنسي – عربي ، مع فهرس ، فرنسي – انكليزي .
تأليف ، جردان السايق ، بيروت .

* معجم لغات القبائل والامصار ج ١ – ج ٢ .
تأليف ، الدكتور جميل سعيد والدكتور داود سلوم ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي . بغداد ، ١٩٧٨ ، ٣٤٤ – ٢٩٥ ص .

* معجم المصطلحات البلاغية وتطورها .
تأليف ، الدكتور احمد مطلوب . مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٨٣ ، حـ ١ ، ن ٢

* معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج ٣ .
تأليف الدكتور احمد مطلوب . بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧ ، ٣٩٠ ص ، ن ٢

* المعجم الموحد الشامل للمصطلحات الفنية والهندسية والتكنولوجيا والعلوم .
اعداد ، اتحاد المهندسين العرب ، ح ١ — ح ١١ — م ١١ ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ن ٢ .

* المورد ، قاموس ، انكليزي — عربي .
تأليف ، منير بعلبكي ، بيروت ١٩٨٧ .

* الموسوعة العربية في الوثائق والمكتبات .
تأليف ، الدكتور عبدالتواب شرف الدين . قطر ، ١٩٨٦ ، ٧٣٨ ص .

* وقائع اجتماعات المجلس التشريعي ح ٢ .
اصدار — المجلس التشريعي لمنطقة كردستان بغداد ، ١٩٨٣ ، ٦٣٩ ص .

الكتب التركية

* سالنامة ولاية بغداد ، ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ ، ٣٤٤ ص.
* سالنامة ولاية بغداد ، بدون تاريخ ، ناقصة الاول والآخر ، ٣٦٧ ص .
* سالنامة ، دولت عليّة عثمانية ، ١٣١٤ هـ ، ناقصة الاول ، ١٠٣٨ ص .
* سالنامة عمومي ، بدون تاريخ ، ناقصة الاول والاخر ، ٣٣٦ ض .
* زبردة محرر وقائع مشهورة تاريخلري هجرت نبي عليه السلام ، ٥٠٤ ص .
* تقويم اوقات وشهور ، ١٣٢٤ هجرية ، انقرة ١٣٤٠ ، ٣٥٨ ص .
* وقائع مشهورة جدولي ، ناقص الاول والاخر ، بدون سنة طبع ، ٢٤٦ ص .
* تقويم سال وقائع جدولي ، ناقص الاول والاخر ، بدون سنة طبع ، ٢٧٠ ص
* ترجمة قاموس المحيط .

  تأليف ، احمد عاصم ، طبع استانبول ، حـ ١ ـ حـ ٣ ـ م ٤ ١٣٠٤ ـ ١٣٠٥ هـ .
* قاموس الاعلام .

  تأليف ، شمس الدين سامي ، طبع انقرة ، جـ ١ ـ حـ ٦ ـ م ٦، ١٣٠٦ ـ ١٣١٦ هـ .
* تاج التواريخ .

  تأليف ، محمد سعد الدين بن حافظ ، استانبول ، ١٢٧٩ هـ ، ٥٨٢ ص .
* ذيل جامع التواريخ .

  تأليف ، شهاب الدين عبدالله بن لطف الله ، طهران ١٣١٧ هـ . ٢٨٩ ص .

* جهان تاريخنك عموم خطلري .
تأليف ، هـ . ج . و ه لسن ، استانبول ، حـ ١ ــ حـ ٥ ــ م ٤ .
ناقص الجزء الرابع .

* موزة همايون (مسكوكات قديمة اسلامية ق ٤) .
تأليف ، احمد توحيد ، استانبول ، ١٣٢١ هـ ، ٥٦٧ ص .

* موزة همايون (ملوك جنكيزية وجلائرية ق ٢) .
تأليف ، حمدي ادهم ، استانبول ، ١٣٨٨ هـ ، ٢٧٦ ص .

* موزة همايون (ملوك تركمانية نامنة . مسكوكات تركمانية ق ١) .
تأليف ، اسماعيل غالب . استانبول . ١٣١١ هـ ، ١٨٢ ص .

* تاريخ مفصل .
تأليف ، احمد مدحت . استانبول . بدون سنة طبع ، ٧٩٧ ص .

* مدنيت اسلامية تاريخي . استانبول . بدون سنة طبع ، ٤١٨ ص .

* تاريخ نتائج الوقوعات .
تأليف . مصطفى ناظر دفتر خاقاني . استانبول ، ١٢٩٤ هـ ١٣٣ ص .

* التاريخ الجديد والاثر المفيد وحقائق الاخبار .
تأليف . احمد واصف . استانبول . ١٢١٩ هـ ، ٣١٥ ص .

* دولت عثمانية نلك اصلاحاتي .
تأليف . أو . انكه لهارد . استانبول ١٣٠٠ هـ ، ٤٩٦ ص .

* عثمانلي تاريخي (رسملي وخريطةلي) .
تأليف . احمد راسم . استانبول . ١٣٢٨ هـ ، حـ ١ . حـ ٣ ، حـ ٤ .

* مفصل تورك تاريخي .
تأليف . م شمس الدين ، استانبول ، ١٣٤٠ هـ ، ١٩٦ ص .

* عثمانلي تاريخي .
تأليف ، محمد توفيق ، استانبول ، ١٣٢٨ هـ ، ٤٦١ ص .

* دولت عثمانية تاريخي .
تأليف ، خير الله أفندي ، استانبول ١٢٨٢ هـ ، حـ ١ ــ حـ ١٥ ــ م ١٥ .

* مرى التواريخ .
تأليف ، سليمان افندي سمعداني زادة فندقليلي ، استانبول ، ١٣٣٨ هـ ، ٥٠٩ ص .

* تاريخ سياسي (عصر حاضرة اوربا) .
تأليف ، شارل سه ينووس ، استانبول ، ١٣٢٤ هـ ، ١٠٤٥ ص ، حـ ١ .

* تاريخ صولات زادة .
اعداد ، معارف نظارت جليله س ، استانبول ، ١٢٩٧ هـ ، ٧٧٣ ص .

* تاريخ يونستان قديم سنة ١٢٨٦ هـ ، ٣٤٠ ص .

* تاريخ ابو الفاروق .
تأليف ، عمر فاروق ، استانبول ، ١٣٢٨ ــ ١٣٢٩ هـ ، حـ ١ ــ حـ ٦ ــ م ٣.

* دسفور .
تأليف ، هـ . ج وهلسن ، استانبول ١٢٨٩ ، ٨٣٠ ص .

* بيوك تأريخ عمومي .
تأليف ، احمد رفيق ، استانبول ، ١٣٢٨ هـ ، حـ ١ ، جـ ٢ ، حـ ٣ ، حـ٦ ، ط (١) .

* بيوك تأريخ عمومي .
تأليف احمد رفيق ، استانبول ، ١٣٢٧ ، حـ ١ ــ حـ ٦ ، ط (٢) .

* دولت علية عثمانية تاريخي ، المعروف بتاريخ عطا .
تأليف ، محمد عطا ، استانبول ، ١٣٣٠ ــ ١٣٣٣ هـ ، حـ ١ ، حـ ٣ حـ ٨ .

* مقدرات تاريخية (تاريخ تدنيات عثمانية) .
تأليف ، جلال نوري ، استانبول ، ١٣٣١ هـ . ٣٢٠ ص .
* مشاهير اسلام .
تأليف حميد وهبي . استانبول ١٣٠١ هـ . ٤١٦ ص .
* سجل عثماني (تذكرة مشاهير عثمانية) .
تأليف ، احمد لطفي . استانبول ، ١٢٤٨ — ١٣٠٦ هـ ، حـ ٤ ، حـ ٧ .
* فذلكة كاتب جلبي .
تأليف . كاتب جلبي . استانبول ، ١٢٨٦ — ١٢٨٧ هـ ، حـ ١ — حـ ٢ .
* تاريخ كنه الاخبار ناقص الاول والاخر . حـ ١ — حـ ٢ .
* دستور .
اصدار . معارف نظارت ، استانبول ، ١٢٩٠ هـ . ٩٨٣ ص . حـ ٢ ، وحـ ٣ .
حـ ٤ .
* دستور . عدلية نظارتي .
اصدار . عدلية نظارتي . استانبول ١٣٣٠ هـ . ترتيب ثاني . حـ ٢ . حـ ٣ .
حـ ٤ . حـ ٥ . حـ ٦ . ١٣٣٤ هـ .
* معاهدات مجموعة سي ج ١ ، أمريكا . حـ ١ ، روسية ، ٣٢٠ ص .
* تاريخ راشد .
تأليف ، راشد . استانبول . ناقصة صفحة العنوان وسنة الطبع . حـ ١ —
حـ ٣ — م ٣ .
* تأريخ عطا .
تأليف . طبارة زادة . احمد عطا . استانبول . ١٢٩١ هـ . حـ ١ — ج ٢ .
* تاريخ جودت .
تأليف . احمد جودت ، استانبول . ١٣١٦ هـ . حـ ١ حـ ١٢ ، ١٣٠١
— ١٣١٦ .

* مفصل تورك تاريخي .

تأليف ، م . شمس الدين ، استانبول ، ١٣٣٩ ، حـ ٣ .

* تورك تاريخي .

تأليف ، نجيب عاصم ، استانبول ، ١٣١٦ و ، ٥٥١ ص .

* تاريخ عمومي .

تأليف ، محمد مراد ، استانبول ، ١٣٢٧ — ١٣٢٨ . حـ ١ . حـ ٣ — حـ ٦ . .

الفهرست

الصفحة

عرض الكتب

انبـاء واراء

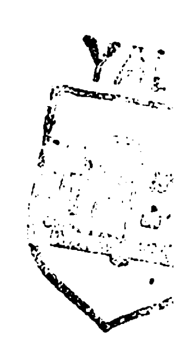
سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

تدفع قيمة الاشتراك سلفاً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٧

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY





Volume 39

Part (3)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1988